الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعــة فرحــات عبــاس، سطيــف (الجزائــر)
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

قضايــا اللسانيــات العربيــة الحديثــة بيــن الأصالة و المعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان

إعداد الطالب:
صورية جغبوب

إشراف الأستاذ:
د.عز الدين صحراوي

أعضاء لجنة المناقشة

-	جامعة	رئيســـــا
- عز الدين صحراوي	جامعة باتنة	مشرفا و مقررا
-	جامعة	عضــوا مناقشــا
-	جامعة	عضــوا مناقشــا
-	جامعة	عضــوا مناقشــا

السنة الجامعية: 2011-2012

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
إنه يشرفني أن أسجل أسمى آيات الاحترام و التقدير و أخلص عبارات العرفان و التوقير إلى أستاذي الدكتور:

عز الدين صحراوي

الذي سعدت بإشرافه على بحثي هذا و الذي غمره بالرعاية الصادقة و التوجيهات السديدة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الخالص إلى أسرة كلية الأدب و اللغات،

و قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة فرحات عباس سطيف، و إلى كل من قدم لي يد العون طيلة مسيرة هذا البحث و على رأسهم زوجي

عزيز عجرودي.

و ختاما شكر خاص لأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة و مناقشة هذا البحث.

عناصـــــر المدخـــــل:

المبحث الأول: حدود الدرس اللساني العربـــي الحديـــث

- اللسانيات العربية الحديثة
- اللسانيات العربية الحديثة إشكالا ثقافيا
- الحدود التاريخية و مكانة اللسانيات العربية

المبحث الثاني: النشاط اللساني العربي الحديث و صـــوره

- الكتابات التمهيدية
- الكتابات التراثية
- تطبيق المناهج الغربية على النصوص العربية

تمهيـــــد:

إن المتتبع لتاريخ الدراسات اللغوية منذ نشأتها سيلاحظ أن كل دراسة و في كل عصر كان لها هدف معين، فالدراسات القديمة كانت في معظمها لغرض ديني؛ فهي منذ الهنود للمحافظة على لغة دينهم و على كتابهـــــم المقدس _ خاصة المعجمية منها _ لأنهم لا يسمحون بالأخطاء في لغتهم، و كذلك عند الإغريق و غيرهم من الشعوب، و يمكن ملاحظة ذلك بوضوح في الدراسات العربية القديمة، حيث كان الهدف الأساسي منها هي الأخرى المحافظة على القرآن بالدرجة الأولى و فهمه ثم المحافظة على لغته **(1)**

و الدراسات الغربية الحديثة هي الأخرى لها غاية مـــحددة، حيث جاء في محاضـــرات دي سوسير (DeSaussure) أن الهدف من اللسانيات هو معرفة الألسنية من حيث هي ظاهرة بشرية عامة، و اكتشاف القوانين الضمنية التي تحكم الظاهرة اللغوية، و ضبط سماتها الصوتية و التركيبية و الدلالية للوصول إلى قوانين كلية للغـــــة و شرح خصائص العملية الكلاميـــــة، و تفسير العوائق العضوية و النفسية و الاجتماعية المعرقلة لأدائها، و بناء نظرية لسانية لها صفة العموم؛ إذ يمكن على أساسها دراسة جميع اللغات و تأريخها بسرد تاريخ الأسر اللغويـــــة و إعادة بناء اللغات الأم في كل منها ما أمكنها ذلك. **(2)**

و ما زال البحث متواصلا لتحقيق هذه الغاية.

و لما كانت كل الدراسات لها غاية محددة و تتخذ موضوعا معينا فانه من شأن كل الدراسات اللغوية العربية الحديثة أن تكون لها هي الأخرى غاية و موضوع محدد.

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، دار عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003، الفصل الثاني من الباب الأول، الباب2.

(2) : voir : Ferdinand De Saussure : Cours de Linguistique Générale, Edition Talantiukit, P 11

* La tache de la linguistique sera :

a- de faire de description et l'histoire de toutes les langues qu'elle pouvra atteindre ce qui revient a faire l'histoire des familles des langues et reconstituer, dans la mesure du possible les langues mères de chaque famille.

b- De chercher les forces qui sont en jeu d'une manière permanente et universelle dans toutes les langues, et de dégager les lois générales aux quelles on peut ramener tout les phénomènes particuliers de l'histoire.

c- « De se délimiter et de se définir elle-même ».

لكن ليـــس من السهل تحديد هدف و غاية الدراســـات اللغوية العربية الحديثة لأن هذه الأخيرة أثارت الكثير من التساؤلات، و خضعـــت للكثيـــــر من الدراسات التي أدت في النهاية إلى ترتيبها و تصنيفها في اتجاهات مختلفة*. و هذه التصنيفات يمكن القول عنها أنها تتشابه لأنها نتيجة لمقولات قدمتها الدراسات العربية نفسها، و هذه المقولات حكمت الدرس اللساني العربي الحديث، و هي مرتبطة بسعي اللسانيات العربية إلى تسويغ مشروعية وجودها في الثقافة العربية و ذلك من خلال:

1- القول بعدم كفاية النموذج التقليدي.

2- القول بضرورة تبني المنهج الوصفي في الدراسة اللسانية.

3- القول بحاجة اللغة إلى إعادة الوصف من خلال النظرية اللسانية الغربية الحديثة.

و قد نتجت عن هذه المقولات مواقف فكرية متباينة في تصورها لطبيعة العمل اللساني العربي و هدفه، و هي:

1- موقف الثورة على كل المواريث.

2- موقف الجمود عند التراث.

3- موقف حاول التوفيق، و توصيل الماضي بالحاضر.

و انطـــلاقا من هذه المواقف صنف الباحثون الكتابات اللسانية العربية الحديثة؛ حيث أن الموقف الثائر على المواريـــث يقدم الدراسات اللسانية الغربية الحديثة كبديل، و يقدم تعاريف بمناهجهـــا و مؤلفاتهـــا، و يطلـــق على هذا النـــوع من المؤلفات: "الكتابـــات التمهيديـــة"، أما

---

*: من بينها تصنيف كل من:

- محمد الصالح بن عمر في كتابه: النص الفكاهي في درس النحو [المركبات النحوية]، الشركة التونسية للنشر، تونس،ط1، 1995،ص: 12.

- سعد مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات و مثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، 2004، ص:19.

- مصطفى غلفان: اللسانيـــات العربية الحديثة دراســة نقدية في المصادر و الأسس النظريـــة و المنهجية، سلسلة رسائـــل و أطروحات رقم (4)، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1998.

- زكي نجيب محفوظ: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1973، ص:254.

- فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيتراك للنشر، مصر، ط1، 2004، ص: 5-6.

- مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، دمشق،ط1، 1988، ص: 341-343.

- ياسر سليمان: التراث اللغوي العربي، والدراسات اللغوية الحديثة، مجلة اللسان العربي، المغرب، ع 21، ص: 31

موقف التراث فإنه يتبنى آراء التراث العربي، و يعمل على إعادة قراءاتـــه، و يطلـــق على هذا النـــوع من المؤلفات اسم: "لسانيات التـــراث"، و موقف التوفيق يحاول دراسة اللغة العربية من خلال تطبيق مناهج حديثـــة، و يطلق على هذا النـــوع من المؤلفات اســـــم: "لسانيات عربيـــة" كونهم ينطلقـــون من التراث – اللغة العربيـــة و دراستها – و يطعمونه بمناهج و نظرات حديثة،كما يحاولون تطبيق المناهج الغربية الحديثة على نماذج عربية.

و ذلك حال معظم الدراسات لأن أعلام اللسانيات ينهضون في هذا المسار اللساني المعاصر لإعادة تأسيس هذا العلم الوليد و يذهبون في ذلك مذهبين. **(1)**

الأول: مذهب القراءة المجردة الذي يقوم على قرض مقولات الفكر المعاصر على الفكر اللغوي العربي القديم من أجل تقييمه من وجهة نظر التصورات الفعالة.

أما الثاني فيتمثل في محاولة اللسانيين قراءة التراث اللغوي العربي و محاولة البحث عن أصوله قبل دي سوير، و رجوعا بالنظرية إلى روادها الحقيقيين.

و بالنسبة للدراسات العربية الحديثة فإن معظم الآراء و الدراسات تكاد تجمع على أن الاتجاه الذي يسعى إلى تطعيم القديم بالجديد هو الاتجاه من نشأته أن يقدم الجديد و إن كان البعض الآخر يراه لا يبتعد هو أيضا عن الاتجاهين السابقين فـــ " تراثا أحد رجلين فإما ناقل لفكر غربي، و إما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر العربي و في الحالة الثانية عنصر المعاصرة، و المطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين " **(2)**

و سنحاول من خلال هذا الفصل التعمق بعض الشيء في هذه القضايا المتعلقة بالدراسات اللسانية العربية الحديثة من خلال الحديث عن حدود الدرس اللساني العربي الحديث، و عن النشاط اللساني العربي الحديث و صوره.

---

(1): عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ط1، 1981، ص: 15.

(2): زكي نجيب محفوظ: تجديد الفكر العربي، ص: 254.

المبحث الأول: حدود الدرس اللساني العربي الحديث

يتطلب تشخيص واقع الدرس اللساني العربي الحديث مصادر تاريخية ترجع بالأمور إلى أصولها. لذا لابد من تحديد أولي اللسانيات العربية الحديثة، وبما أن الدرس اللساني العربي الحديث نشأ في جو ثقافي حديث فستطرح كذلك كإشكال ثقافي للوصول إلى الحدود التاريخية للدراسات اللسانية العربية الحديثة و تحديد مكانتها.

1- اللسانيات العربية الحديثة تحديد أولي:

إن الحديث عما يعرف باللسانيات العربية الحديثة أو الدرس اللساني العربي الحديث، ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلفات و الدراسات اللسانية التي ألفها لسانيون عرب منذ منتصف الأربعينات من القرن العشرين، و فيها بدأ الاتصال و التعرف على مناهج النظر اللساني الغربي الحديث.

و الدراسات اللسانية العربية المبكرة التي تبنت المناهج الغربية لم تعرف مصطلح اللسانيات إلا في أواسط الستينات.

تحدد بدايات انتقال الفكر اللغوي الغربي إلى ميدان التفكير اللغوي العربي ببداية الاتصال الفعلي بالحضارة الغربية في العصر الحديث. **(1)**

و يمثل النموذج المصري تحديد صورة لنشأة العلاقة بين الباحث العربي و اللسانيات الغربية الحديثة على الطريقة النمطية حيث انعقدت صلة الجامعات المصرية بالدرس اللساني الغربي الحديث منذ مطلع الأربعينات، أما الشخصية الرئيسية التي تمثل نقطة هذه الصلة فهو " جون روبرت فيرث " J-R-FIRTH (1890-1960) الذي كان أستاذا للسانيات العامة في جامعة لندن ما بين عامي 1944 و 1960. **(2)**

و على يد هذا العالم و تلامذته في مصر بدا التيار اللساني الأساسي يمد رافدا يتسلسل في استحياء من اللسانيات الفرنسية "جوزيف فندريس" و "أنطوان ميبه" ، و اتخذت اللسانيات الأمريكية سبيلها في النهاية من خلال المتابعة و الجهد الذاتي لتلامذة فيرث، ثم على يد العائدين

---

(1): ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. دراسة في النشاط العربي، ص12.

(2): ينظر: سعد عبد العزيز مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة. دراسات و مثاقفات، ص20.

من أمريكا في الستينات، و معظمهم من أقسام اللغة الإنجليزية في الجامعات المصرية. **(1)**

برز التأثر بهذا الفكر في كتابات رفاعة الطهطاوي، الذي دعا إلى إنشاء مجمع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي، و ظهر هذا التأثر أيضا في كتابي جرجي زيدان "الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية" (1886)، و اللغة العربية كائن حي (1904)، و يبدو فيهما متأثرا بالنزعة الداروينية التي سادت آنذاك، و بنظرية النشوء و الارتقاء، و نظرية النمو التلقائي للكائنات؛ إذ تبنى نظرية اللغات المرتقية و اللغات غير المرتقية، و نظرية المقطع الأحادي التي تفسر تولد الكلام، و حاول البحث في أصول العربية و نشأتها، مع مقارنتها بشقيقاتها من اللغات السامية، معتمدا النظريات التي سادت في نهاية القرن التاسع عشر. **(2)**

و كان المؤثر الفعلي في البحث اللغوي العربي هو الفيلولوجيا العربية، إذ أدخل المستشرقون الألمان نمط التفكير الفيلولوجي إلى البلاد العربية، و شكلت بحوثهم إطارا مرجعيا لجملة من البحوث و الدراسات اللغوية العربية، و يمكن عد سلسلة التأليف اللغوية التي اتخذت من فقه اللغة عنوانا لها أو نموذجا لهذا التأثير بدءا بكتاب "علي عبد الواحد وافي" فقه اللغة الصادر عام 1937. **(3)**

و في الوقت نفسه، نبه باحثون عرب إلى ضرورة إعادة فهم اللغة العربية من خلال ربطها بعائلة الساميات، نجد ذلك في كتب الأب أغسطين مرمرجي الدومينيكي: "المعجمية العربية على ضوء الثنائية و الألسنية السامية (1937)، و كتاب: "هل العربية منطقية أبحاث ثنائية ألسنية (1947)، و كتاب "معجميات عربية سامية" (1950)، ثم كتاب عبد المجيد عابدين "المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية (1951). و هذه الكتب تمثل نموذجا آخر لتأثير الفيلولوجيا في البحث اللغوي العربي، فضـــلا عن أن جملـــــة من البحوث العربية التي اتجهت بالنقد إلى النحو العربي، عُدَّتْ متأثرة بتصورات المستشرقين في ذلك، وذلك ما لقيه كتاب إبراهيم مصطفى "إحياء النحو" (1937) من رفض و نقد و جدل **(4).**

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص20.

(2): ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص: 12، 13.

(3): المرجع نفسه، ص: 13.

(4): المرجع نفسه، ص: 13.

و اللغويون العــرب في هذه المرحلة المبكرة لم يتبيّنوا الفرق بين مجال الفيلولوجيا بالمفهوم الغربي، و بين المفاهيــم التي ورثـــــوها عن اللغويــون العرب القدماء، و التي تدخــل في إطار فقه اللغــة، من قبيــل المفاهيــم التي قدمهــا ابن جني [ت392هـــ]، في كتابه "الخصائص"، و ابن فارس [ت395هـــ]، في كتـــاب: "الصاحبي في فقه اللغة" و سنن العربية في كلامهـــا". و قد وقع في هذا الخلط الكثير حتما كتب في هذا المجال، بدءا بعلي عبد الواحد وافي، حين ترجموا مصطلح الفيلولوجيا Philology بـــ فقه اللغة. لكن فريقا آخر أتى بعد هؤلاء محمود السكري في كتابه "علم اللغة" مقدمة للقارئ العربي 1962 و محمود فهمي حجازي في كتابه علم اللغة العربية، 1970، و ذلك لما تيسر لهم من اطلاع على المناهج الحديثة **(1)**.

و بالتالي فقد وقع علماء اللغة العربية في اختلاف كبير بين هذه المناهج و المصطلحات مما أدى إلى اختلاف الاتجاهات.

2- اللسانيـــات العربيـــة إشكـــالا ثقافيـــا:

إن تحديد لحظة النشأة، فيما تعلق بالدرس اللساني العربي الحديث يرتبط برصـــد ظروفها و ملابساتها، من حيث ارتباطها بالضرورة بالمناخ العام الذي حكم الفكر العربي الحديث ابتداء مما عرف بـــ عصر النهضة العربية أوائل القرن التاسع عشر الذي كان وليد ظروف التدخل الاستعماري في البلاد العربية.

و قد شكل القرن التاسع عشر منعطفا حاسما في تكوين الفكر العربي الحديث، إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على المستويات جميعا و ضرورة إعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التطور الحاصل في الغرب الذي صدم العرب للمرة الأولى مع الحادث الاستعماري.

لقد وضع هذا الوعي العرب أمام نموذجين حضاريين و جعل اللسانيات العربية الحديثة تعيش حالة من المد و الجزر بين طرفين: الأول عائد إلى الماضي باعتباره هوية الأمة الواجب الحفاظ عليها بتكريسها كرؤية صالحـــة لكل زمان و مكان، و التي يُعَدُّ تجاوزها شكلا من أشكال الخيانة معتمدا في طرحه على أساليب التقويل و الاستنطاق محاولا ربط كل جديد يظهر

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 13-14.

بالتراث. أما الثاني فيعمل على تمثل الحاضر باعتباره عملا وضع لزمن غيــر زمننا و يعالج قضايا لم يعدّ لها وجود في واقعنا، و هو يمارس عبر طرحه كل أشكال الاستيراد و التبني للمناهج و الرؤى الغربية على النتاج الفكــري و اللغوي بحجج مختلفة كالعلمية و العالميـــة و الحداثة و غيرها. "و بذلك كان الفكر العربي الحديث يتشكل بقطبين متنافرين: سلفي يحاول أن يعيد إنتاج الموروث الحضاري العربي الإسلامي بصيغته القديمة نفسها، أو بصيغــة معدلة تعديــلا جزئيا، و حداثي يحاول أن يتبنى المسار الحضاري الغربي بكل تفصيلاته، و يعلن القطيعة مع القطب الأول" **(1).**

و لما كانت الدراسة اللغوية جزءا من نشاط هذا الفكر يتبع انقساماته و أحواله، فقد خضعت بالفعل إلى ما خضع له هذا الفكر من صراع بين أصول نظرية مختلفة استمدت منها وجوده.

و لما كانت اللسانيـــات العربية الحديثــة محاولة لنقل النظرية اللسانية الغربيــة الحديثة – بحسب رأي الباحثين – فقد واجهت الصراع نفسه من مرجعيات مختلفة، منها ما يتبع البحث الفيلولوجي و منها ما يرتد إلى التصورات القديمة التي شكلتها النظرية اللغوية العربية القديمة.

و في فوضى هذه التقاطعات حاول البحث اللساني العربي أن يبني لنفسه هيكلا مستقلا يصف من خلاله اللغة العربية معتمدا على كل هذه الأصول النظرية، مع مراعاة ما يتطلبه الواقع اللغوي اليوم من نظر خاص.

لقد اتجهت اللسانيات العربية الحديثة إلى ما يمكن تسميته لسانيات توفيقية تتبنى نموذجا وصفيا يمزج المقولات النظرية الغربية الحديثة بمقولات نظرية النمو العربي، و كان هذا الموقف الأساسي في اللسانيات العربية، على الرغم من النقد الذي وجهه اللسانيون العرب إلى نظرية النحو العربي، إذ لم يستطيعوا أن ينتجوا درسا لسانيا بعيدا عن الأصول التراثية بالا عن القطيعة التامة مع التراث النحوي القديم، إذ كان هذا يعني تغريبا ثقافيا يهدد الهوية الثقافية العربية الإسلامية **(2).**

يقول تمام حسان " و تشبعت المسالك أمام الشعب بعد أن تثاءب و تمطى و نفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقا في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصب، و رأى أنه لو

---

(1): فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص:14.

(2): ينظر: المرجع نفسه، ص: 15.

بعث هذا التراث و أحياه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التأريخ العربي نفسه، و وجد أمامه طريقا في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم و معارف ... ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب لا تقطع به التاريخ عن الحياة، و لو سلك الثاني فحسب لا تقطعت به الحياة عن التاريخ ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز و نصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة " **(1).**

و تمام حسان من خلال هذا القول يؤكد بأن الدراسات اللسانية العربية الحديثة تتوجه اتجاهين أساسيين هما: التوجه إلى التراث العربي، أو التوجه صوب الدراسات الغربية، و يرى كذلك أن أفضل طريق هو الجمع بين الاثنين.

3- الحدود التاريخية و مكانة اللسانيات العربية:

إذا كانت اللسانيات العربية الحديثة ارتبطت بنقل نتائج البحث اللساني الغربي الحديث، فإن نشأتها تحدد بعودة الباحثين المصريين من الجامعات الأوروبية؛ حيث درسوا المناهج اللسانية الغربية الحديثة، و بدءوا نشر بحوثهم اللسانية منذ ذلك التاريخ **(2).**

و تحديد ارتباط اللسانيات العربية الحديثة بنقل نتائـــــج البحث اللساني الغربي الحديـــث، و بعودة اللسانيين المصريين من الجامعات الأوروبية يعد نوعا من التحديد في كتابة تأريخ اللسانيات العربية الحديثة.

و إذا كانت لحظة نشأة اللسانيات العربية هي تاريخ صدور أول كتاب تبنى المناهج الغربية اللسانية. فتحدد ما بين [19413-1946]، و هي المدة التي يرجح فيها صدور كتاب "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، الذي يعد أول كتاب عربي حاول تطبيق النظرية الغربية و تحديدا نظرة البنيوية في وصف أصوات اللغة العربية، و أسبقية هذا الكتاب لا تحدد بوضوح، إذ جاءت طبعته الأولى من دون تاريخ، و قد تعددت الآراء في تاريخ هذه الطبعة إذ ترددت بين سنتي 1945 و 1955.

---

(1): تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، د.ط، 1986، تقديم المؤلف.

(2): ينظر: - فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص:18.

- حلمي خليـــل: العربية و علم اللغة البنيوي. دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1996، ص: 139-140.

- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيـــات و اللغـــة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1985، 1986، ص: 51، هامش 19.

يرى حلمي خليل أن كتاب "الأصـــوات اللغوية" هو أول كتاب للدكتور إبراهيم أنيس و أن طبعته الأولى كانت سنـــة 1947، أما كتابه الثاني "في اللهجـــــات العربية" فقد طبع أول مرة سنة 1950 **(1)**.

و يرى عبد السلام المسدي أن كتابه "في اللهجات العربية" هو أول كتاب أصدره إبراهيم أنيس أي أنه يأتي قبل كتاب الأصوات اللغوية، فهو يرى أن الطبعة الأولى منه كانت سنة 1946 في حين أن الطبعة الأولى للكتاب الثاني كانت سنة 1950. **(2)**

لكن فاطمة الهاشمي بكوش ترجح أن كتاب "الأصوات اللغوية" اسبق من كتاب في اللهجات العربية و دليلها أو حجتها في ذلك مستمدة من كتب إبراهيم أنيس و مما ورد فيها "فالطبعة الأولى من في اللهجات العربية جاءت خلوا من حرف الجر، أي اللهجات العربية، و فيها يشرع د.إبراهيم أنيس دواعي تأليفه، و المشكلات المنهجية التي اعترضته. أما الطبعة الثانية فجاءت بإثبات حرف الجر (في) في العنوان، و فيها يقول "ظهر هذا الكتاب للمرة الأولى منذ ست سنوات"، و يذكر في نهاية المقدمة تاريخا صريحا هو سبتمبر من سنة 1952، و بذلك فإن الطبعة الأولى من في اللهجات العربية كانت سنة 1946.

و في هذه الطبعة الأولى من كتاب في اللهجات العربية يشير د.إبراهيم أنيس إلى كتابه الأصوات اللغوية في مواضع مختلفة هي الصفحات: 15، 39، 44، 52، 69، 71، 84، 94، 95، 97، 105، 108، 121، 124، 125، 131، 134، 138، 169، 174، 177 **(3)**

و بالتالي من خلال هاتين الحجتين ترى فاطمة الهاشمي بكوش أن كتاب الأصوات اللغوية كان اسبق من كتاب في اللهجات العربية.

أما عن تاريخ صدور كتاب الأصوات اللغوية مقارنة بكتاب في اللهجات العربية فإنه "إما في السنة نفسها (1946) أو قبل ذلك. و إذا كان د.إبراهيم أنيس بدأ نشاطه في التأليف بعد عودته من الدراسة أي في سنة 1941. فإن تأريخ صدور هذه الطبعة يتردد بين سنتي 1941 و 1946" **(4)**

و بالتالي تحدد هذه الفترة كبداية للكتابات اللسانية العربية الحديثة.

---

(1): ينظر: حلمي خليل: العربية و علم اللغة البنيوي، ص148.

(2): ينظر: عبد السلام المسدي: مراجع اللسانيات، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1989، ص: 22.

(3): فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص: 19-20.

(4): المرجع نفسه، ص: 20.

بعد محاولة تحديد زمن ظهور الكتابات اللسانية العربية الحديثة، فحاول معرفة كيفية تعامل الأوساط العربية معها، و المكانة التي حظيت بها.

لا شك أن أصعب الأمور بداياتها، و كذلك كانت بداية الكتابات اللسانية العربية الحديثة "لقد كان اللسانيون العرب يتوجّسون مما قد يُجَابَهُونَ به من ردود أفعال مناهضة لنشاطهم، سواء من المشتغلين باللغة أو من الجهات الجامعية و المؤسسات العلمية التي ترعى النشاط اللغوي.

فقد استشعروا صعوبة تقديم المناهج اللسانية الحديثة للقارئ العربي، و لم تكن الصعوبة في عملية عرض هذه المناهج بقدر ما ارتبطت بإقناع الآخر بجدوى هذه العملية" **(1)**

فتخـــوف اللسانيين العـــرب المحدثين كان من كيفيـــة تقبل الأوســـاط العربيـــــة لهذه الأفكـــــار الجديدة التي أتوا بها من العالم الغربي إلى العالم العربي الذي كان محصورا في قضايا النحو العربي، و في القضايا التراثية الأخرى "و الحقيقة أن لهذا الشعور ما يسوغه في وضعية الدراسات اللغوية في تلك المرحلة، إذ اتسمت بالجمود لولا محاولات متفرقة كان هدفها إحياء النحـــــو، و إعادة صياغة قواعـــده. فقد ساد الاعتقاد، و لعله سائد لدى الكثيرين اليوم أيضأن بأن علوم العربية بلغت النضج و الاكتمال، و هو اعتقاد جعل العربي ينظر بقداسة للإرث اللغوي الذي خلفه القدماء". **(2)**

فالوضعية التي كان يعيشها الوسط العربي كانت هي سبب تخوف اللسانيين العرب المحدثين يتخوفون من تقديم هذا المشروع الجديد على هذا الوسط و يصرح بعض اللسانيين العرب في كتاباتهم بذلك فيقول محمود السعران أن أغلب المشتغلين باللغة في البلاد العربية "يرفض النظر في هذا العلم الجديد، أو لا يحاول تفهمه، أم يعجب أن ما في يده من علم قد يحل محله علم آخر حادث وافد من (البلاد الغربية) و خيرهم ظنا بهذه الدراسة الجديدة و بالقلة القائمة بها من أبنا العربية يعد علم اللغة أو بعض فروعه، كعلم الأصوات اللغوية (ترفا) علميا لم يؤن الأوان بعد الانغماس فيه أو التطلع إليه". **(3)**

و الصرف أو الاشتقاق و معرفة الشوارد النـــادرة وحوشي الكلام، و تمييز الفصيـــح من غير

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 16.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 16.

(3): محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، القاهرة، ط2، 1997، ص:27..

الفصيح (...) و ليس شيء من هذا، و لا بهذا كله، يكـــــوِّن ما تعارف المحدثـــون في أوروبا و أمريكا على تسميته علم اللغة". **(1)**

فهذه الأسباب جعلت الدارسين العرب يتخوفون مما سيقدمونه من دراسات و أفكار جديدة لم تعهدها هذه الأوساط، و كانوا يدركون في بعض الحالات أن محاولاتهم ستواجه بالرفض يقول عبد الرحمن أيوب في كتابه دراسات نقدية في النحو العربي "أما كيف يتلقى الناس هذا الكتاب فإني أعلم مقدما أن منهم من سيعتبره كفرانا بثقافتنا التقليدية، و تجريحا لسلفنا اللغوي الصالح". **(2)**

و لعل السبب في هذه النظرة إلى اللسانيات الغربية الحديثة الظن السائد بأن اللسانيات الغربية تستمد شرعيتها من دراسة اللهجات على أساس أنها علم يقوم على دراسة الكلام البشري من دون تمييز أو انتقاء. مما جعل المشتغلين باللغة و غيرهم ينظرون إلى هذا العلم بشيء من الريبـــة و الشك خاصة و أن الدرس اللغوي الحديث ارتبط عندنا بالجهد الاستشراقي عموما، و أن بعض اللغويين العرب وظفه توظيفا خرج به عن المقصد العلمي الخالص و ابتعد عن الموضوعية كما فعل أصحاب الدعوة إلى العامية **(3).**

فهذا أيضا سبب من بين الأسباب التي جعلت الأوساط العربية تتخوف من الدراسات اللسانية الحديثة، و قد أشار عبد الرحمن أيوب إلى ذلك حين تصدى لدراسة اللهجات العربية في ضوء اللسانيـــات، فقال أن هذه الدراســـة لا تزال "في جامعات العالم العربي و معاهده أمرا جديدا و غريب" **(4).**

و يرى بأن السبب في ذلك هو وجود من يرى في دراسة اللهجات "دعوة للنهوض بها حتى تصل كلٌّ منها في موطنها محل العربية المشتركة" **(5).**

و ليس هذا هو السبب الوحيد إنما هناك عوامل أخرى تتعلق بما كان سائدا أيضا في الأوساط العربية كنظرتهم إلى اللهجات و دورها في الابتعاد عن الفصاحة. يقول عبد الرحمـــن

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 16-17.

(2): عبد الرحمن أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1957، تقديم المؤلف.

(3): عبد السلام المسدي: الفكر العربي و الألسنية، أشغال ندوة اللسانيات و اللغة العربية، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، سلسلة اللسانيات 4، 1978، ص:15.

(4): عبد الرحمن أيوب: العربية و لهجاتها، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، د.ط، 1986، ص:01.

(5): المرجع نفسه، ص:01.

أيوب "الأمر يتعلق بالنظرة التقليدية للهجات، و اعتبارها نوعا من الفساد الذي أصاب اللغة الفصحى، و الذي يتحتم على من يهتم بأمر لغته و قوميته أن يجد له علاجا" **(1).**

و قد تبنت الجامعات و المعاهد في هذه المرحلة تلك النظرة التقليدية إلى المناهج اللسانية الحديثة، و يظهر ذلك جليا في كتابات أعلام الدراسات اللسانية العربية. يقول تمام حسان حين يذكر الصعوبات التي اعترضته أثناء تدريسه لهذه المناهج بكلية دار العلوم، يقول "... و كنت أتولى تدريس علم الأصوات اللغوية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم بالقاهرة، فيما بين عامي 1953-1959 كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة (...) و كنت أبيّن في تدريس هذا الموضوع ما تتطلبه الفصحى من إعادة النظر في منهجها و طريقة تناولها، و في سنة 1959 تحولت عن قسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم (و هو القسم الذي يعنى أساسا بالمناهج الحديثة في دراسة اللغة) إلى قسم النحو و الصرف و العروض، و هو المقابل التقليدي للقسم السابق الذكر، و كان من بين الدهاقين الذين يعيبون هذا الجديد، كبار رجال هذا القسم، و لقد أشفقت أول الأمر على ما يدور في رأسي من أفكار المنهج الوصفي أن تهب عليها رياح اللواقح و السلطة الرسمية و مطالب تنشئة الطلاب في النحو التقليدي" **(2)**

و من هنا تتضح الصعوبات التي واجهت الدراسات اللغوية العربية الحديثة في بادئ الأمر بسبب كثرة الذين يعيبون هذا الجديد و يرفضونه، متمسكين بالمقابل التقليدي.

المبحث الثاني: النشاط اللســانـــي العربي الحديـــث و صوره

وجدت اللسانيات العربية نفسها أمام ضرورة إقامة وضع جديد في البحث اللغوي. و قيام مثل هذا الوضع كان مرتبطا بضرورة نقل اللسانيات الغربية من سياقها المعرفي إلى سياق ثقافة أخرى هي الثقافة العربية، و بالتالي كان على اللسانيين العرب أن يعيدوا النظر في الموروث اللغوي، و قد كان ذلك أدق مهمة واجهت مشروعهم و كانت أساسية لتسويغ مشروعية هذا الخطاب اللساني الجديد.

و من خلال هذا القول يتبين لنا أن المقصود بالخطـــاب اللساني العربي الحديـــث الخطاب

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 01.

(2): ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1998، ص: 7-8.

الذي تعكسه الكتابات اللغوية التي تستند نظريا و منهجيا للمبادئ التي قدمتها النظريات اللسانية في مختلف اتجاهاتها الأوروبية و الأمريكية في إطار ما أصبح يعرف باللسانيات العامة.

فيمكن أن نقول أن صور النشاط اللساني العربي تتمثل في اتجاهات حركة التأليف التي تنوعت بين مصنفات عنيت بدراسة مستويات اللغة العربية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، و أخرى حاولت تقديم اللسانيات الغربية للقارئ العربي، ثم تلك التي كرست لنقد النحو العربي من وجهة النظر الحديثة، و بين حركة الترجمة التي لم تكن حركة واسعة **(1)**.

لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو انه ليس من السهل تصنيف الكتابات اللسانية العربية الحديثة بسبب تداخل المواقف و الآراء و حتى بالنسبة إلى اللساني الواحد فـــ "قد يأخذ بأكثر من موقف دفعة واحدة، أو ينتقل من موقف إلى آخر خلال فترات حياته العلمية. و نظرا للتطورات التي عرفتها النظريات اللسانية فقد عرف الخطاب اللساني بدوره اتجاهات متعددة الأمر الذي يجعل كل محاولة تستهدف ترتيب الكتابة اللسانية و تصنيفها عملية محفوفة بكثير من الصعوبات" **(2)**.

فتصنيف و ترتيب الكتابات اللسانية العربية الحديثة يتطلب إحاطة شاملة و فحصا دقيقا لمصادر المادة المعروضة للتصنيف و ضرورة التحلي برؤية نظرية شاملة و منهجيـــــة عامة و شاملة عن العمل اللساني بسبب الصعوبات الآتية: **(1)**

1- استحالة القيام بتصنيف شامل لانعدام استقراء تام لكل الأدبيات اللسانية العربية الحديثة.

2- عدم استقرار الكتابات اللسانية العربية على خط نظري واحد. فقد يعرض اللساني العربي بالدرس و التحليل لقضية معينة من وجهة لسانية يتبع فيها أحدث النظريات اللسانية لكنه سرعان ما يتبنى في قضية أخرى موقفا تقليديا يعيد فيه ما قاله القدمـــــاء و ربما بكيفية أقل توفيقا. وقد يحصل الانتقال من موقف إلى آخر في ثنايا الدراسة الواحدة.

خضوع عملية التصنيف في معظم الحالات لرؤية صاحبها المنهجية و لموقفه الشخصي من اللسانيات. و من ثمة لا يعدو أن يكون التصنيف انعكاسا ذاتيا لموقف نظري و رؤية منهجية معددة قبليا.

---

(1): ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص:22.

(2): مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 86-87.

(3): المرجع نفسه، ص: 86.

و مع ذلك فقد خضعت الدراسات اللسانية العربية الحديثة إلى الكثير من التصنيفات* التي يمكن القول بأنها مشابهة إلى حد بعيد. لكن قد يكون أشملها تصنيف مصطفى غلفان لأنه وضح و حدد معايير تصنيـــف هذه الكتابات اللسانية علينا أولا أن نحدد معاييـــر لتصنيفها، و يحصر هذه المعايير في:

1- الغاية أو الهدف من الدراسة

2- موضوع هذه الدراسة: أهو تراثي أم حديث، أم انه مزيج من الاثنين

3- المنهج المتبع في هذه الدراسة **(1)**

و هذه المعايير ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا، حيث نخلص في النهاية إلى التصنيف أو التقسيم نفسه و يمكن ترجمة ذلك من خلال ما يلي:

الكتابة (الصنف)	الموضوع	المنهج	الغاية
- كتابة تمهيدية	- النظريات اللسانية: أعلامهـــا، قضاياهـــا و مباحثها، ...	- تعليمي	- تحبيط المعرفة اللسانية
- لسانيات التراث	- التراث اللغوي العربي	- القراءة و إعادة القراءة	- مقارنـــة التـــراث بالفكـــــر الحديث
- لسانيات عربية	- ظواهر من اللغة العربية	- لساني حديث (تاريخي، وصفي، تقابلي، ...)	- وصف اللغة العربية

***** من بين هذه التصنيفات:

- أحمد المتوكل: نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع1، 1977، ص:91. يربط أحمد المتوكل تصنيف الكتابات اللسانية العربية إلى اتجاهات بالمنهج الذي يتعين إتباعه في دراسته العربية.
- فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص: 5-6.
- ياسر سليمان: التراث اللغوي العربي و الدراسات اللغوية الحديثة، ص: 31.
- مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص: 341-343.
- زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، ص: 245.
- محمد الصالح بن عمر: النص الفكاهي في درس النحو، ص: 12.
- سعد مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات و مثاقفات، ص: 19.

(1): ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 90-91.

و لا تختلف التصنيفات الأخرى في مضمونها عن هذا التصنيف كثيرا، حيث تكاد تجمع على أن الكتابـــات اللسانية العربية الحديثة إمّا كتابات لسانيـــة تمهيدية تعرف باللسانيات و اتجاهاتها و أعلامها، أو لسانيات تراثية تتخذ التراث اللغوي العربي موضوعا لها، أو أنها لسانيات عربية تتخذ ظواهر من اللغة و تدرسها.

و سنحاول من خلال هذا المبحث التعرف على هذه الاتجاهات.

1- الكتابات التمهيدية (تقديم النظرية اللسانية الغربية):

لقد حتمت الوضعية الخاصة للسانيات العربية من جهة أنها محاولة لنقل النظرية اللسانية الغربية الحديثـــة على اللسانيين أن يفردوا جـــــزءا بارزا من نشاطهم لتقديم هذه النظريـــــة و عَرضها، أي تقديم ذلك الخط النظري الذي ارتبطت به اللسانيات العربية ارتباطا وجوديا للقارئ العربي، و لقد كان هذا العمل إلزاميا على الدرس اللساني العربي الحديث، فهو ما يعطي المسوغات النظرية له و يميزه عن سائر النظريات في اللغة **(1)**.

على الرغم من – المساهمة المعتبرة للسانيات التمهيدية في تقدم البحث اللساني العربي في بعض مناحيـــه، فإنها لم تسلم في نظر الباحثيـــــن من بعض الهفـــوات التي يمكن تلخيصها فيما يلي: **(2)**

- الارتباك في تحديد مجال البحث اللساني: و يرجع هذا الارتباك و الغموض إلى طبيعة المصادر التي تقدمها بعض الكتابات التمهيدية، و هي مصادر عامة بعيدة نسبيا عن اللسانيات بمعناها العلمي الدقيق.

كما يفسر هذا الارتباك بعدم تحديد موضوع علم اللغة تحديدا دقيقا، فالمتتبع لموضوعات الكتابة اللسانية التمهيدية، و تحليلها يلاحظ أنها حصرت مجالات علم اللغة في نطاقه الواسع، أي دراسة اللغة في إطارها العام تاريخيا و حضاريا و اجتماعيا و نفسيا و لم تهتم بالمبادئ اللسانية العامة إلا في حالات نادرة.

---

(1): ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص: 22.

(2): ينظر: حافيظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة. نحو مقاربة إبستمولوجية. مجلة اللسانيات و اللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات و اللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، ع2، 2006، ص: 24-25.

- غياب تقنيات التحليل اللساني: يشكل الجانب التقني أحد الجوانب الأساسية التي تتوسل بها اللسانيات في فرض منهجية علمية للتحليل، غير أن الأمر في الكتابة اللسانية التمهيدية ليس على هذه الشاكلة. حيث يمكن القول أنه من النادر وجود كتابة تعرض التقنية المتبعة في التحليل اللساني، أي أدوات تقنية و طرق إجرائية في التحليل المباشر للغة. رغم أن أغلبية الكتابات اللسانية التمهيدية ذات منحى وصفي بالأساس، فإنها لم تعمل على تقديم المنهجية المتبعة في هذا الاتجاه من اتجاهات الكتابات اللسانية الحديثة.

الكتابات اللسانية التمهيدية تتحدث عن موضوعات علم اللغة بإسهاب إلاّ أنها لا تتطرق للكيفية التي يتم بها تناول هذه الموضوعات لسانيا، سواء أ في إطار المنهج الوصفي أم التاريخي أم أي منهج آخر، و هذا ما يضع القارئ أمام تساؤلات عديدة و تربكه. و السبب في ذلك طبعا هو أن تعامل الكتابة اللسانية التمهيدية مع تقنيات التحليل عموما ظل منحصرا في تقديم معلومات تعود إلى بداية هذا القرن في صيغ يغلب عليها الطابع الأدبي. أما النفاذ إلى عمق المناهج اللسانية، باعتبارها أجهزة مفاهيمية لها أدواتها الواصفة التي تضبط عملية التحليل الوصفي للغة معينة فذلك ما لم تتمكن الكتابة اللسانية التمهيدية من القيام به بشكل كاف، و إن كانت بعض الكتابات اللسانية الصادرة منذ الثمانينات قد تجاوزت نسبيا هذا النقص.

- عدم مواكبة النظريات اللسانية: تتميز النظريات اللسانية بالتجدد، و خاصة النماذج المتأخرة منها، كتلك التي عرفها النحو التوليدي، و النحو الوظيفي، غير أن المطلع على الكتابات اللسانية العربية التمهيدية يجد أنها لا تسير على هذه الخطى فهي لا تواكب في مجملها التطورات التي حصلت في البحث اللساني الحديث، و ما عرفته النظريات من تغييرات و تطورات جديدة، و تكاد المرحلة التي تتناولها الكتابة التمهيدية المرحلة البنيوية، في إطارها البنيوي في انجلترا.

و تظهر عدم المواكبة خصوصا في كتابات لسانية تمهيدية ينحصر النظر فيها في مجالات لسانية عديدة [صوت، تركيب، دلالة] في فترة زمنية محددة من تاريخ اللسانيات و لا تتجاوزها دون أن تعير اهتماما للتطورات التي عرفتها اللسانيات في إطار النحو التوليدي مثلا.

و هناك جوانب عديدة تمثل لعدم قدرة العديد من اللسانيين مواكبة مستجدات البحث اللسانـــــي و بذلك لم تقدم الكتابة التمهيدية للقارئ العربي المبتدئ المعلومات الكفيلة بمواكبة مستجدات النظريات اللسانية و تطوراتها **(1)**

اللغة العربية في الكتابة التمهيدية:

اللغة العربية أساس البحث في الكتابة اللسانية التمهيدية العربية، غير أن هذه الكتابة "تخلو من أي ربط يبين ما تقدمه من معلومات لغوية و الواقع اللغوي العربي، و تكثر الكتابات التمهيدية العربية من المثال التطبيقي المأخوذ مباشرة من اللغات الأجنبية خاصة اللغة الإنجليزية. و يعطي عدم انشغال الكتابة التمهيدية بأمثلة من اللغة العربية الانطباع لدى القارئ عامة أو المبتدئ على وجه الخصوص، أن هذه المبادئ المعروضة عليه لا تمس اللغة العربية في شيء، و لا تنطبق عليها، و بالتالي لا تهمها" **(2)**

و إذا كانت بعض الكتابات قد نجحت في أن تأخذ أمثلتها من العربية، فإن ما يلاحظ عليها أن أمثلتها بسيطة، و تطرح أكثر من إشكال نظري، كما هو الشأن مثلا بالنسبة إلى تحديد بنية الجملة العربية، إذ لا نجد تصورا واحدا لتمثيل بنية الجملة البسيطة، سواء تعلق الأمر بالمنظور البنيوي أو المنظور التوليدي.

و ترجع النقائص السابقة إلى جملة من العوامل يمكن تلخيصها في: **(3)**

- الإفراط في التبسيط
- الجنوح إلى التعميم الشديد
- إهمال المصادر العلمية

كل ذلك يتعارض مع كل كتابة لسانية تمهيدية جادة و منفتحة، يمكن أن تساهم في خلق وعي لساني جديد في الثقافة العربية.

كما كان تقديـــــم اللسانيين العرب للنظريـــة اللسانيـــة الغربية قد اتخذ مســـارا خاصا، فاللسانيين العرب لم يعنـــوا بالتطور التاريخي للنظرية اللسانية المعاصرة، و تقديـــــم مدارسها

---

(1): ينظر: حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص: 25.

(2): مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 120.

(3): ينظر: حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص: 26.

و اتجاهاتها، و لم يعنوا كذلك بالبحث في الأســـــس النظرية و المعرفيـــة لهذه النظرية. بل إنهم حاولوا ما يمكن تسميته "تعريب النظرية"، أي تقديـــم هيكل نظـــري كامـــل من دون الوقوف على إحالاته و مرجعياتـــه المعرفية. **(1)**

و الأجدر أن تعرب هذه النظريات من خلال مراعاة اللغة العربية و قوانينها و قواعدها يقول عبد الرحمن أيوب: "إن على اللسانيين العرب أن يعربوا النظريات اللسانية من خلال عرضها في نطاق اللغة العربية، و إن تطور اللسانيات العربية يجب أن يعتمد دراسته لغة الدارسين، بدلا من ترجمة النصوص؛ أي أن المفاهيم اللسانية لا يمكن فهمها إلا في نطاق لغة معينة، فمهمة اللساني إذن أن يدرس المشكلات اللغوية القديمة وفق منهج حديث". **(2)**

إن نسخأة اللسانيات العربية الحديثة ارتبطت باللسانيات البنيوية التي كانت من جهتها الفاصلة الكبرى في تأريخ التفكير اللساني، حاول اللسانيين العرب تقديم جملة من المفاهيم التي قدمتها اللسانيات البنيوية إلا أن معظم هذه المفاهيم المقدمة في إطار اللسانيات العربية، إنما كانت ترجع إلى المصادر الثقافية و الدراسية للسانيين العرب، و أن هؤلاء لم يحاولوا الإحاطة بسائر مفاهيم اللسانيات البنيوية التي تشعبت في عدة مدارس.

2- الكتابـــات التراثيـــة:

كان الظن باللسانيات المعاصرة بما هي علم وافد أن يزيدنا علما بتراثنا اللغوي، و أن يزودنا بتقنيات منهجية ضابطة تعيننا على الكشف و التحليل. و من الطبيعي أن يكون التراث هو ميدان المعركة الأول بين حاملي العلم الوافد و الذين يعدون أنفسهم حماة التراث. كما أن هذا الميدان كان هو الميدان الوحيد الذي يمكن فيه اللسانيات الحديثة أن تثبت جَدَاهَا في حل الإشكالات و تفسير الغوامض و التماس العلل لكل ما قصرت وسائل البحث التقليدية عن القيام به. **(3)**

إن أول ملاحظة يمكن تسجيلها بخصـــوص هذا الوضع في نظر الباحث "أن المنهجية المعروفة بالقـــراءة أو إعادة القـــراءة، لا تجيب بالتحديـــد عن جملـــة من الأسئلـــة منها: ماذا نقـــرأ ؟ و كيف نقرأ ؟ في ضوء ماذا نقرأ ؟ إنها أسئلة تجعل الكتابة اللسانية القرائية لا تستند إلى أساس

---

(1): ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص:23.

(2): عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة، بغداد، 1966، كلمة المؤلف.

(3): ينظر: سعد عبد العزيز مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة، ص: 28.

نظري أو منهجي محدد لعدم استناد القراءة نفسها إلى وضع إبستمولوجي محدد في غياب منهجية واضحة المعالم". **(1)**

إن الهدف هنا هو الكشف عن بعض القضايا النظرية و المنهجية العامة التي تثيرها لسانيات التراث، و الكشف عن النتائج المترتبة عن ذلك؛ فالقراءة في هذا النمط من اللسانيات تطرح إشكالات كثيرة منها جملة من القضايا الفكريـــة تبقى أهمها إشكاليـــة "هوية" التراث اللغـــوي و علاقته بالنظريات اللسانية و تنوعها، فـــ "إذا تناولنا مثلا المستوى النحوي لهذا التراث اللغوي، فإننا نعرف أنه يشكل منظومة مرجعية خاصة بالثقافة العربية الإسلامية القديمة. إنه نسق فكري وضع في فترة تاريخية محددة نتيجة عوامل معينة، و قام على أسس فكرية معينة باعتباره جزءا من بنية ثقافية عامة هي الثقافة العربية بمختلف مكوناتهـــا الحضارية (فكريـــة و اجتماعية و دينيـــة و سياسية) غير أن تعدد القراءات يفقد التراث اللغوي العربي خصوصيته الحضارية، و ذلك عندما نجعله قابلا لأن يصاغ حاضرا و مستقبلا في أي نظرية لسانية ممكنة اليوم و غدا. ما تنتهي إليه القراءة أنه كلما ظهرت نظرية لسانية جديدة فإن النحو العربي يكون قادرا على احتوائها" **(2)**

فهل من المعقول أن يكون النحو العربي بنيويا و توليديا و وظيفيا في أسسه النظرية و المنهجية ؟ إن هذا غير ممكن إطلاقا و كل توجه من هذا القبيل يوقعنا في "مفارقة منهجيـــة و مغالطة إبستمولوجية. إن ما يكون بنيويا تصنيفيا لا يمكنه أن يكون في الوقت ذاته توليديا تحويليا نظرا لاختلاف الأسس النظرية و المنهجية بين التصورين" **(3)**

و بالتالي تكون هذه القراءات عبارة عن إسقاطات ظرفية تسيء إلى التراث اللغوي العربي أكثر مما تخدمه حينما ترده إلى نسق شمولي مطلق بدلا من اعتباره نسبيا مرتبطا بشروط تاريخية و عوامل فكرية و سياسية معينة.

---

(1): حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص: 27.

(2): حافظ إسماعيل علوي – امحمد الملاح: قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009، ص: 281-282.

(3): المرجع نفسه، ص: 282.

أ- القــراءة بعد التأويــل الذاتـــي و الطــرح المنهجـــي:

من المعروف أن القراءة تعتمد أساسا تأويل النصوص و استنطاقها. بيد أن هذا الاستنطاق يتم عادة بعزل النصوص عن أسيقتها الأصلية في بعض الحالات فهي قراءة "لا تنظر إلى المقروء كما هو في شموليته و كليته و لحظاته التاريخية. إنها لا تهتـــم بالتراث إلّا في إطار ما تستهدفه من وراء عملهـــا ممارسة نوعا من الانتخاب و الانتقاء و نزع النصوص من سياقها التاريخي، ثم إعـــادة زرعها في سيـــاق جديد و إسقاطها على الماضي (إلى الوراء) و على المستقبل (إلى الأمام) و عن التأويلات الحرفية أو الباطنية و المبالغات المعنوية" **(1)**

هذا ما تفرضه الظروف التي نشأت فيها لسانيات التراث، و مهما حاول بعض لسانيي التراث إخفاء هذا الهدف مؤكدا أنه يريد بحثا موضوعيا و أن "هذا التراث مقصود لذاته بذاته حتى إذا جلونا خصائصه نطق بنفسه عن مضامينه النوعية" **(2)** فإن هذا الكلام توجهه غاية أخرى حددها الباحث نفسه عندما ذكر أن غرض دراسته هو "الكشف عن جوانب مغمورة من لسانيات العربية لأن الغرب تجاهل المرحلة العربية و هو يؤرخ للفكر اللساني في الحضارة الإنسانية دون أن يعير أدنى اهتمام لقيمة الفكر اللغوي العربي" **(3)**

لقد تجاوزت الكتب التي تؤرخ لعلم اللغة مرحلة التراث العربي لكن هل يمكن القول بأن لسانيات التراث من شأنها أن تعيد للتراث العربي مكانته بين هذه الدراسات و تعطيه بعده الحضاري ؟

يرى غلفان أن هذا غير ممكن لأن القراءة لا تريد إثباتا للذات العربية الإسلامية فحســـب، و لكنها تضع التراث اللغوي فوق اللسانيات نفسها و هذا غير ممكن على الأقل من الناحية الموضوعية نظرا لاختلاف الأسس النظرية و المنهجية بين التفكيرين **(4)**

و المتابعة الدقيقـــة للقراءة التي يقدمهـــا لسانيي التراث تكشـــف عن "فهم عام لمضامين النظرية اللسانية و إدراك غير واضـــح لها بسبب تداولهم إيـــاها تداولا حدسيـــا و تلقائيا متناسبيـــن في حالات عديـــدة مصادرها الفكريـــة و الأسس النظرية و المنهجيـــة التي تقـــوم

---

(1): مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 27.

(2): المرجع نفسه: ص: 149.

(3): المرجع نفسه، ص: 149.

(4): ينظر: المرجع نفسه، ص: 149.

عليها. إن ما تعتبره القراءة اللسانية مفاهيم بسيطة مثل مفهـــوم العامـــل، و مفهوم الحالـــة، و مفهوم البنيـــة العميقة و البنية السطحية، و مفهوم التحويل، و غيرها من مفاهيم التوليدية هي في العمق غير ذلك. إن المفاهيم اللسانية الحديثة ترتبط في جوهرها بمبادئ منهجية على جاني كبير من التعقيد النظري باعتبارها جزءا من شبكة من الإشكالات المتداخلة" **(1)**

أي أن الدراسة في أي مجال من مجالات البحث العلمي تقوم بمدى مساهمتها في تطوير مجالات البحث و تعميقها، أما استهداف التقارب لذاته فلا يفيد النظر العلمي في شيء، و من ثم لا أهمية له يقول مصطفى غلفان "ليس المهم في شيء أن نصل إلى مثل هذا التقارب، إن عمق المشكل يكمن في مساءلة الأسس المنهجية و الأبعاد النظرية للنشاط اللغوي العربي و نظيره الغربي الحديث. قد يحصل الالتقاء و التشابه بين الفكر اللغوي القديم و الفكر اللساني الحديث في كثير من المجالات المعرفية، كما يحدث صدفة أو عفويا بين جميع الثقافات الإنسانية. إن ما يتعين القيام به و توضيحه بالبحث و التنقيب هو كيف وضع هذا المفهوم أو ذاك في إطار نظري معين ؟ كيف يتم توظيفه ؟ و ما علاقته بمفاهيم أخرى ؟ من المؤكد أن انتقاء المفاهيـــم و عزلها عن الإطارين النظري و المنهجي اللذين يتحكمان في هذه المفاهيم لا يقود إلى نتيجة منهجية مفيدة" **(2)**

إن القراءة في لسانيات التراث تهدف إلى البرهنة على صحة البحوث اللغوية العربية من خلال مقارنتها بالبحوث اللسانية، و هي مقارنة تقوم على التصويت الكلي للبحوث اللغويـــة، و البحوث اللسانيـــة في الوقت نفسه و هو يتنافـــى في منظور الباحث مع مفهوم النظريـــة و شروطها إذ يجب أن تكون النظرية قابلة للإبطال أو على الأقل قابلة للتجاوز، في حين يكون ما تنادي به لسانيات التراث المتمثل في قابلية الفكر اللغوي العربي للقولبة و الاندماج في مجموع النظريات اللسانية الحديثة أمرا مستحيلا فلا يمكن – على الأقل من الناحية النظرية – البرهنة على صحة النظريات، كل ما يمكن القيام به هو البرهنة على خطئها، و كل نظرية لا تقبل الإبطال و الدحض هي ميتافيزيقا "إن الفرق بين العلم و الميتافيزيقا هو الإبطال" **(3)**

---

(1): حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص: 28.

(2): مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 151.

(3): حافظ إسماعيل علوي – امحمد الملاخ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات – ص: 279-280.

إن ما تقدمه لسانيات التراث يجعل أصالة التراث العربي مرتبطة أساسا بهذا الشكل من المقارنة، و هذا يعني أنه لا وجــود للتراث اللغوي العربي و لا لأصالته إلا بالارتباط المباشر بالنظريات اللسانية الحديثة. **(1)**

و بهذه الطريقة أصبحت اللسانيات الغربية الحديثة مقياسا لتقويم أصالة التراث العربي القديم لكن الأصـــل أن "أصالة هذا الفكر مرتبطــة بالإطــار الحضاري العربي الإسلامــي و بالشروط التاريخية التي وجهت التفكير اللغوي العربي في المسار الذي سار فيه بكل الملابسات و الأبعاد المعروفة" **(2)**

و بالتالي قراءة التراث العربي تكون بالرجوع بالنصوص القديمة إلى إطارها الذي قيلت فيه و ليس بمطابقتها مع ما هو حديث و ما هو غربي تحديدا.

و هذا ما يجب أن يكون لأن النظر في مبادئ التراث و تقييمها أمر مشروع، خاصة إذا كان الهدف هو تطوير الفكر اللغوي العربي القديم، و كان هذا النظر يعتمد قواعد البحث اللساني السليم بعيدا عن الذاتية و عن التأويل، لكن النظر إلى القراءة التي تقدمها لسانيات التراث يكشف أنها "أقرب ما تكون إلى العمل الفيلولوجي من حيث إنها تضع الشروح المساعدة على فهم النصوص القديمة. إن القارئ في مجال التراث العربي ليس إلاّ شارحا و فيلولوجيا، إنه يحاول أن يضع الشروح المساعدة على فهم النصوص القديمة فيجد نفسه من أجل تقريب فكر قديم من معاصريه (...) يلجأ إلى استعمال ألفاظ و تعابير حديثة.

و هكذا يأتي الشرح يختلط فيه القديم و الحديث عبر ألفاظ لا يربط بينها سوى إرادة الشارح.

لذلك لن تفيدنا النتائج المتوصل إليها عن طريق المقارنة أو التشابه اللذين تقف عندهما لسانيات التراث نظرا لتباعد أهدافها و أهداف العمل اللساني الصرف. إن دراسة اللغة سانكرونيا يتعلق بدراسة قواعد اللغة العربية العامة و طرق اشتغالها و الجهاز الواصف لهذه اللغة" **(3)**

و بالتالي يجب على الكتابة اللسانية العربية الحديثة البحث عن الطرق الكفيلة بدراسة اللغة العربية وفق ما يقتضيه منطق الدراسة العلمية و ما يقدمه من أدوات إجرائية.

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 280.

(2): مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 54.

(3): المرجع نفسه، ص: 156.

و ختاما يمكن القــول بأن اللجــوء إلى قــراءة الفكر اللغـــوي العربي القديـــم يفرض أن نميــز بين موقفيـــن: "موقـــف حضاري تكون فيه القراءة فعلا وسيلة تكفل لنا التعرف على ذواتنا حضاريا و تسمح لنا بإبراز خصوصياتنا أمام تحديات العصـــر المتعـــددة. و في هذا الاتجاه تعتبر القراءة وسيلــة ناجحة للتعريف بالتـــراث اللغــوي العربـــي لا باعتباره جزءا من تاريخ الفكر العربي فحسب و إنما باعتباره أيضا محطة تاريخية في مسار الفكر اللغوي الإنساني لا يمكن تجاهلها.

موقف علمي: حيث ينبغـــي أن ينظر للتـــراث على أنه إنتاج معرفي محدد بإطار تاريخـــي و ثقافي يوضح مصادره الفكرية و يرسم الخطوات و المراحل التي اتبعها لتحقيق جملة من الأهداف الفكرية و الاجتماعية و السياسية يقتضي منا أن ننظر للتراث اللغوي العربي باعتباره نتاج مرحلة من مراحل الفكر الإنساني التي تفاعلت مع مراحل أخرى" **(1)**

و عليه وجب التفريق بين طبيعة العمل اللساني باعتباره ممارسة و يبين البحث اللغوي بصفته إسهاما حضاريا.

3- تطبيق المناهج الغربية على النصوص العربية:

الواضح من العنوان أن أصحاب هذا الاتجاه قاموا بتطبيق النتائج التي قدمتها المناهج الغربية الحديثة على النصوص العربية، و بالتالي استفادت من المناهج اللسانية، و ذلك من خلال اعتمادها على ثلاثة اتجاهات:

- اتجاه بنيوي وصفي.
- اتجاه توليدي تحويلي.
- اتجاه تداولي وظيفي.

أ- اتجاه بنيوي وصفي:

يربـــط ظهور المنهج البنيوي الوصفي بالعالم اللغــوي السويسري فردناندي سوسيـــــر (Ferdinand du Saussure) حيث اعتمد هذا الأخير على الوحدات الشكلية في تقييم الكلام المنطوق بالانتقال من المركب إلى البسيــط و أصبحت "ثورة في عالم الدراســات اللغوية، بما

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 164.

فعلته في ساحة هذه الدراسات، فحولت مسارهـــا من قصرها على الدراسات الفيلولوجية للغات" **(1)**

و هذا ما حاولت الكتابات اللسانية الوصفية العربية تطبيقه على اللغة العربية لكنها "لم تنطلق – كما فعل اللسانيين الغربيون – من طبيعة اللغة العربية في عملية الوصف هاته مكتفية بمحاولة التطبيق لبعض المفاهيم التي روجتها اللسانيات الوصفية" **(2)**

كما تميز تعامل الكتابة اللسانية العربية الوصفيـــــة مع مبادئ اللسانيات العامة بالتبسيـــط، و اتسم تعاملها مع قضايا اللغة العربية من الناحية الوصفية بكثير من السطحية بسبب انعدام التحليل الوصفي العميق و من أمثلة ذلك قولهم "بما أن الجملة عملية إسنادية فلا فائدة من تقسيم الجملة إلى فعلية و اسمية، إذ لا ترى اللغة العربية في تقديم المسند إليه على المسند محـــذورا، و خاصة إذا حقق تقديمه غرضا اقتضاه القول و تطلبه ملابسات الكلام.

فالجملة التي تبدأ باسم مسند إليه أو بفعل مسند هي في كلتا الحالتين جملة إسنادية و لا فرق بين "جلس الولد" "الولد جلس".

فالجملتان السابقتان متماثلتان لم يطرأ عليهما أي تغيير وظيفي، و لذا ترسمان في المخطط المشجر المبسط على الشكل التالي:

(3)

كما يقرر احد الدارسين بكل بساطة أن "كل جملة مفيدة تتألف من موضوع أي شيء يتكلم عنه، و من خبر عن موضوع و هذا يسقط من الحسبان الجملة الاسمية و الفعلية" **(4)**

---

(1): حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 1994، ص: 01.

(2): حافظ إسماعيل علوي، امحمد الملاخ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص: 286.

(3): ريمون طحان: الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1972، ج2، ص: 55.

(4): أنيس فريحة: في اللغة العربية و بعض مشكلاتها دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 1966، ص: 75.

إن في هذا الضرب من التحليل لبنية اللغة العربية من الناحية الوصفية خلل منهجي نظرا للتحليل المبسط و السطحي لأحد أهم المشاكل التي تعترض اللغات الإنسانية و المتعلقة بمشكل الرتبة.

و يمكن للمتتبع أن يلاحظ اعتماد هذا النوع من التحليل لكل ما هو سطحي و شكلي في دراسة موقع بعض الوحدات داخل الجملة مثل وجود الفعل قبل الاسم أو بعده. هل تكفي النظرة الشكلية لحل مشكل الرتبة في العربية ؟ إلى أي حد يمكن أن نقول بان الجملة الاسمية تماثل الجملة الفعلية انطلاقا من تشابه الشكل البياني الذي يمثلها ؟ و ما هي القيمة النظرية لهذا المخطط المشجر. **(1)**

فالكتابة الوصفية العربية فعلا لم تنطلق من طبيعة اللغة العربية في عملية الوصف هاته كما فعل اللسانيون الغربيون. بل اكتفت بمحاولة التطبيق لبعض المفاهيم الوصفية الشائعة.

ب- اتجـــاه توليـــدي تحويلـــي:

ظهرت المدرسة التوليدية التحويلية في أمريكا على يد العالم اللغوي نوام تشومسكي (N.Chomsky)، و بعد ثورة لغوية كبرى في الربع الأخير من القرن العشرين.

و قد انتبه إلى أهمية هذه الدراسات أكثر من واحد من المثقفين العرب، و ذلك في بداية السبعينات من القرن العشرين فظهر ما يعرف بالكتابة اللسانية التوليدية العربية **(2)**

هذه الكتابات التي واكبت بعض التطورات التي عرفتها نظرية النحو التوليدي التحويلي، لذلك اتسمت هذه الكتابة بتعدد مصادرها و أصولها و اختلاف النماذج التوليدية التي تم من خلالها النظر إلى قضايا اللغة العربية. و قد نتج عن هذا التعدد جملة من التحاليل التي تتبنى وصف اللغة العربية توليديا، و ابرز هذه المحاولات محاولة عبد القادر الفاسي الفهري، محاولة خليل أحمد عمايرة، مازن الوعر، ... **(3)**

لقد عرضت بعض الكتابات النقدية بتفصيل الأطر النظرية و المنهجية للنظرية التوليديـــة،

---

(1): ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 189.

(2): ينظر: عبد الرحمن حاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، د.ط، 2007، ج1، ص: 229.

(3): ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 203.

و التغيرات التي عرفتها في نظمها الأصلية لتصل إلى الكشف عن خصوصيات الكتابة التوليدية في الثقافة العربية.

و المتتبع لمسار الدرس التوليدي في الثقافة العربية يلاحظ أن الكتابة التوليدية العربية قد تمكنت "من تقديم جملـــة من الاقتراحات الجديــــدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتـــا و صرفـــا و تركيبا و دلالة و معجما. و جاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلا و مضمونا لنظيرتها الغربية أمريكيـــــة و أوروبية من عدة أوجه، في مقدمتها تقيدها المطلق بشـــروط و قواعد البحث العلمي اللساني و خطابه" **(1)**

لقد عرفت النماذج التوليدية تطـــورات متلاحقة، فرضت على كل باحث فـــي إطـــار البحث اللساني التوليـــدي مواكبـــة المستجـــدات و المتغيرات الطارئة، فقد "أصبحـــت دراسة اللغة العربيـــة محكومــــة بجملـــة من الأصول و المفاهيم النظرية و المنهجية المضبوطة، فبدون معرفة الإطار الذي تتدرج فيه هذه الكتابة أو تلك، لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك طبيعة تحليل المقدمة و نتائجها النظرية. فلم يعد ينظر للغة العربية نظرة حرة اعتباطية قائمة على التأمل و الانطباع، و إنما تتقيد المقاربة بالإطــــار النظري للنموذج الذي تشتغـــــل فيه و تحاول تطبيقه على اللغة العربيـــة مستعملة مجموعة من وسائل الاســـــتدلال و البرهنة على ما تقوم به" **(2)**

و بالتالي فقد حققت الكتابة التوليدية التحويلية مجموعة من الأهداف من خلال هذه المجهودات المتواصلة و يمكن تلخيص هذه الأهداف في: **(3)**

- تمكنهــــا من صياغة قواعــد للظواهر اللغوية المدروســة تتسم بالبساطة و الوضوح و الأناقة، على غرار ما هو معروف في النحو التوليدي.
- تقديم قواعد عامة تفسر المعطيات تفسيرا شموليا، و هذا ما نجده في كتابات عبد القادر الفاسي الفهري، و داود عبده مثلا.

و هذه المجهودات المتواصلة جعلت الكتابة اللسانية التوليدية العربية تخضع لتعدد النماذج اللسانية و هو تعدد تلخص ايجابياته في:

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 223.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 223.

(3): ينظر: حافظ إسماعيل علوي، امحمد الملاخ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص: 289.

- إثراء البحث اللساني العربي.
- تقريب الدرس اللساني العربي من واقع البحث اللساني العالمي.
- تعميق المعرفة العلمية باللغة العربية.
- إثارة إشكالات جديدة و اقتراح الحلول المنهجية الممكنة.
- التحليل العميق و الشامل للغة العربية.

لكن هذا لا يعني أن الكتابة التوليدية العربية تجاوزت كل الصعوبات إنما هناك بعض الصعوبات التي لخصها الدارسون في: **(1)**

- عدم تقديم بحث توليدي كامل للغة العربية
- تناولها التجزيئي لقضايـــا اللغـــة العربية و الخلـــط بين النمـــاذج اللسانية، و السبـــب في ذلك أن التعامل مع النمـــاذج اللسانية اتسم برؤية مرحلية لا تبحـــــث عن المعالجة الشمولية لظواهـــر اللغة العربية و إنمـــا عـــن تقديم أشتات و منوعات من التحليل التوليدي الذي ينحصر في الاشتغال بمواد لغوية منتقاة من اللغة العربية أو مترجمة من لغات أجنبية تلائم النموذج المقترح، و بالتالي تكون الحصيلة وجود فراغات و قفزات في نحو اللغة العربية التوليدي.
- عدم التدقيق في فرضياتها و مدى ملاءمتها للغة العربية.
- أما فيما يخص الموضوعات و القضايا التي يقترحها التوليديون، فيلاحظ أنهم يكتفون بتقديم اللبنات الأولى، و هي لبنات أشبه ما تكون بتقارير عامة عن برامج العمل التي يرومون البحث فيها مستقبلا. لكنهم سرعان ما يتحولون إلى موضوعات جديدة مطبقين ما ظهر من افتراضات جديدة في البحث اللساني التوليدي دون أن يعودوا –لا نادرا– لتعميق البحث و التحليل فيما تم وضعه من لبنات أولى و الدفع بها نحو صياغة شاملـــة و عامة تأخذ بعين الاعتبار الظواهر المدروسة في تكاملها.

---

(1): ينظر: - المرجع السابق نفسه، ص: 290.

- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 235.

ج- اتجاه تداولي وظيفي:

إن المتتبع لمسيرة اللسانيات الوظيفية و لمصادرها الأساس يلاحظ أن تلك المصادر موزعة بين المنطق و الفلسفة اللغوية و بعض النظريات الحديثة "من المصادر الأساسية في المنطـــــق يمكننا ذكر أعمـــال فريجة و كارناب و راسل و طارسكي المتعلقة بظواهر الإحالة و التضمنات و الاقتضاءات و علاقة الدلالة بالتركيب.

أما المصادر الفلسفية، فتشمل أعمال شارل موريس في نهاية الثلاثينات من هذا القرن العشرين. لقد قسم موريس مجال البحث السيميائي إلى مستويات ثلاثة: التركيب، الدلالة و التداول.

كما ساهمت المباحث الفلسفية الحديثة في تطور بعض مظاهر الدرس اللساني في الاتجاه التداولي الوظيفي. يتعلق الأمر بما عرف بفلسفة اللغة العادية أو الفلسفة التحليلية. و من رواد هذا الاتجاه فتجانشتين و أوستين على سبيل التمثيل لا الحصر" **(1)**

و من خلال عرض مصطفـــى غلفان لتلك المصادر و الأســـــس استنتج غياب أي اهتمام حقيقي بالدراســـات التداولية العصرية في الثقافـــة العربية، و المحاولة الوحيدة التي وقف عليها في محاولة طه عبد الرحمـــــن و هو احد المفكرين العرب الأوائل الذين عرفوا بالفكر التداولي، و حاولوا تطبيقه في بعض اتجاهات الثقافة العربية الإسلامية "فقد اهتم طه عبد الرحمن بالقضايا التداولية من وجهة نظر منطقية و فلسفية مستمدا وسائله النظريـــة و المنهجية من علمين حققا نتائج باهرة، هما: اللسانيات و المنطق" **(2)**

و بالتالي اكتسبت هذه النظرية رؤية منهجية ناقدة تتم عن وعي كبير بأهمية المنهج العلمي.

و لقد عرفت اللسانيـــات الوظيفية تطـــورات متلاحقة تمثلت في أعمال مدرسة براغ، و أعمال اللسانيين التشيكيين المعروفة بالوجهـــة الوظيفية للجملة و المدرسة النسقيـــة (لندن)، و هذا ما عرضت له الكتب بالدرس و التحليل، كما عرضـــت لمبادئ النحو الوظيفي و بنيته العامة المتمثلة في البنية الحملية، و البنية الوظيفية، و البنية المكونية، و تبنى هذه البنيات بتطبيق ثلاثة أنواع من القواعد: قواعد الأساس، و قواعد إسناد الوظائف التركيبية و التداولية، و قواعد التعبيـــر، لتصل بعد ذلك إلى نحو اللغة العربية الوظيفـــي الذي تمثلـــه كتابات أحمد

---

(1): مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 246.

(2): المرجع نفسه، ص: 249.

المتوكل* و هي تتم عن متابعة دقيقة لتطورات نظرية النحو الوظيفي الذي وضعه سيمون ديك. كما تتميز هذه الكتابات بوحدة الرؤية النظرية و المنهجية، المحددة بأصول اللسانيات الوظيفية و تكييفها مع معطيات اللغة العربية، و ترتب عن هذه الوحدة في الأسس النظرية النظرة الشمولية لظواهر اللغة العربية المدروسة و التكامل فيما بينها. و قد مكنه ذلك من وضع جزء هام من نحو اللغة العربية الوظيفي. **(1)**

هذه بعض الصفات النظرية و المنهجية التي ميزت البحـــث اللساني العربي، و هي مميزات تكشف عن اختلاف و تفاوت واضحين بين اللسانيين العرب كل على حسب اتجاهـــه و طريقته في التعامل مع المعطيات اللسانية الغربية الحديثة، و مع التراث اللغوي العربي و كذا طبيعة اللغة العربية في حد ذاتها، و هذه الاختلافات هي التي حكمت عجز و نجاح هذه الاتجاهات في تحقيق أهدافها و السمو بالدرس اللساني العربي الحديث و توجيهه وجهة صحيحة تتسم بالدقة و الضبط كما سبق ذكر ذلك.

---

*: أعمال أحمد المتوكل الوظيفية هي:

- الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
- من البنية الحملية إلى البنية المكونية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987.
- من قضايا الرابط في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1987.
- الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1988.
- قضايا معجمية، منشورات عكاظ، الرباط، 1988.
- اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، 1989.
- آفاق جديدة في النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1993.
- الوظيفة و البنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1993.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، 1995.

(1): ينظر: - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، ص: 244-245.
- حافظ إسماعيل علوي، امحمد الملاخ: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، ص: 292.

مقدمـــة:

نشأت الدراسات اللغوية قديما و حديثا لتحقق معينة؛ فجاءت الدراسات القديمة في معظمها لخدمة الدين، و النصوص الدينية المقدسة عند العرب و غيرهم من الأمم، و جاءت الدراسات الحديثة لتغير هذا المسار، و تدرس اللغة دراسة علمية في ذاتها و من أجل ذاتها للوصول إلى قوانين عامة تحكم اللغات، و لمّا كانت لكل دراسة و في عصر غاية محددة، و موضوع محدد فذلك حال الدراسات العربية الحديثـــة؛ فهي الأخرى من شأنها أيضا أن يكون لها موضوع محدد و غاية محددة. لكن ليس من السهل تحديد هذه الغاية و هذا الهدف لأن الدراسات العربية الحديثة تعيش حالة من المد و الجزر بين طرفين: الأول عائد إلى الماضي باعتباره هوية الأمة الواجب الحفاظ عليها بتكريسها كرؤية صالحة لكل زمان و مكان، و التي يعد تجاوزها شكلا من أشكال الخيانة معتمدا في طرحه على كل أساليب التقويل و الاستنطاق، محاولا ربط كل جديد يظهر بالتراث و إن كان الربط مستحيلا.

أما الثاني فيعمل على تمثل الحاضر و استبعاد التراث باعتباره عملا وضع لزمن غير زمننا، و يعالج قضايا لم يعد لها وجود في واقعنا، و هو يمارس عبر طرحه هذا كل أشكال الاستيراد و التبني للمناهج و الرؤى الغربية على النتاج الفكري و اللغوي بحجج مختلفة كالعلمية و الحداثة ... و غيرها، عاملا في الوقت ذاته على تقزيم كل ما هو ذاتي.

و خضعت اللسانيات العربية الحديثة إلى الكثير من التصنيفات التي تكاد تجمع على أنها كتابات تمهيدية تعرف باللسانيات الغربية و اتجاهاتها و أعلامها، أو لسانيات تراثية تتخذ التراث اللغـــوي العربي موضوعا لها، أو أنها لسانيـــات عربية تتخذ ظواهر من اللغة العربية و تحاول دراستها، و تحاول أن تستوحي لتخلق الجديد سواء عبرت الزمان لتنقل عن العرب القدماء، أو عبرت المكان لتنقل عن الغرب المحدثين.

هذا التعدد و الاختلاف في اللسانيات العربية الحديثة يطرح إشكالا هو: هل التعدد في الكتابات اللسانية العربية الحديثة ناتج عن التذبذب في ضبط الموضوع، و الغاية من الدراسة؟ أم أن هناك أسبابا أخرى تتعلق بفكر و تكوين كل باحث؟ و تتعلق أيضا بالطريقة أو الظروف التي اطلع فيها على التراث أو التي اتصل فيها بالدراسات الغربية الحديثة؟

و انطلاقا من هذا الطـــرح اخترت "قضايا اللسانيـــــات العربية الحديثة بين الأصالـــــة و المعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر" كصيغة بحث أتعرف من خلالها على أهم القضايا التي تعالجها اللسانيات العربية الحديثة بمختلف اتجاهاتها، ثم محاولة تصنيف و إدراج كتابات أحمد مختار عمر في مكانها من هذه الأصناف و تحديد الاتجاه الأنسب لكل دراسة من دراساته التي تصب في مجال اللسانيات، و محاولة فهم آرائه من خلال الجديد الذي جاء به ليضيف إلى الدرس اللغوي العربي الحديث ليكون أحد روافد التراث الإنساني، و بهذا يأخذ بعده الحضاري و الفكري السليم و الصحيح.

و قد تم اختيار هذا الموضوع لمحاولة الاتصال و التقرب من جو الدراسات اللسانية العربية الحديثة و معرفة موقفها – موقف اللسانيات العربية الحديثة – من جديد الدراسات الغربية الحديثة و كذلك قيمة التراث العربي بالنسبة إليها و كيفية استثمارها له.

و قد تم اختيار كتابات أحمد مختار عمر تحديدا كنموذج للتطبيق كونه يشكل بكتاباته المتنوعة و ترجماته للكتب الغربية الحديثة قطبا من أقطاب الدراسات اللسانية العربية الحديثـــة و كونه ينطلق من التراث ليطعمه بمناهج جديدة، و يحاول إعادة قراءة ذلك الكم الهائل من كل ما أنتجته القريحة العربية – إعادة عرض، إعادة تصنيف، إعادة تطبيق، ... – و بالتالي يمكن أن تظهر من خلال كتاباته معظم صور النشاط اللساني العربي الحديث.

و يقتضي البحث في هذا الموضوع أن يكون المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفـــي التحليلـــي الذي يشرح و يحلل المعطيـــات قصد تبرير الأحكام تبريرا موضوعيـــا. و يفرض هذا المنهج وجود نموذج قابل للوصف و هو "كتابات أحمد مختار عمر" انطلاقا مما هو كائن.

و قد تم تناول هذا الموضوع في خطة تضم أربعة فصول يتقدمهم **مدخل** يتعرض للسانيات العربية الحديثة، حيث خصص المبحث الأول منه لحدود الدرس اللساني العربي الحديث، أما المبحث الثاني فللحديث عن النشاط اللساني العربي الحديث، و صوره المتمثلة في الكتابات التمهيدية، الكتابات التراثية، ثم تطبيق المناهج الغربية على النصوص العربية.

أما عن فصول البحث فهي أربعة كما سبق ذكره خصص **الفصل الأول** منها للأبعاد التراثية و الحداثية في كتابات أحمد مختار عمر من خلال المستوى الصوتي، فكان المبحـــــث

الأول منه للحديث عن الأصوات في التراث العربي، أما الثاني فللأصوات في الدراسات الغربية الحديثة في حين تضمن المبحث الثالث الأصوات في كتابات أحمد مختار عمر و موقفه من الدراسات الصوتية التراثية و من الدراسات الصوتية الغربية الحديثة.

أما **الفصل الثاني** فعنوانه الأبعاد التراثية و الحداثية في كتابات أحمد مختار عمر من خلال المستويين الصرفي و النحوي التركيبي و خصـــص المبحث الأول منه للحديث عن الصـــرف و النحو في التراث العربي، أما المبحث الثاني فللصرف و النحو في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، و تضمن المبحث الثالث الصرف و النحو في كتابات أحمد مختار عمر و موقفه من الدراسات التراثية العربية و الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

و **الفصل الثالث** خصص للأبعاد التراثية و الحداثية في كتابات أحمد مختار عمر من خلال المستوى الدلالي، و تضمن مبحثه الأول الدلالة في التراث العربي، في حين تضمن الثاني الدلالة في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، أما المبحث الثالث فخصص للدلالة في كتابات أحمد مختار عمر، و موقفه من الدراسات الدلالية التراثية، و الدراسات الدلالية الغربية الحديثة.

أما **الفصل الرابع** و هو آخر فصول البحث فقد خصص للأبعاد التراثية و الحداثية في كتابات أحمد مختار عمر من خلال المعجم، فجاء المبحث الأول منه للحديث عن المعجم في التراث العربي و المبحث الثاني خصص للمعجم في الدراسات الغربية الحديثة، أما المبحث الثالث فهو للمعجم في كتابات أحمد مختار عمر و موقفه من التراث المعجمي العربي، و من الدراسات المعجمية الغربية الحديثة.

ليختم هذا البحث بخاتمة تلخص مجموع ما جاء فيه من نتائج تتعلق بفصوله.

و للبحث ملحق يفصل حياة أحمد مختار عمر و مسيرته العلمية و مؤلفاته.

و قد ذيل البحث أيضا بفهرسين فهرس المصادر و المراجع المعتمدة فيه و فهرس لموضوعاته.

أما عن المصادر و المراجع المعتمدة في البحث فقد تنوعت بتنوع قضاياه بين القديم و الحديث فمنها كتب في اللغة عموما، كتب في الأصوات، كتب في الدلالة، كتب في البلاغة، كتب في المعاجم.

فمن بين أهم المراجع المعتمدة في اللغة: البحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر، الخصائص لابن جني، الكتاب لسيبويه، مفاتيح الألسنية لجورج مونان: Georges Momin Celfs pour la linguistique، و أوراق في اللسانيات لفيـــرث J.Firth Papers in Linguistics، و نشأة الدرس اللساني العربي الحديث لفاطمة الهاشمي بكوش، و اللسانيات العربية الحديثة لمصطفى غلفان.

أما من بين الكتب المعتمدة في الأصوات فنذكر: دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم لعبد الحميد هنداوي.

و اعتمد البحث أيضا على مجموعة من الكتب في النحو مثل النحو الأساسي لأحمد مختار عمر، التدريبات اللغوية و القواعد النحوية لأحمد مختار عمر كذلك، و المدارس النحوية لشوقي ضيف.

أما عن كتب الدلالة فيمكن أن نذكر علم الدلالة لأحمد مختار عمر، دلالة السياق لردة الله بن ضيف الله الطلحي.

و كتب البلاغة أيضا كان لها حضور في هذا البحث فمن أهمها: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، و البيان و التبيين للجاحظ.

و المعاجم يتصدرها معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر، و معجم الصواب اللغوي لأحمد مختار عمر، و ديوان الأدب للفارابي تحقيق: أحمد مختار عمر و كذلك معجم اللسانيات الحديثة لسامي عياد حنا و آخرون و الكلمات المفاتيح في اللسانيات لماري نوال كاري Marie-Noêlle Gary-Prieur : Les terms clés de la linguistique.

و ختاما، أحمد الله أن وفقني في مسيرة هذا البحث، كما أتقدم بالشكر الجزيل و العرفان بالجميل إلى الأستاذ المشرف الدكتور عز الدين صحراوي على الاهتمام و الرعاية، و أدعو الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

عناصـــر الفصـــل الأول:

المبحث الأول: الأصوات عند العرب القدماء

المبحث الثاني: الأصوات في الدراسات الغربية الحديثة

المبحث الثالث: الأصوات في كتابات أحمد مختار عمر

تمهيـــد:

لم تكن الدراســـة الصوتية بمنأى عن بقية الدراسات اللغوية، بل هي فرع من فـــروع اللغة، و مستوى من مستوياته التي لا يمكن تجاهلها أو غض الطرف عنها لأن الأصوات هي الوحدات الصغرى التي تبنى عليها الكلمات و الجمل و العبارات، و عن طريق تآلفها تخرج الأفكار الدفينة من حيز الكتمان إلى حيز الوجود. لهذا فإن أية دراسة تفصيلية لبنية لغوية تستوجب دراسة تحليلية لأصواتها باعتبارها اللبنات الأساسية التي يتكون منها التركيب اللغوي قصد الوصول إلى دلالة معينة.

و سنحاول من خلال هذا الفصل التعرف على الجهود العربيـــة التراثية في هذا المجـــال و التي امتازت بالدقة نظرا لتعدد مشارب الذين عملوا فيها فمنهم اللغويون و النحاة و أصحاب المعاجم و الموسوعات، و علماء البلاغة و الفلاسفة، ... و معرفة الجهود الغربية الحديثة أيضا في هذا المجال ثم بيان رأي و موقف أحمد مختار عمر من التراث الصوتي العربي، و من الدراسات الصوتية الغربية الحديثة لتحديد المبادئ التي اعتمدها في كتاباته و آرائه الصوتية.

المبحث الأول: الأصوات في التراث العربي

أهم العرب كثيـــرا بالدراسات اللغوية؛ حيث تعـــج كتب التراث بالمباحث اللغوية عامـــة، و المباحث الصوتية بصفة خاصة، و ما يشهد لذلك هو أن الدراسات الغربية تقِّر بذلك و تُشِيدُ بما في تراثنا العربي يقول برجستراسر "و لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلاّ قومان من أقوام الشرق، و هما أهل الهند، (...) و العرب، و أول من وضع أصوات هذا العلم من العرب، الخليل بن أحمد الفراهيدي" **(1)**

و يقول فيرث: "إن علم الأصوات قد نما و شب في خدمـــة لغتين مقدستين، هما السنسكريتيـــة و العربية" **(2)**

فمن خلال هذه الأقوال و غيرها مما ورد في الدراسات الغربية و العربية نعرف ما للدراسات اللغوية و الصوتية العربية القديمة من أهمية.

لقد اهتم النحويون و اللغويون و النقاد القدامى في تراثنا العربي بالصوت الدال لكن دراستهم لم تكن تقصد الصوت في حد ذاته، و إنما قصدوا به الاستدلال على قضية نحوية أو دينية أو أدبيـــــة أو جمالية، و أول ما وصلنـــــا كتاب الهمز لابن أبي إسحاق الحضرمـــي [ت 117هـــ]، و هو من طلائـــع الآثار الصوتيـــة، ثم تلتـــه دراسات الخليـــل بن أحمـــــد [ت 175 هـــ]، في علم العروض، و هي دراسة لعلم الجمال الصوتي، تختص بالأوزان الشعرية، ثم ما قام به في كتابه العين، و هو معجم لغوي ضخم ألفه و رتب أصواته وفق مخارجها بداية من الحلق و انتهاء بالشفتين، ثم ما قام به من محاولات تربط الأصوات بمعانيها، و هي محاولات رائدة لقيت إقبالا كبيرا عند المتأخرين.

حيث ورد في تهذيب اللغة أن الخليل قال: "صر الجندب صريرا، و صر الباب يصر، و كل صوت شبه ذلك فهو صرير، إذا امتد فكان فيه تخفيف و ترجيع في إعادة، ضوعف كقولك صرصر الأحطب صرصرة" **(3)**

---

(1): برجيستراسر: التطور النحوي للغة العربية، تعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1982، ص: 11

(2): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 114.

(3): الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة علي البخاري، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، باب الصاد و الراء، ج2، ص: 106.

و أورد ابن جني قولا للخليـــل بهذا الشأن جاء فيه: "كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة و مدا، فقالوا صر، و توهموا في صوت البازي تقطيعا، فقالوا صرصر" **(1)**، و هو تفسير بمحاكاة الصيغة الصرفية.

ثم أتم سيبويه أفكار الخليل، و هو الذي نقل في كتابه معظم آراء أستاذه الخليل، و قد قاده حسه اللغوي إلى تتبع الدلالة الصوتية من المصادر التي على وزن فعلان حيث يقول: "و من المصادر التي جـــاءت على مثال واحـــد حين تضـــاربت المعاني قولك النـــزوان و النقـــرّان و القفـــــزان، و إنما هذه الأشياء في زعزعـــة البدن و اهتزازه في ارتفـــاع و مثله العسلان و الرتكان، و مثل هذا الغليان لأنه زعزعة و تحرك، و مثله الغليان لأنه تجيش نفسه و تثور، و مثله الخطران و اللمعان لأن هذا اضطراب و تحرك، و مثل هذا اللهبان و الوهجان، لأنه تحرك الحر و تثوره فإنما هو بمنزلة الغليان" **(2)**

و من هنا تبدو إشارته الواضحة إلى الدلالة الصوتية.

أما ابن جني [ت 392 هـــ] فقد اهتم بالأصوات و دلالاتها بشيء من الوضوح فقد ركز على الدلالة الصوتية، و هي مستمدة من طبيعة الأصوات في حد ذاتها، من حيث صفاتها الذاتية، و بالاعتماد على مكان تشكلها (مخرجها)، أو محاكاتها للمعنى الاصطلاحي، فاللغة عند ابن جني عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فالأصوات هي المادة الخام التي تتشكل منها كل اللغات. لذلك ركز على دراسة هذا الجانب أكثر من غيره، و هو الذي ينسب إليه مصطلح علم الأصوات.

وقف ابن جني على إشارات السابقين خاصة الخليل و سيبويه، لكنه لم يكتف بما وصله من هذه الإشارات، إنما اخذ يعلل و يبين وجه التناسب بين تلك الأصوات و معانيها فيقول: "فأما باب مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب واسع و نهج متلئب عند عارفيه مأموم، و ذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها و يحتذون عليها و ذلك أكثر ما نقدره و أضعاف ما نستشعره" **(3)**

و وقف على المصادر المضّعفة و أخذ يفسرها معتمدا على ذوقه الفني و حسه اللغـــوي،

---

(1): ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت، ج2، ص: 100-101.

(2): سيبويه: الكتاب، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1317 هـــ، ج2، ص: 218.

(3): ابن جني: الخصائص، ج2، ص: 100.

فيقـــول: "إن المصادر الرباعيـــة المضّعفـــة تأتي للتكريـــر، نحو الزعزعـــة، و القلقـــة و الصلصلة و القعقعة و الجرجرة و القرقرة، و وجدت أيضا الفعلى في المصادر و الصفات إنما تأتي للسرعة نحو: البشكى و الجمزى و الولقى ... فجعلوا المثال المكرر – أعنـــي باب القلقلـــة – و المثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها" **(1)**

ثم ينتقل إلى الحديث عن مناسبة الصوت لمعناه باعتبار مخرجه و صفته، فيقول: "و من ذلك قولهم خضم و قضم، فالخضم للأكل الرطب كالبطيخ و القثاء و ما كان نحوهما من المأكول الرطب، و القضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها و نحو ذلك، و في الخبر، قد يدرك الخضم بالقضم، أي قد يدرك الرخاء بالشدة، و اللين بالشطف، و عليه قول أبي الدرداء: يخضمون و نقضم و الموعد الله، فاختار الخاء لرخاوتها للرطب و القاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث" **(2)**

ثم نجده في باب آخر يشير إلى الحكمة اللغوية و المناسبة الدقيقة بين الأصوات و معانيها، حتى ترى كان معنى الكلمة يتحرك و يظهر في أصواتها، و هذا أمر يرجع الفضل فيه إلى المتكلم بهذه اللغة سواء عن قصد أو عن غير قصد، يقول: "نعم و من وراء ذلك ما اللطف فيه أظهر و الحكمة أعلى و أوضح، و ذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف و تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيب، و تقديم ما يضاهي آخره و توسيط ما يضاهي أوسطه سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود و الغرض المطلوب، و من ذلك قوله في (بحث و جر)، فالباء في (بحث) لغلظتها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، و الحاء لصَحلها* تشبه مخالب الأسد و براشـــن الذئب و نحوهما إذا غارت في الأرض، و الثاء للنفـــث و البث للتراب" **(3)**

أما بخصـــوص الفعل (جر) فيقول: "جر الشـــيء يجره، قدمـــوا الجيم لأنها حرف شديد، و أول الجـــر بمشقـــة على الجار و المجرور جميعـــا، ثم عقبوا ذلك بالراء و هو حرف مكرر، و كـــرروها مع ذلك في نفسهـــا، و ذلك لأن الشـــيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها و اضطرب صاعدا عنها و نـــازلا إليها، و تكـــرر ذلك منه على ما فيه من

(1): المرجع السابق نفسه، ج2، ص: 101.

(2): المرجع السابق نفسه، ج2، ص: 104.

*: صلحها: صوته بح و خشن.

(3): المرجع السابق نفسه، ج2، ص: 163.

التعتعة و القلق، فكانت الراء لما فيها من التكريـــر، و لأنها قد تكررت في نفسهـــا في (جـــر) و (جررت) أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها" **(1)**

و رغم ما في هذا التفسير من التكلف و المجازفة، إلا أن ابن جني ينطلق في ذلك من الواقع اللغوي، "و يفسر الظواهر انطلاقا من معناها الاصطلاحي، و يبدو هذا التكلف أكثر وضوحا عند معالجته للاشتقاق الكبير، و هو عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بين مجموعات ثلاثية صوتية، ترجع تقاليبها الستة و ما يتصرف من كل منها إلى مدلول واحد مهما تغاير ترتيبها الصوتي، حيث تحفظ فيها المادة دون هيئة ترتيب و مثال ذلك (ق و ل) و تقاليبها الستة و ما تصرف من كل واحد منها جميعا بمعنى الخفة و السرعة" **(2)**

و يواصل ابن جني في هذا المجال فيقول: "و من طريف ما مر بي في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها، و لا يحاط بقاصيها، ازدحام الدال و التاء و الطاء و الراء اللام و النون إذا مازجتهن الفاء على التقديم و التأخير، فأكثر أحوالها، و مجموع معانيها أنها للوهن و الضعف و نحوهما، من ذلك الدالف للشيـــخ الضعيف، و الشـــيء التالف و الطليف و الظليف المجـــان و ليســـت له عصمة الثميـــن، و الطنف، لما أشرف خارجـــا عن البناء و هو إلى الضعـــف، و الدنف: المريض، و منه التنوفة، و ذلك لأن الفلاة إلى الهلاك، إلا تراهم يقولون لها: مهلكة، و كذلك قالولها : بيداء، فهي فعلاء من باد يبيد و منه الترفة، لأنها إلى اللين و الضعف، و عليه قالوا: الطرف، لأن طرف الشيء اضعف من قلبه و أوسطه" **(3)**

إن ابن جني لا يقصد في آرائه هذه وجود صلة ذاتية موجبة بين الأصوات و مدلولاتها بل ينطلق أولا و قبل كل شيء من المواضعة التي استقر عليها أبناء اللغة ثم يحاول تفسير الظواهر تبعا لهذه المواضعة، كما حاول استغلال ما توصل إليه هو و غيره في مجال الأصوات في تفسير الدلالة الصوتية من خلال صفات الأصوات الثابتة، و النظر في حكمة الواضع و عبقريته الفذة، مع وجود الروابط العاطفيـــة و العلائق المحكمة بين الإنسان و لغته، و يمكن تلخيص آراء ابن جني في:

---

(1): ابن جني: الخصائص، ج2، ص: 108-109.

(2): خويلد محمد أمين: ماهية الدلالة الصوتية، الملتقى الوطني الثاني الصوتيات ما بين التراث و الحداثة، جامعة سعد دحلب - البليدة -، الجزائر، أفريل 2002، ص: 32.

*: صلحها: صوته بح وخشن

(3): ابن جني: الخصائص، ج2، ص: 110.

تكرار الصوت يؤدي إلى تكرار المعنى، و تصويره، و تقويته، و المبالغة فيه.

- ثمة علاقة بين صوت الحرف و مخرجه و ما يدل عليه من معنى.
- كل صوت في اللفظة قد يعبر عن جزء من المعنى الذي تعبر عنه اللفظة بأصواتها جميعا.

و آراء ابن جني هذه و أفكاره لقيت رواجا واسعا بين جموع اللغويين و الفقهاء فقد ذكر السيوطي في المسألة العاشرة من المزهر ما نصه: "نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ و مدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، قال: و إلا كان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحا غير مرجـــح" **(1)**، "و كان بعض من يرى رأيه يقــول: انه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل ما مسمى إذغاغ، و هو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيها يبسا شديدا، و أراه الحجر" **(2)**

و رغم أن هؤلاء قد سلموا بالقضية التي تدعو إلى وجود تلك العلاقة أو المناسبة بين الأصوات و ما تدل عليه، إلا أن هذه الحقيقة تبقى محصورة في نسبة قليلة جدا من الوحدات اللغوية التي لا يمكن أن نعمم بها الحكم على اللغة بأكملها، كما أننا سنسلم بوجود هذه الدلالة التي تنحصـــر في علاقة هذه المعاني بصفـــات الحروف من جهر و همس و تفخيـــم و ترقيق و غيرها، و إيثار صوت على آخر، كما لا يتصور بأي حال من الأحوال أن الصوت يسهم بتلك الدلالة و هو مجرد غير مركب في بناء لفظي، و إنما يكتسب ذلك من وجوده في محيط لفظي، مرتبطا بقدرة المتكلم على استعمال هذا البعد الصوتي استعمالا خاصا، في تناغم مع قوانين اللغة في التعبير عن الغايات و المقاصد.

لقد تفطن هؤلاء اللغويون إلى أن قيمة الصوت لا تظهر إذا كان منفردا إنما يشكل لنا دلالة في حال تظافرت معه عناصر أخرى، و هي عناصر مصاحبة للصوت، و أخرى خارجة عنه تتمثل في الحركات أو علامـــات الشكل و المقاطـــع و النبر و التنغيم، و الوقفة أو الفاصلـــة، و طبقة الصـــوت و نوعه و شدته و حركات الإعراب، و هذه العناصر منها ما يرتبـــط باللفظة المفردة، و منها ما يرتبط بالجملة و أدائها الصوتـــي، و ترتبط أيضا بالسياق المقالـــي

---

(1): السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر): المزهر في علوم اللغة و أنواعها، مكتبة السعادة، مصر، 1325 هـــ، ج1، ص: 47.

(2): البدراوي زهران: في قضية الرمزية الصوتية، دار المعارف مصر، ط3، 1993، ص: 84.

و الحالي، و لو أن هذه المصطلحات لم يستخدمها علماء العربية قديما بالطريقة التي درست بها حديثا. لكننا نجدهم يدركون دلالـــة هذه العناصر الصوتية في التأثير على المتلقي.

كما أسهم علماء القراءات بقسط كبير في هذا المجال عندما وضعوا قواعد دقيقة للقراءات القرآنية حفاظا على معانيها و دلالتها التوقيفية، و فصلوا في وجوهها و دلائلها.

و قد اهتم البلاغيون أيضا بهذا الجانب، لكن دراساتهم كانت مركزة أكثر على الجانب الجمالي للمفردة اللغوية و فصاحتها، لذلك لا نراهم ينعتون الكلمة بالفصاحة إلا إذا توفرت فيها شروط معينة مثل ما ذكر ابن سنان الخفاجي [ت 466 هـــ] في كتابه سر الفصاحة فقد ذكر ثمانية شروط و هي:

1- تأليف اللفظ في حروف متباعدة.

2- أن يكون لها في السمع حسن ومزية.

3- أن تكون غير متوعدة وحشية.

4- أن تكون غير ساقطة عامية.

5- أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة.

6- أن لا تكون قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره.

7- أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف.

8- أن تكون مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك. **(1)**

أما ابن الأثير فانه يحدد الفصاحة بقوله: "الألفاظ داخلة في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها، و يميل إليه هو الحسن، و الذي يكرهه و ينفر عنه هو القبيح، إلا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير، و صوت الشحرور و يميل إليهما، و يكره صوت الغراب و ينفر عنه، و كذلك يكره نهيق الحمير، و لا يجد ذلك في صهيل الفرس و الألفاظ جارية هذا المجرى، فانه لا خلاف في أن لفظة المزنة و الديمة حسنة يستلذها السمع و أن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع، و هذه اللفظات الثـــلاث من صفات المطر، و هي تدل على معنى واحد، و مع هذا فانك ترى لفظتي المزنة و الديمة و ما جرى مجراهما مألوفة مستعملة و ترى لفـــظ

---

(1): ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، تعليق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، ط1، 1953، ص: 59.

البعاق و ما جرى مجراه متروكا لا يستعمل" **(1)**

لقد كان الفصيح عند هؤلاء، من جمع في كلامه بين الهدوء و التمهل و الجزالة و الحلاوة و الإيجاز، و كان مجانبا للجلجلة و النحنحة، و من كانت تتهاطل عليه الألفاظ كلما استدعت الحاجة إليها، و لا يلتمس في ذلك إلى معنى قد تعصى عليه طلبه، و غير متكلف إليه.

و لما كانت اللغة العربية لغة موسيقية اهتم هؤلاء بتموجاتها الداخلية، و ربطوا بينها و بين الحال التي يكون عليها الإنسان، و تالف الألفاظ مع الأوزان الشعرية، و أيضا المعاني مع الأوزان الشعرية للعلاقة الموجودة بينهما "و من تتبع علام الشعراء في جميع الأعاريض، وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان و وجد الافتتان في بعضها اعم من بعضها، فاعلاها في ذلك الطويل و البسيط و يتلوهما الوافر و الكامل، و مجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره و يتلو الوافر و الكامل عند بعض الناس الخفيف، فأما المديـــد و الرمل ففيهما لين و ضعف" **(2)**

فهذه البحور تتجاوب مع أغراض الشعراء و مقاصدهم، و هي لسان حال المعاني بهيئتها، كما أن الشاعـــر يتخير من البحـــور ما يعبر به عن شخصيته الصلبة في المواقـــف الحرجة، و يتفنن في طرق المعاني، و اختيار الألفاظ.

أما بالنسبة لتراث عبد القاهر الجرجاني فيمكن اعتباره بداية لعصر جديد من البحث اللغوي: إذ أن نظرته إلى اللغة تختلف نوعا ما عن سابقيه، فقد انتقد نظرتهم القاصرة إلى اللغة باعتبارها نظرة جزئية غير متكاملة، و ذلك حين نسبوا الفصاحة إلى المفردات و هي معزولة عن سياقها العام، فاللغة عند الجرجاني هي تحقيق لمقاصد معينة لا تحققها المفردة و هي منفردة، و إنما تتحقق عن طريق التركيب اللغوي المتكامل الوحدات و المتكامل المعنى، فالنظر إلى المفردة و الحكم عليها لا يؤدي الفهم السليم في غالب الأحيان "فليست مفردات العبارة اللغوية الواردة في سياق واحد، كيانات منفصلة يستقل كل منها بذاته، و إنما ترتبط جميعا برباط وثيق، و من ثم كان للسياق دوره الفعال في إعطاء الكلمة المعينة من الدلالات ما ليس لها في ذاتها بعيدة عن السياق" **(3)**

(1): ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعـــة مصطفـــى البابـــي، القاهرة، مصر، 1959، ص: 64-65.

(2): محمد سليمان ياقوت: علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1955، ص: 245.

(3): عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصوتي في القران الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2004، ص: 26-27.

فالألفاظ الموضوعة في اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، و لكن لأن يضم بعضها إلى بعض في انسجام و تناسق و تناغم لتحقيق الغرض، و تخضع في ذلك إلى قوانين النحو، وفقا لمقتضيات دلالاتها العقلية كما يرى الجرجاني.

و من ثم ذهب الجرجاني و تابعه المتأخرون إلى أن الكلمة لا توصف بالفصاحة و لا بالبلاغة خارج السياق، سواء أعذبت أصواتها أم قبحت، ثقلت حروفها أم خفت، تباعدت مخارج أصواتها أم قربت. فالألفاظ – كما يقول الجرجاني- " لا تتفاعل من حيث هي ألفاظ مجـــردة، و لا من حيث هي كلمة مفردة، و إن الألفاظ تثبت لها المزية و خلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما شابه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ " **(1)**

فالألفاظ عند الجرجاني لا تثبت لها المزية و غيرها إلا إذا انسجمت معانيها مع أخواتها قبلا و بعد، و الدليل على ذلك عنده، أن الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ثم تجدها هي نفسها مستقبحة في موضع آخر، فلو كانت الفصاحة تتعلق باللفظة من حيث هي مفردة لكانت قد حسنت دائما أو قبحت دائما.

إن منهج عبد القاهر منهج علمي بالدرجة الأولى، لذلك نراه ينظر إلى الأسلوب ككل متكامل، و ارتباط الفصاحة بالكلمة مرحلة أولى تسبق النظم أو تتبعه، وقد تجاوزها و صب عنايته على النسق الكلي، فإذا كان البعض يرى أن الجرجاني أهل الجانب الموسيقي للمفردات، و استبعد أن يكون الجمال فيه مثلما نراه عند درويش الجندي الذي يقول: " يصل عبد القاهر من ذلك إلى الحكم بالخطأ على قصر الفصاحـــة على كلمـــات من حيث هي ألفاظ منطوقـــة، و أصوات مسموعة، فادعى انه لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي، و تعديل مخارج الحروف، حتى لا يتلاقى حروف ثقل على اللسان " **(2)** فإننا نرى الجرجاني عكس ذلك، فهو لم ينف مراعاة السمع كليا و قد كشف عن ذوقه الموسيقي بعيدا عما أملاه في كتاب الدلائل، فيقول في رسالته الشافية" و اعلم أن لكل معنى نوعا من اللفظ هو أخص به و أولى، و ضربـــــا من العبارة هو بتأديته أقوم، و هي فيه أجلى، وما إذا اخذ منه كان إلى الفهم اقرب، و بالقول اخلق،

---

(1): الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح: محمد عبده و محمد محمود التركزي، تعليق: محمد رشيد رضا، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص: 64

(2): أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، جادة ابن سينا حلبوني، دمشق، سوريا، 1995، ص: 51

وكان للسمع ادعى، و النفس إليه أميل " **(1)**

إن اللغات تحوي في مدوناتها الغريب و الوحشي و ما تنفر منه الأذن، و يستثقله اللسان كما أنها تجمع في أصواتها بين المتقارب و المتباعد، و كلها فصيح. و لكن هذه الفصاحة تبرز مع المقام و السياق الذي ترد فيه هذه الكلمات.

المبحث الثاني: الأصوات في الدراسات الغربية الحديثة

ارتبطت الدراسة اللغوية الحديثة بالعالم السويسري فرديناند ري سويسر، ويرى هذا الأخير أن العلامة اللسانية كيان ذو وجهين دال و مدلول، و ليس المقصود بالدال و المدلول الاســـــم و الشيء إنما المقصود الصورة السمعية أي الأصوات و التصور الذهني أي صورة الشيء في أذهان أفراد الجماعة اللغوية حيث يقول: "إن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم، بل قصورا بصورة سمعية، و هذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي الدفع النفسي لهذا الصوت" **(2)**

فمن خلال هذا القول نجد أن فردينا نددي سوسير يربط الأصوات بالمعنى و الدلالة و بما تحيل إليه في نفس المتكلم، لكنه ينفي أن تكون هناك علاقة طبيعية بين هذه و ما تدل عليه إنما هذه العلاقة هي علاقة اعتباطية. "إن الرابط الجامع بين الدال و المدلول هو اعتباطي، أو ببساطة أكثر يمكن القول أيضا: إن العلاقة الألسنية هي اعتباطية. و ذلك لتعريفنا العلامة أنها مجموع ما ينجم عن ترابط الدال و المدلول" **(3)**

ففكرة الأخت لا ترتبط بأي صلة داخلية مع تعاقب الأصوات (أنخ،ت)التي تقوم مقام الدال بالنسبة إليها، و الحجة في ذلك إنما هي الاختلافـــات القائمـــة بين اللغات المتعـــددة. غير أن دي سويسر يرى أن الاعتباطية نوعان: مطلقة لا يمكن إخضاعها للتعليل، و ينطبق ذلك على غالبية الوحدات اللغوية، و نسبية و هي التي يمكن تعليلها.

---

(1): الجرجاني (عبد القاهر): الرسالة الشافية-ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز-، تحقيق محمد زغلول سلام و محمد خلف الله، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، د.ت، ص: 107

(2): فردينا نددي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غاري و مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص: 88.

(3): المرجع نفسه، ص: 89.

و كمثال ذلك، فان كلمة (Vingt: عشرين) غير معللة لعدم وجود رابط بين أصوات الكلمة و ما تدل عليه، بينما نجد (Dix – Neuf) معللة بدرجة أخرى، إذ أنها توحي بالعبارات التي تتركب منها، و بالأخرى التي ترتبط بها، مثل vingt neuf – dix neuf – dix huit، و هكذا الأمر في كلمات Poitier (شجرة الإيجاص) التي تذكر بالكلمة البسيطة (Poire) (إجاصة)، تلك التي تذكر لاحقتها (ier) بـــ (Pommier) و (Cerisier) أي شجرة الكرز و شجرة التفاح.

كما يمكن أن تتضح هذه العلاقة في تقليد أصوات الطبيعة، أو ما يسميها اللغويون (Les Onomatopées) التي يمكن أخذها كدليل على اختيار الدال ليس دائما اعتباطيا ككلمات: (Glass: قرع الناقوس) (Fouet: سوط) و (Tick-Tick) و (Tock-Tock).
و (Glug – Glog) **(1)**، و في العربية: زقزقة و دمدمة و حفيف و أزير، و أنين و غيرها كثير. "كما لاحظ بعض الباحثين وجود ارتباط بين مجموعات من الصوامت و دلالات بعينها، و قد تقع هذه المجموعات في أوائل الكلمات كما هو الشأن في المجموعات الصوتية (FL) في الكلمات الآتية: -Flap-Flame-Flail-Flag-Flack-Fly-Fluent-Flou- Flood-Flip Flee-Flay-Flash و يوحي كل منها بحركة مفاجئة و عنيفة، و قد تقع المجموعات الصوتية في آخر الكلمة كما هو الشـــأن في (Umble) التي تقع في أواخر الكلمات الآتيـــة: Bumble Gramble-Humble-Rumble-Bumble يشير كل منها إلى كون الشيء مملا و ثقيلا أو غير منظم" **(2)**

لكن ما يمكن أن يقـــال على ما سبـــق ذكره إن أصـــوات الطبيعـــة ليست عناصـــر عضوية في بنيـــة النظام اللغـــوي. أضـــف إلى ذلك أن عددهـــا ضئيـــل جدا إذا ما قيـــس بالشكـــل العـــام لنظـــام اللغـــة و هو ما ذهـــب إليه بلومفيلـــد إذ يـــرى "أنه لا توجـــد علاقـــة عقليـــة، و لا رابطة ضروريـــة بين الاســـم و المسمـــى، هذا من جانـــب، و من جانـــب آخـــر يشيـــر إلى نقطـــة هامـــة أوضحهـــا دي سوسير، و هي أن الصـــور الكلاميـــة تتغيـــر بطبيعتهـــا على مر الزمـــن، و أنه منـــذ عهـــد اليونـــان و الرومـــان كان

---

(1): ينظر: البدراوي زهران: في قضية الرمزية الصوتية، ص: 35.

(2): عبد الكريم محمد حسن جبل: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 1999، ج1، ص: 23-24.

هناك إدراك و وعي بهذه الحقيقة" **(1)**

فهي إذا مرفوضة في الفكر اللغوي لأن معنى الكلمة هو استخدامها "فليس هناك أي ارتباط عقلي و منطقي بين حروف الفاء و الهاء و الميم و بين المعنى العام الذي يستفاد من تلك الصيغ و هو الإدراك، و إلا ترتب عن هذا أن نتصـــور نوعا من الارتباط بين حروف الفعـــل أدرك، و حروف الفعل فهم، لأن كل منهما نفس الدلالة، و هو ما لا يقبله اللغوي الحديث، كما على هذا أن ننكر تلك المئات من الكلمات التي اشتركت لفظا و اختلفت معانيها اختلافا بيّنا" **(2)**

إذا فالاهتمام بالجانب الصوتي طغت عليه الدلالة أو المعنى أي البحث في معاني و دلالات الأصوات من دون النظر إليها منفردة، و هذا ما دعا إليه أعلام حلقة براغ فيما يعرف بنظرية الفوينم.

و حتى الدراسات الأسلوبية الحديثة اهتمت بالجانب الصوتي حيث اعتمدت هذه الأخيرة في هذا المجال على ما انتهت إليه الدراسات اللغوية "فلقد كان الجهد الذي قام به الباحثون تجاه الأسلوب في العصر الحديث – منذ بالي – سواء في الأسس النظرية أو في التطبيق، محققا لعدة مبادئ، إذا ما تفحصناها استطعنا الخروج منها بالمنطلقات الأساسية التي دار حولها التفكير الأصولي في علم الأسلوب" **(3)**

انصب التناول الأسلوبي على علم اللغة الأدبية، فهي تمثل الجانب الفعلي للغة، أي الكلام، لذلك يمكن القول أن اللغة نوعان: لغة عادية تتميز بالتقائية و النمطية يتبادلها الأفراد فيما بينهم بشكل دائم، و لغة غير عادية، و هي اللغة الفنية التي ترقى إلى مكانة أعلى لما تحويه من إمكانات تعبيرية جمالية، و لا يعني هذا وجود حاجز بينهما لأن الثانية تستمد وجودها بلا شك من الأولى، و على هذا يمكن أن ندرس الثانية ضمن الأسلوبيـــة، لأنها طريقة خاصة للكـــلام، و ندرس الأولى ضمن علم اللغة "يمكننا القول بان علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال، في حين أن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف و التحليل في آن واحد" **(4)**

---

(1): البدراوي زهران: في قضية الرمزية الصوتية، ص: 47.

(2): إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص: 46.

(3): محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان -، ط1، 1993، ص: 185.

(4): المرجع نفسه، ص: 186.

فالأسلوبية من هذا المنظور تتطرق إلى هذا الطابع المتميز للنصوص من خلال الإجراءات التحليلية التي ترمي إلى معرفة القيم الفنية و الجمالية الخاصة التي تتستر وراء البنية النصيـــة، و بالتالي الكشف عن السمات الفردية و الفريدة التي تعتبر الباعث إلى التحليل.

إن للغة الأدبية سمات فنية و جمالية تنشا من اصغر وحدة إلى النص ككل، فهذه الوحدات تتضافر فيما بينها و تتناسق في انسجام و تلاحم لإنتاج دلالة نوعية، و هذا يعني أن دراسة اللغة الأدبية لا تتم إلا باعتبارها وحدة متكاملة الأجزاء، فقد ذهب ريتشارد إلى انه لا يمكن النظر إلى وحدات اللغة على انه يمكن الفصل بينها، و بالتالي فان: "نشاط الأصوات الجمالي ليس محتوما بعلاقة مخرجية أو علاقة وصفية" **(1)**

و إنما ننتج عن طريق الربط بين الدوال الصوتية و المعجمية و الصرفية و التركيبية.

و مثال ذلك ما ذكره عبد الحميد هنداوي عن كلمة "توسوس" في قوله تعالى: ﴿ **و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن اقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ **(2)**

فلتحديد الدلالة الفنية لكلمة "توسوس" يجب على البلاغي استثمار الدلائل الفرعية (الصوتية و الصرفية و المعجمية و النحوية) التي تشكلها من خلال الخطوات التالية:

1- **من الناحية الصوتية**: ينظر البلاغي إلى مناسبة المخرج و الصفة للمعنى العام لاستخراج دلالتها الفنية.

2- **من الناحية الصرفية**: ينظر إليها من حيث كونها فعل مضاعف رباعي و مناسبة هذه الصيغة لمعناها، و من ثم لسياقها و مقامها، فتكرار المقطع يدل على تكرار المعنى على ما يقابل في الوسوسة من إلحاح.

3- **من الناحية المعجمية**: ينظر البلاغي في الخيارات الاستبدالية لتلك الكلمة من دون الباقي من مترادفاتها (تتكلم، تتحدث، تسر، تخفي)، ليكشف سبب اختيار هذه الكلمة، و تفوقها على مترادفاتها لمطابقتها السياق، و أن البواقي لا تسد مسدها بأي حال.

4- **من الناحية التركيبية**: تدل الأفعال على التجـــدد و الحدوث، و بالتالي فالفعـــل "وسوس" و اقترانه بـــــ "ما" المصدرية يدل على ذلك، و هو تصوير لحالة إبليس مع البشر في انه لا يكل، و لا يمل في فعله ذاك، و هو وعد أخذه على نفسه إلى يوم القيامة.

---

(1): عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصوتي، ص: 33.

(2): سورة: ق، الآية: 16.

ثم ينظـــر البلاغـــي إلى نوعيـــة التراكيـــب من حيث التقديـــم و التأخيـــر، و الحـــذف و الوصل و الإيجاز و الإطناب، و الخبر و الإنشاء، ثم النظر إلى ما تحويه من صور و أخيلة، و وسائل تحسين و تزيين، فيطابق بين الدلالات الفنية السابقة (صوتية، صرفيـــــة، معجميـــة و نحوية) و بين مقتضى الحال، و هو المقام الذي سيقت لأجله ليقرر مطابقة تلك الدوال التعبيرية المتعددة أو عدم مطابقتها؛ مع عدم الادعاء بانفراد إحدى هذه الدوال بتلك الدلالة **(1).**

و من خلال هذا التحليل يظهر كيف انسجم المعنى المعجمي لهذه المفردة مع طبيعة أصواتها، و من هنا تظهر كيفية اهتمام الأسلوبي بالأصوات من خلال بيان علاقة الأصوات المفردة بالمعنى العام للمفردات أو للنصوص، و تكون العلاقة بين الصوت و ما يدل عليه إما عن طريق المحاكاة، أو عن طريق الإيحاء المرتبط أكثر بالمعنى النفسي و المستنبط من صفة و مخرج الصوت في حد ذاته.

لقد اهتم كل من التراث العربي، و الدرس اللساني الغربي الحديث بالمستوى الصوتي أو بالدراسات الصوتية كل على طريقته الخاصة و وفق متطلبات عصره و دراسته و منهجه الخاص به، و بقي أن نتعرف على الطريقة التي تعامل بها أحمد مختار عمر مع هذا الجانب من الدراسات اللغوية – الجانب الصوتي – و كيف نظر إليه مقارنة مع الجوانب الأخرى في الدراسة اللغوية.

(1): ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصوتي، ص: 35 و ما بعدها.

المبحث الثالث: الأصوات في كتابات أحمد مختار عمر

إن المتتبع لكتابات أحمد مختار عمر قد يتصور مباشرة و بعد ذكر هذا العنوان أن جهوده - جهود أحمد مختار عمر – الصوتية محصورة في كتابة دراسة الصوت اللغوي.

لكن هذا الكتاب ليس الوحيد في هذا المجال أي في دراسة الجانب الصوتي، إنما نجد له بعض الجهود المتفرقة في كتب أخرى مثل: البحث اللغـــوي عند العرب، معجم القراءات القرآنيـــة، و غيرها.

حيث يشير في الأول إلى قيـــمة الدراســـات الصوتية العربيـــة القديمة، و يبين لنا منابعهـــا و مناهجها، أما في الثانـــي فيبيّن لنا كيفية قراءة القران الكريـــم اعتمادا أيضا على ما ورد في تراثنا العربي أيضا من قراءات. أما في الأخير – دراسة الصوت اللغوي – فينتقل إلى الحديث عن الأصوات كما جاءت في الدراسات الغربية الحديثة – لكنه لا يتوقف في هذا الكتاب أيضا على ما جاء في الدراسات الغربية فقط إنما يخصص الباب الأخير من كتابه لدراسة أصوات اللغة العربية. و سنحاول من خلال هذه العناصر التعرف على هذه القضايا.

أولا: أحمد مختار عمر و التراث الصوتي العربي:

يتحدث أحمد مختار عمر عن الجهود الصوتية التي قدمها العرب القدماء، و يشير إلى النتائج التي توصلوا إليها، لكنه قبل ذلك يشير إلى طريقة الدراسة الصوتية عند العرب القدماء و يبين أنها ليست بالمنهجية الحديثة؛ أي أن دراسة الأصوات جاءت ضمن دراسات أخرى و لم تأت مستقلة و منفصلة عنها يقول "يعتبر علماء اللغة المحدثون دراسة الأصوات أول خطوة في أي دراسة لغوية، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة، و نعني بها الصوت الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني.

أما اللغويون العرب فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرة، و لم يعالجوا الأصوات علاجا مستقلا. و إنما تناولوها دائما مختلطة بغيرها من البحوث" **(1)**

و يبيّن لنا أحمد مختار عمر كيف ارتبطت الدراسات الصوتية في التراث العربي بالدراسات الأخرى على النحو التالي:

---

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 93.

أ- الدراســـات النحويـــة:

اهتم النحاة العرب القدماء بالجانب الصوتي و درسوا بعض القضايا الصوتية مضمنة في بعض القضايا النحوية يقول أحمد مختار عمر: "خصصوا بعض الأبواب في كتبهم النحوية لهذه الدراسة. بل أنهم لم يقصدوها لذاتها و إنما لغيرها، حيث اعتبروها تمهيدا و مدخلا لدراسة ظاهرة الإدغام، و الحديث عن قواعد الإعلال و الإبدال، و قد عالج سيبويه "الإدغام" في نهاية مؤلفه "الكتاب"، و عالج الأصوات قبل معالجة الإدغام. و عالج الميرد في كتابه "المقتضب" الإدغام في الجزء الأول و قدم له بدراسة الأصوات و مخارجها. كذلك أنهى الزجاجي كتابه "الجمل" بالحديث عن الإدغام، و مهّد لحديثـــه ببعض الأفكار الصوتية. و أنهـــى الزمخنشري كتابه "المفصل" بالإدغام و قدم بين يديه دراسة للأصوات" **(1)**

فالأصوات من خلال هذا النص لم تدرس عند النحويين لذاتها إنما درست لعلاقتها بالإدغام، و الإعلال، و الإبدال، ...

ب- الدراســـات المعجميـــة:

اهتم أصحاب المعاجم كذلك ببعض القضايا الصوتية ضمن الدراسات المعجمية حيث "تناول أصحاب المعاجم بعض المشكلات الصوتية، إما في مقدمات معاجمهم. أو في ثنايا المادة اللغوية المجموعة. و يبدو الاهتمام بهذا النـــوع من الدراسة في المعاجم التي رتبت صوتيـــــا و اتبعت نظام التقليبات "كالعين" للخليل، أو اتبعت نظام التقليبات فقط كالجمهرة لابن دريد" **(2)**

إذن يظهر حظ الجانب الصوتي من الدراسة في ترتيب هذه المعاجم و يلخص أحمد مختار عمر القضايا التي تناولتها مقدمة العين في **(3)**:

1- ترتيب الحروف ترتيبا صوتيا.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 93.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 93-94.

(3): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 94.

2- اعتبار الراء و اللام و النون ذات وضع خاص و تسميتها بحروف الذلاقة لأنها تخرج من ذلق اللسان أي بطرف أسلته. و لا ينطق طرف اللسان إلاّ بالراء و اللام و النون فقط. و ألحق الخليل بهذه الثلاثة: الفاء و الباء و الميم لأنها شفوية و أطلق عليها اسم الذلاقة أيضا.

3- تصريحه بأن حروف الذلاقة الستة أسهل من غيــرها في النطق، و لذا تكثر في أبنية الكــلام، و لا يخلو أي بناء رباعي أو خماسي منها، أو من بعضها.

4- الحديث عن مخارج الأصوات تفصيلا.

أما ما أضافه كتاب الجمهرة إلى ما سبق ذكره في العين فإنه يجمعه في:

1- الحديث عن نسج الكلمة العربية و الحروف التي تأتلف أو لا تأتلف مثل: لم تأتلف القــاف و الكاف في كلمة واحدة إلاّ بجواز، و كذلك حالهما مع الجيم، و الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، أصعب الحروف حرف الحلق، ...

2- حديثها عن الأصوات الرخوة و الأصوات المطبقة، و الأصوات الشديدة.

3- تعرضها لنسبة تردد الأصوات في اللغة العربية، و ادعاؤها أن أكثر الحروف استعمالا في اللغة هي: الواو، و الياء و الهاء و أقلها الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم **(1)**

فأصحاب المعاجم كان لهم دورهم في الاهتمام ببعض المباحث الصوتية من خلال ما نقله أحمد مختار عمر من آراء حول ذلك.

ج- علمــاء التجويــد و القــراءات القرآنيــة:

يشير أحمد مختار عمر إلى جهود علماء التجويد و القراءات القرآنية في المجال الصوتي لكنه لا يذكر تفاصيل لذلك غير قوله "ترددت في كتب التجويد مصطلحات صوتية مثل: الإشمام، و الإشباع، و الاختلاس، و المد، و التفخيم، و الترقيق و نحوها" **(2)**

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 95.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 96.

و لا يعود السبب في ذلك – قلة شواهد هذا العلم – إلى نقص شواهد هذا العلم إنما يظهر السبب في قول أحمد مختار عمر: "و لسنا نملك لهذا النوع من الدراسة مادة كافية تسمح بتتبع تطوره و وصف المراحل التي قطعها حتى صار علما مستقلا هو علم « التجويد» " **(1)**

و تجدر الإشارة في مجال الحديث عن جهود علماء التجويد و القراءات القرآنية في المجال الصوتي إلى أن أحمد مختار عمر ألّف معجما في القراءات القرآنية اعتمد فيه على آراء أصحاب القراءات القرآنية و على ما جاء في تراثنا العربي يقول في مقدمته "لم تثبت إلاّ ما نصت المراجع على القراءة به، و كثيرا ما كانت عبارات الكتب مضللـــة حين تذكر جواز كذا و كذا دون أن تنص على انه قد قرئ به. و أحيانا يكون هذا الجائز قد قرئ به و أحيانا لا" **(2)** فاعتمد في هذا المعجم على ما ورد في التراث و القراءات القرآنية.

د - الدراســـات البلاغية:

أسهم علماء البلاغة أيضا في مجال الدراسات الصوتية، وقد أشار أحمد مختار عمر إلى ذلك، كما أشار إلى قيمة هذه الدراسات حيث" أدلى المؤلفون في إعجاز القران و علوم البلاغة بدلوهم مع الدلاء و زودوها بمعلومات صوتية ذات قيمة. و معظم ما شغلهم من مباحث الأصوات يتعلق بتنافر الأصوات و تآلفها، و استتبع هذا بالضرورة حديث عن مخارج الحروف، وهل للقرب أو البعد المخرجي دخل في التنافر أو التالف" **(3)**

وقد بين ذلك من خلال عرض مجموعة من الآراء و الدراسات، فيبين أن الرماني تطرق إلى قضية تنافر الأصوات و تآلفها، وكذلك إلى مخارج الأصوات وكيف يؤثر ذلك على بلاغة النصوص من خلال قوله: " و المتلائم في الطبقة العليا القران كله. و السبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف. فكلما كان اعدل، كان اشد تلاؤما و أما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل

---

(1): المرجع السابق نفسه: ص: 95.

(2): أحمد مختار عمر و عبد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات و أشهر القراء، دار عالم الكتب، مصر، ط3، 1997، م1، المقدمة، ص: ي.

(3): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 96

من البعد الشديد أو القرب الشديد و ذلك انه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان و رده إلى مكانه، و كلاهما صعب على اللسان.. و مخارج الحروف مختلفة فمنها ما هو في الوسائط بين ذلك" **(1)** حيث يحدث التنافر في تباعد مخارج الأصوات.

أما ابن سنان الخفاجي فقد علق على رأي الرماني و رأى أن التنافر يحدث لأسباب أخرى من خلال قوله: "و الذي اذهب أنا إليه.. لا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف و إنما هو القرب.

و يدل على صحة ذلك الاعتبار كلمة (ألم) فهي غير متنافرة، و هي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج لأن الهمزة من أقصى الحلق، و الميم من الشفتين، و اللام متوسطة بينهما، وعلى مذهبه كان يجب أن يكون هذا التأليف متنافرا لأنه على غاية ما يمكن من البعد.. و متى اعتبرت جميع الأمثلة لم تر للبعد الشديد وجها في التنافر على ما ذكره. فأما الإدغام و الإبدال فشاهدان على أن التنافر في قرب الحروف دون بعدها لأنهما لا يكادان يردان في الكلام إلا فرار من تقـــارب الحروف. وهذا الذي يجب عندي اعتماده لأن التتبع و التأمل قاضيان بصحته" **(2)**

إذا سبب التنافر عند ابن سنان الخفاجي هو تقارب الحروف الشديد في النطق و ليس تباعدها.

و الباقلاني أيضا له ما قدمه في مجال الأصوات من خلال ما ذكره أحمد مختار عمر حيث تناول كثيرا من المباحث الصوتية أثناء تحليله لآيات القران الكريم و بيان إعجازها خاصة فيما يتعلق بفواتح السور و أسباب اختيار حروف معينة لهذا يقول: " إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة و عشرون حرفا، و عدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان و عشرون سورة. و جملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة و هو أربعة عشر حرفا ليدل بالمذكور على غيره. و الذي تنقسم إليه هذه الحروف... أقسام... فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة و أخرى مجهورة. فالمهموسة منها عشرة و هي الحاء و الهاء و الخاء و الكاف و الشين و الثـــاء و الفاء و التاء و الصـــاد و السين. و ما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة. و قد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة

---

(1): الرماني: النكت في إعجاز القران 87-89

(2): ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة

مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور، و كذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لا زيادة ولا نقصان" **(1)**

إذن يبين صفات هذه الحروف و كيف قسمت " و يذكر الباقلاني كذلك أن نصف حروف الحلق (العين و الحاء و الهمزة و الهاء و الخاء و الغين) و هو العين و الحاء و الهاء قد ورد في هذه الفواتح و كذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف حلق. كما يذكر أن نصف الحروف الشديدة (الهمزة و القاف و الكاف و الجيم و التاء و الدال و الطاء و الباء) وهو الطاء و القاف و الكاف و الهمزة مذكورة في جملة تلك الحروف: و كذلك نصف الحروف المطبقة (الطاء و الصاد و الصاد و الظاء) وهو الطاء و الصاد مذكورة في الفواتح" **(2)**

و يظهر إعجاز القران الكريم في الانتقاء و الاختيار لهذه الأصوات في فواتح السور، يقول عن البدء بحروف (ألم) " لأن الألـــف المبدوء بها هي أقصاها مطلقـــا، و اللام متوسطة، و الميم متطرفة، لأنها تأخذ في الشفة، فنبه بذكرها على غيرها من الحروف و بين انه إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين" **(3)**

يظهر من النصوص التي نقلها أحمد مختار عمر عن الدرس البلاغي العربي القديم أن دراسة الصوت كانت من اجل بيان جمالية النصوص و تحديدا من اجل بيان أوجه الإعجاز في القران الكريم.

ولم تتوقف دراسات العرب القدماء عند هذه الفئة إنما ما زالت دراسات أخرى و مؤلفات أخرى أشارت إلى القضايا الصوتية.

هـــ- الموسوعـــات الأدبيـــــة:

قصد أحمد مختار عمر بالموسوعات الأدبية الدراسات العربية القديمة التي تناولت أكثر من موضوع واحد في كتاب. و قد بدا بالحديث عن الجاحظ في كتابه البيان و التبيين و قال عنه:

" نكتفي بضرب بعض الأمثلة من بيان الجاحظ باعتبارها تمثل هذا النوع من البحوث:

---

(1): الباقلاني: إعجاز القران، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د. ط، د. ت، ص: 66

(2): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 98

(3): المرجع نفسه، ص: 98

مما تعرض له الجاحظ عيوب النطق سواء كانت ناتجة عن سرعة أو سبب عضوي، أو لثغة، أو لكنة أجنبية.

أما العيب الناتج عن سبب عضوي مثل سقوط بعض الأسنان فقل مثل له الجاحظ خطيب اسمه الجمحي أصاب في خطبته، و لكنه كان نازعا بعض أسنانه فكان في كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة. و نقل الجاحظ في مكان آخر ملاحظة لمحمد بن عمرو الرومي عن سقوط جميع الأسنان" **(1)**

كما تحدث الجاحظ فيما نقله عنه أحمد مختار عمر عن بعض الأمراض الأخرى الناتجة عن خلل في نطق الأصوات فاللثغة يقول: "أما اللثغة فقد عالجها الجاحظ في شيء من الاستفاضة، و تعرض للحروف التي تدخلهـــا، و ذكر أنها أربعة هي القاف و السيـــن و اللام و الراء فلثغة القاف تكون بقلبها طاء، و السين بقلبها ياء أو كافأن و الراء بقلبها ياء أو عينا أو ذالا أو ظاء.

و تعرض الجاحظ كذلك للكنة التي تبدو في كلام الأعجمي إذا نطق اللغة العربية كنطق (...) التبطي الزاي سينا و العين همزة" **(2)**

و قضية اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة من القضايا الصوتية الأساسية التي تطرق إلى الجاحظ يقول: "فأما اقتران الحروف فان الجيم لا تقارن الظاء و لا القاف و الطاء و لا الغين بتقديم و لا بتأخير، و الزاي لا تقارن الظاء و لا السين و الضاد و لا الذال .. و هذا باب كبير، و قد يكتفي بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي يجري إليها" **(3)**

أي أن هناك بعض الأصوات لا يمكن أن تجتمع مع بعضها البعض بسبب ثقل في السمع.

و هناك حروف تتـــردد أكثر من غيـــرها "و ينقل الجاحـــظ الزعم أن الياء و اللام و الألـــف و الراء أكثر الحروف ترددا من غيرها، و أن الحاجـــة إليها أشد" **(4)** و الدليل على ذلك قوله:

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 99.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 99.

(3): الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ): البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1992، ج1، ص: 69.

(4): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 100.

"و اعتبر ذلك بان تأخذ عدة رسائل، و عدة خطب من جملة خطب الناس و رسائلهم، فانك متى حصلت جميع حروفها و عددت كل شكـــل على حدا علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشـــد" **(1)**

تعتبر تجربة الجاحظ الصوتيـــة تجربة حديثة المنهجيـــة حيث يقول أحمـــد مختار عمر: "و منهج الجاحظ في هذه التجربة الصوتية يعد احدث منهج متبع الآن، و هو اخذ عينة من المادة اللغوية المدروسة ثم استخلاص النتائج منها و الانتهاء بتعميم الحكم" **(2)**

فأحمد مختار عمر يشيد بجهود الجاحظ و يبيّن لنا أن الجهود الصوتية مع أصحاب الموسوعات مازالت متواصلة.

إن كان أحمد مختار عمر قال في البداية أن الدراسات و الجهود الصوتية جاءت ضمن دراسات أخرى. فانه هذه المرة يشير إلى أول مؤلف عربي صوتي مستقل يقول: "و أول من أفرد المباحـــث الصوتيـــة بمؤلف مستقل و نظر إليهـــا على أنها علم قائـــم بذاته ابن جنـــي ت [392 هـــ] في كتابه « سر صناعة الإعراب » " **(3)**

و قد تناول ابن جني في هذا الكتاب القضايا الصوتية الآتية:

1- عدد حروف الهجاء و ترتيبها و وصف مخارجها.

2- بيان الصفات العامة للأصوات و تقسيمها باعتبارات مختلفة.

3- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

4- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد و رجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج. **(4)**

و تظهر أهمية دراسة ابن جني في "أن ابن جني كان أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم مازلنا نستعمله حتى الآن و هو "علم الأصوات" و أن ابن جني يعتبر الرائد في هذه الدراسة" **(5)**

---

(1): الجاحظ: البيان و التبيين، ج1، ص: 22.

(2): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 100.

(3): المرجع نفسه، ص: 100.

(4): ينظر: المرجع نفسه، ص: 100-101.

(5): المرجع نفسه، ص: 101.

إذا فأحمد مختار عمر يشيد أيضا بجهود ابن جني الصوتية لأن أول من أفرد كتابا مستقلا للدراسات الصوتية، و لأنه الرائد أيضا في هذا النوع من الدراسة و يعطيه الحق لأنه القائـــل: "و ما علمت أن أحدا من أصحابنا خاص في هذا الفن هذا الخوض و لا أشبعه هذا الإشباع" **(1)**

و يضيف أحمد مختار عمر إلى أصحاب الموسوعات شخصية أخرى و مؤلف آخر هو ابن سينا في مؤلفه الشهير "أسباب حدوث الحروف" حيث تناول فيه القضايا التالية:

1- الفصل الأول: سبب حدوث الصوت.

2- الفصل الثاني: جعل عنوانه "سبب حدوث الحروف"، و فيه يتحدث عن مخارج الأصـــوات و محابسها.

3- أما الفصل الثالث: فخصصه لتشريح الحنجرة و اللسان.

4- الفصل الرابع: يعالج فيه الحروف العربية و يبين كيفية صدور كل حرف منها و يصف العملية العضوية مع كل حرف وصفا مفصلا.

5- الفصل الخامس: تحدث فيه ابن سينا عن أصوات في لغات أخرى غير العربية مثل: السين الزائية و الزاي السينية و الزاي الضائية و الفاء الشبيهة بالباء.

6- و في الفصل الأخير يبين ابن سينا كيفية إنتاج هذه الأصوات بحركات غير نطقية، كالشين التي تسمع "عن نشيش الرطوبات" و الطاء التي تحدث عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان ... **(2)**

تحدث ابن سينا عن طبيعة الصوت في رسالته أسباب حدوث الحروف، و في كتابه الشفاء في فصل السمع "و قد انتهى إلى أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي:

1- وجود جسم في حالة تذبذب.

2- وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.

3- وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات.

و هو نفس ما انتهى إليه المحدثون من علماء الأصوات" **(3)**

---

(1): ابن جني(أ]و الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا و آخرون، 1954، ص: 63.

(2): ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 102.

(3): المرجع نفسه، ص: 103.

إذا ما جاء في تراثنا العربي مطابق لما وصلت إليه الدراسات الغربية الحديثة من خلال تعليق أحمد مختار عمر على قضية طبيعة الصوت عند ابن سينا، حيث تنبّه هذا الأخير إلى وجود جسم في حالة التذبذب ثم انتقاله في وسط معيـــن و وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات.

و قد تنبه ابن سينا إلى قابلية الأذن لإدراك الصوت حيث يقول عنـــــه أحمد مختار عمر: "و من اللافت للنظر كذلك أن يتنبه ابن سينا إلى قابلية الأذن لإدراك الأصوات بمعدلات معينة للتردد و التوتر لها حد أدنى و حد أعلى، و أن يتنبه إلى زيادة شدة الصوت عن مقدار معين تسبب الأذى و الإزعاج للسامع" **(1)**

إذا فقد تنبّه ابن سينا إلى قابلية الأذن لإدراك الصوت بدرجات مختلفة، و تنبّه أيضا إلى أن شدة الأصوات تؤدي على اضطرابات مزعجة للسامع من خلال قوله "القرع الشديد يحدث صوتا يضر السمع (...) و التموج الفاعل للصوت قد يحس حتى يؤلم (...) إن صوت الرعد قد يعرض منه أن يدك الجبال، و ربما ضرب حيوانا فأفسده. و كثيرا ما يستظهر على هدم الحصون العالية بصوت البوقات" **(2)**

كما يتحدث ابن سينا عن مخرج الصوت الإنساني و صفاته "و يستخدم ابن سينا للتعبير عن إنتاج الصوت لفظ الحبس و مشتقاته. أما كلمة المخرج فيبدو أنه يستخدمها للإشارة إلى مجرى الهواء أو طريقـــه الذي يكـــون إما نحو الأنـــف أو الفم. و قد تردد في كلامه ألفاظ المخـــرج و المخارج و الحبس و المحابس و المحبوس و المحابس. و يرى ابن سينا أن الذي يميز الحرف (الصوت) عن الحرف (الصوت) جملة عوامل" **(3)**

إذا يستخدم ابن سينا مصطلحات خاصة للدلالة على إنتاج الصوت كأن يميّز بين صـــوت و صوت آخر من خلال:

1- اختلاف نقطة التحكم في مجرى الهواء.

2- اختلاف حال التموج.

3- اختلاف طريقة التحكم في الهواء عند نقطة الإنتاج (المحبس) و في ذلك طريقتين:

---

(1): المرجع السابق نفسه: ص: 104.

(2): ابن سينا: أسباب حدوث الحروف نقلا عن المرجع نفسه، ص: 104.

(3): المرجع نفسه، ص: 105.

أ- الحبس التام للصوت.

ب- الحبس غير التام للصوت. **(1)**

يقارن أحمد مختار عمر مصطلحات ابن سينا من جهة، و بين مصطلحاته و مصطلحات المحدثين من جهة ثانية يقول: "و هنا نلاحظ أن ابن سينا يستعمل المصطلحين مفردة و مركبة في مقابل مصطلحي سيبويه: شديدة و رخوة، و المصطلحين الحديثين: انفجارية (وقفية) و احتكاكية" **(2)**

كذلك ناقش ابن سينا بعض القضايا الصوتية الأخرى كتفرقته بين الحروف المفردة و الحروف المركبة "و هذه المفردة تشترك في أن وجودها و حدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس و زمان الإطلاق. و ذلك لأن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحدث فيه صوت حادث عن الهواء و هو مسكَّن بالحبس، و زمان الإطلاق ليس يسمع فيه شيء من هذه الحروف لأنها لا تمتد البتة، إنما هي مع إزالة الحبس فقط. و أما الحروف الأخرى فإنها تشترك في أنها تمتد .. في الزمان الذي يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق" **(3)**

و يرجع مرة أخرى ليقسم الأصوات المفردة و يفصل في هذه القضايا و هو تفصيل فيه شيء من الدراسات العربية الصوتية التي سبقت هذه المرحلة. حيث قسم ابن سينا الحروف المفردة (الوقفية) إلى نوعين: **(4)**

أ- مفردة (على الإطلاق).

ب- مفردة من وجه.

فالمفردة على الإطلاق هي: الباء و التاء و الجيم و الدال و الطاء و القاف و الكاف و الهمزة.

و أما المفردة من وجه فهي: الضاد و اللام و الميم و النون.

و ابن سينا في ذلك على صواب حيث اتفق مع القدماء في اعتباره الحبس في الأصوات الأربعة الأخيرة حبسا جزئيا في مكان يصحبه تسريح في مكان آخر.

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 105-106.

(2): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 106.

(3): المرجع نفسه، ص: 106-107.

(4): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 107-108.

و الميم و النون صوتان شديدان عند سيبويه يجري معهما الصوت، لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من انفك.

و اعتبر ابن جني و الزمخشري و ابن الجزري و غيرهم النون و الميم و اللام مع حروف أخرى ضمن الحروف المتوسطة، أو بين الشديدة و الرخوة.

أما الحروف المركبة (الاحتكاكية) فلم يذكرها ابن سينا بالاسم مكتفيا بذكر مقابلاتها المفردة (الوقفية). و بعملية إسقاط للحروف المفردة يتبين أن المركبة عنده هي: الثاء، الحاء، الخاء، الذال، الراء، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، العين، الغين، الفاء، الهاء.

و بقي حرف الراء لأن التقسيم الثنائي إلى شديد و رخو لم يشمله عند اللغويين قسمي بالمكرر و إن اعتبروه نوعا من الشديد. لكن مصطلح المركب عند ابن سينا يمكن أن يشمله بسهولة، لأن شرط التركيب في الصوت أن يمتد في الزمان الذي يجتمع فيه الحبس على الإطلاق، وهو ما ينطبق على الصوت المكرر: الراء، كما ينطبق على الأصوات الاحتكاكية.

و أصوات العربية هي من القضايا التي تطرق إليها ابن سينا في الفصل الرابع من كتابه "وقد عالج ابن سينا في هذا الفصل الأصوات صوتا صوتا على الترتيب التالي: الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الخاء، العين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الضاد، السين، الصاد، الزاي، الطاء، التاء، الدال، الثاء، الذال، الظاء، اللام، الراء، الفاء، الباء، الميم، النون، الواو الصامتة، اليـــاء الصامتة، المصوتات: الألف الصغرى و الكبرى، الواو الصغـــرى و الكبرى، الياء الصغـــرى و الكبرى" **(1)**

و قد نبه ابن سينا من خلال هذا الترتيب إلى الكثير من القضايا التي يمكن أن نجمعها في النقاط التالية: **(2)**

1- تفريقه بين السواكن و العلل، و تسميته الأولى صوامت و الثانية مصوتات.

2- تفريقه بين نوعين من الواو و الياء؛ فنوع أدرجه في الصوامت، و نوع أدرجه في المصوتات.

3- تفريقه بين الحركة القصيرة و الحركة الطويلة (الصغرى و الكبرى).

---

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 108.

(2): ينظر: المرجع نفسه، ص: 109

4- إتباعه الطريقة العربية التي ترتب الأصوات من الداخل إلى الخارج.

و يلاحـــظ أحمد مختار عمر أن ترتيب ابن سينا يتميز عن غيره من الدراسات العربية بـــ: **(1)**

1- عدم وضعه الألف بجوار الهمزة بخلاف ما فعل سيبويه و ابن جني. و إن وضع الألف مع أصوات الحلق من أخطاء اللغويين القدماء، و إن حاول بعضهم الدفاع عنه.

2- تقديم القاف على الكاف مخالفا في ذلك سيبويه.

3- إبعاد الواو و الياء إلى ما بعد الانتهاء من الصوامت.

4- تأخير أحرف العلة الثلاثة (قصيرها و طويلها) إلى آخر القائمة؛ فكان ابن سينا قد راعى البدء بالصوامت ثم أشباه المصوتات ثم المصوتات.

5- وضع الميم و النون متتاليتين رغم اختلاف مخرجهما لاشتراكهما في صفة الأنفية.

6- أما وضع الراء و اللام عند ابن سينا ففيه نظر. و لعله تتبع فيه ترتيب الخليل بن أحمد في معجمه العين.

و يشيد أحمد مختار بجهود ابن سينا الصوتية خاصة فيما يتعلق بحديثه عن مخارج الأصوات يقول: " أما حديثه عن مخارج الأصوات و صفاتها و كيفيات نطقها فنجد فيه تفصيلا لا نجده في كتب اللغويين. و قد أعانه على ذكر الحركات العضوية، و على تحديد العضـــلات و المفاصل المشتركة في إنتـــاج الصـــوت خبرتـــه العلمية الواسعة بتركيب جســـم الإنســـان و بتشريح أعضائه" **(2)**

و يظهر هذا العمل الجبار من خلال بعض الأمثلة التي ذكرها يقول في بعضها **(3)**

1- أما الهمزة فإنها تحدث عن حفز قوي من الحجاب و جمع الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الغضروف الثالث من غضاريف الحنجرة الحاصر زمنا قليلا لحفز الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضلة الفاتحة و ضغط الهواء معا.

2- و أما الثاء فتخرج باعتماد من الهواء عند موضع التاء بلا حبس و تحبس عند طرف الأسنان ليصير الخلل أضيق فيكون صغير قليل مع القلع.

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 109.

(2): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 109-110

(3): ينظر: المرجع نفسه، ص: 110.

ومن بين ما وصل إليه أيضا ابن سينا في هذا المجال أيضا تنبهه إلى وجود اهتزاز يصاحب نطق بعض الأصوات " قد فطـــن إلى وجود اهتزاز يصاحـــب نطق الزاي و الـــذال و العين.. و أن هذا الاهتزاز في تكراره يشبه التكرار الواقع في الراء. وهذه نقطة تحسب لصالحه. و لكن الشيء الذي يؤخذ عليه هو عدم اهتدائه إلى العضو المهتز. إذ جعله ابن سينا سطح اللسان، أو سطح الحنك (...) مع انه في الواقع الوتران الصوتيان في منطقة الحنجـــرة. و يبدو أن وجود الوترين الصوتيين في موضعهما المذكور لم يهتد إليه القدماء، و لذا لم يرد لهما ذكر في الكتب الطبية و التشريحية العربية. نعم قد ورد في كتابات ابن سينا و غيره مصطلح " الجسم الشبيه بلسان المزمار" أو " الشيء الذي يسمى لسان المزمار" **(1)**

هذه نتائج قيمة وصل إليها ابن سينا مع أن عصره ليس عصر التكنولوجيا، و تجدر الإشارة أيضا إلى أن صفات بعض الحروف عند ابن سينا تختلف عما ذكرته الدراسات العربية التراثية الأخرى حيث " نجد ابن سينا يتميز (...) بوصفه التفصيلي المعتمد على تحديد ما يلحق الأعضاء المشاركة في النطق من التعديلات " **(2)**

و قبل أن يختم أحمد مختار عمر حديثه عن الجهود الصوتية العربية و يقيمها يتحدث عن أهم النتائج الصوتية التي توصل إليها العرب القدماء، و التي يمكن أن نلخصها في الآتي: **(3)**

- وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية رتبت أصواتها بحسب المخارج ابتداء من أقصاها في الحلق حتى الشفتين.

- تحدث العرب عن أعضاء النطق و سموا كلا منها مثل الرئة و الحنجرة و الحلق و اللسان، و الشفتين. كما تحدثوا عن مخارج الأصوات بطريقة تفضيلية، و صنفوا الأصوات بحسب المكان الذي يتم فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين.

- توصل العرب إلى أن طريقة التحكم في مجرى الهواء هامة في إنتاج الصوت. و قد قسموا الأصوات على أساسها إلى شديدة و رخوة و متوسطة، و هو يرى في ذلك انه مطابق لما توصلت إليه الدراسات الصوتية الغربية الحديثة.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 112.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 113.

(3): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 114-118.

- اهتدى العرب إلى وجود رنين معين يصحب نطق الأصوات، لذا قسموا الأصوات من حيث وجود هذا الرنين أو عدم وجوده إلى مجهورة و مهموسة، و وضعوا قائمة بكل نوع.
- فصل العرب الأصوات المطبقة عن غيرها، و هي الأصوات المفخمة التي يشترك مؤخر اللسان في النطق بها، و ذكروا أنها: الصاد و الضاد و الطاء و الظّاء.
- قسم العرب الأصوات إلى صحيحة و معتلة على أساس اتساع المخرج مع العلة دون الصحيحة. و اهتدوا أيضا إلى السمات الخاصة التي تميز بعض الأصوات.
- تحدث العرب عن أطوال أصوات العلة و قسموها إلى قصيرة و طويلة و أطول.
- إلى جانب ذلك تحدث العرب أيضا عن ائتلاف الحروف و كيفية بناء الكلمة العربية.

و بعد أن أشاد أحمد مختار عمر بالجهود الصوتية العربية القديمة و أشار إلى أنها حققت و وصلت إلى ما وصلت إلى الدراسات الصوتية الغربية الحديثة يعقب على هذه الجهود ببعض الملاحظات التي يمكن تلخيصها في: **(1)**

- أن معظم الدراسات و الكتب العربية القديمة التي عرضت للأصوات و صفاتها تقلد و تتبع ما جاء به الخليل و سيبويه.
- عدم توحيد المصطلحات بينهم و غموض بعضها، و من ذلك "الحروف المصمتة"، "الشجرية"، "المتفشية"، و من ذلك أيضا استخدام سيبويه مصطلح "الإطباق" في مقابل مصطلح الخليل: "الاستعلاء"، ...
- أهمل علماء العرب دراسة النبر إهمالا تاما، و يرجع أحمد مختار عمر السبب في ذلك إلى أن النبر ليس فونيما في اللغة العربية.
- أهمل علماء العربية دراسة المقاطع و أشكالها و إجزائها كذلك إهمالا تاما.
- افترض اللغويون العرب وجود حركة قبل أصوات العلة الطويلة من جنسها فزعموا وجود فتحة قبل الألف في "قال" و كسرة قبل الياء في "يرمي" و هذا خطا في نظر أحمد مختار عمر، لأنه ليس هناك فتحة و لا كسرة، لأن الألف نفسها هي الحركة و الياء نفسها هي الحركة، و لكن كلا منهما حركة طويلة.

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 119-122.

- عدم تمثيلهم أصوات العلة القصيرة في الكتابة أول الأمر، ثم تمثيلهم لها في فترة متأخرة برموز تثبت فوق الصوت الساكن أو تحته، أي مع النظر إليها على أنها أصوات ثانوية، على الرغم من أنها أكثر أهمية من الأصوات الساكنة، و أكثر وضوحا في السمع منها، و هي التي تكون قسم المقاطع في اللغة العربية.

- عند القدماء صوت الهمزة من الأصوات المجهورة، و هذا لا يتفق مع حقيقة الأوتار الصوتية حال النطق بهذا الصوت، لأن الأوتار الصوتية حينئذ تغلق أولا إغلاقا تاما لفترة قصيرة ثم تنفرج فجأة و بسرعة فيخرج الهواء محدثا انفجارا. و ربما نطق علماء العربية الهمزة متلوة بحركة فظنوها مجهورة، مع أن الجهر سببه الحركة لا الهمزة.

و ختاما نلاحظ من خلال ما ذكره أحمد مختار عمر عن الجهود الصوتية العربية التراثية انه يشيد و يمجد هذه الدراسات الصوتية خاصة ما تطابق منها مع ما وجد في الدرس الغربي الحديث، و يشير إلى أن الدراسات الغربية الحديثة اعتمدت على وسائل جد متطورة لتصل إلى هذه النتائج التي وصل إلى الدرس العربي الصوتي القديم من دون أجهزة و آلات.

و في المقابل إذا وجد في الدرس العربي الصوتي القديم ما يخالف الدراسات الحديثة أو ما لم يذكر فيها فانه يعقب على هذه الأمور مثل عدم حديثهم عن النبر و المقطع، كما يشير إلى عدم توحيد المصطلحـــــات في المؤلفات العربية القديمة، و ربما هذا واحد من الأسبـــاب التي جعلت التراث العربي عموما لا يأخذ بعده الحضاري و الإنساني ضمن الكتب التي تؤرخ لعلم اللغة منذ نشأته إلى يومنا هذا.

ثانيا: أحمد مختار عمر و الدراسات الصوتية الغربية الحديثة

اهتم أحمد مختار عمر بالدراسات الصوتية اهتماما كبيرا، و تحدث عن الأصوات و ما وصلت إليه الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، حيث خصص مؤلفا كاملا للدراسات الصوتية تماما عنونه بـــ: دراسة الصوت اللغوي.

و من خلاله يمكن أن نستشف كيف نظر أحمد مختار عمر إلى الدراسات الصوتية الغربية الحديثة التي يرى بأنها تمثل المظهر المتطور في الدراسات الغربية الحديثة حيث يقول: "و لعلنا لا نكون مبالغين حين نقرر أن المظهر المتطور لعلم اللغة الحديث لم يتمثل في أي فرع من فروع علم اللغة مثلما تمثل في علم الأصوات بمناهجـــــه المتعددة، و وسائل بحثه المختلفـــــة و بالاته و أجهزته المتطورة التي يستخدمها الآن في ميدان الدراسة" **(1)**

و هذا أول مظهر من مظاهر إشادة أحمد مختار عمر بالدراسات الغربية الحديثـــــة عموما و الدراسات الصوتية بصفة خاصة.

و يرى بان كتابه هذا سيطلع القارئ العربي على مباحث علم الأصوات لأن المكتبة العربية فقيرة في هذا النوع من البحوث أي حول علم الأصوات يقول: "و هو العلم الذي نقدم مباحثه للقارئ، الآن تحت عنوان "دراسة الصوت اللغوي" (...) و إذا كانت المكتبة العربية قد حوت بضعة كتب في علم الأصوات اللغوية مثل:

1- الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس.
2- أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب.
3- دروس في علم أصوات العربية لجان كانيتنو، و ترجمة صالح القرمادي.
4- الأصوات للدكتور كمال بشر.
5- دراسات صوتية للدكتورة تغريد السيد عنبر.
6- الأصوات اللغوية للدكتور محمد علي الخولي.

فهي ما تزال فقيرة جدا في هذا اللون من البحوث، بالإضافة إلى أن التطور السريع لهذا العلم يسمح في أي لحظة بعدد آخر من الكتب دون خشية التكرار مع واحد مما سبق صدوره.

---

(1): أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، دار عالم الكتب للنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1991، ص: 14.

و لاسيما إذا كان الباحث على متابعة و اتصال دائمين بآخر ما تنتجه المطبعة باللغات المختلفـــة" **(1)**

فهي محاولة منه لتقريب القارئ العربي من علم الصوتيات الحديث بكل مباحثه لأنه كما ذكر سابقا يمثل مظهرا من مظاهر التطور في علم اللغة الحديث.

سنبدأ أولا بكيفية تقسيم أحمد مختار عمر لأبواب و فصول هذا الكتاب، و التي يتبين أنها اتخذت مصطلحات و تقسيمات الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، حيث يبدأ حديثه بفصول تمهيدية خصص الأول منها لعلم الأصوات الأكوستيكـــــي، أما الثاني فلعلم الأصوات السمعـــي، و الثالث لعلم الأصوات التجريبي.

أما المصطلحات الصوتية التي جاءت في علم الأصوات الحديث مثل: فونتكس، فونولوجي، فونيمكس فقد جمعها في الفصل الرابع من الباب التمهيدي، و في نهاية هذا الباب تحدث عن الكتابة الصوتية.

و بعد التمهيد لهذا العلم يخصص أحمد مختار عمر الباب الثاني من الكتاب للحديث عن علم الأصوات النطقي؛ فالفصل الأول تضمن الجهاز النطقي في حين تضمن الثاني إنتاج الصوت اللغوي، أما الثالث فقد خصص للعلل و السواكن.

بعد هذا الباب يأتي الباب الثالث للحديث عن الوحدات الصوتية، حيث كان الفصل الأول مخصصا للفونيم، أما الثاني فتحدث فيه عن المقطع.

و لم تتضمن أبواب و فصول الكتاب مصطلحات و دراسات خاصة بالدراسات الصوتية الغربية فقط حيث خصص الباب الرابع لأصوات اللغة العربية.

تحدث في الفصل الأول من هذا الباب عن الفونيمات التركيبية، أما الفصل الثاني فتحدث فيه عن الفونيمات فوق تركيبية، أما الفصل الثالث فخصص للتطور الحاصل في أصوات اللغة العربية.

ملاحـــق الكتاب كذلك يمكن أن تبيّن بعض اتجاهاته، حيث خصص الملحق الأول للحديث عن أهمية علم الأصـــوات و مجالاته التطبيقية، أما الملحق الثاني فقد خصـــص للمصطلحات الإنجليزية التي تجاوز عددها خمسمائة (500) مصطلـــــح مما يدل على كثرة الحديـــث عن المصطلحات الصوتية الغربية.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 14-15

و للمراجع المعتمدة في هذا الكتاب أيضا دور في معرفة اتجاهه و نوعية مادته، فقد بلغ عدد المراجع العربية عشرين مرجعا، أما المراجع الأجنبية فقد بلغ عددها تسعة و خمسين (59) مرجعا، و هذا يدل على كثرة الاعتماد على المراجع الأجنبية لأنه – كما صرح سابقا – بصدد تقريب هذا العلم الجديد من القارئ العربي، و لأن المكتبة العربية فقيرة في هذا النوع من البحوث، فأراد من وراء هذا الكم من الكتب، و كذلك المصطلحات الأجنبية أن يسد هذا النقص.

و من أمثلة ذلك شرحه للتعاريف الخاصة بعلم الأصوات و مصطلحاته و إيراده لأكثر من تعريف بالنسبة للمصطلح الواحد، و كذلك إيراد الترجمة المتعلقة بهذا التعريف أو المطابقة لها، يقول: "علم الأصوات الأكوستيكي Phonetics Acoustic فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع. و بعضهم يطلق عليه اسم علم الأصوات الفيزيائـــــي Phonetics Physical و هو اختيار Jakobson و Joos و FAUT و Halle و غيرهم. و ترجم الدكتور محمـــود السعران كلمة Acoustic بـــ "سمعي" و شرحها بقوله: "ما يتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته في الهواء إلى أذن السامع. و أثره السمعي. و هو هنا يجمع بين فرعين من فروع علم الأصوات، و هما علم الأصوات الأكوستيكي Acoustic و علم الأصوات السمعي Auditory" **(1)**

و لا يبقى أحمد مختار عمر طبعا عند هذا التعريف إنما يتطرق إلى الآلية التي تتحقق بها هذه الظواهر الصوتية من خلال قوله "و سنعالج تحت هذا العنوان ما يتعلق بالجانب المادي للأصوات أثناء حدوثها و انتقالها من المتكلم إلى السامع، تاركين العملية السمعية و إدراك السامع للأصوات إلى فصل آخر بعنوان «علم الأصوات السمعي »" **(2)**

يتحدث أحمد مختار عمر عن أكوستيكية الصوت و يخاطب القارئ العربي على أساس انه مطلع على جزء من الدراسات الصوتية الغربية أو على الأقل على الدراسات الصوتية العربية الحديثة التي تعرِّف بالدراسات الغربية، و في الوقت نفسه يشرح له هذه الدراسات و يبين كيفية عملها بقوله "من المعروف أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي:

---

(1): أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 19.

(2): المرجع نفسه، ص: 20.

(أ) وجود جسم في حالة تذبذب.

(ب) وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.

(ج) وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات" **(1)**

و لا يتوقف أحمد مختار عمر عند هذا إنما يشرح بدقة و تفصيل هذه العمليات ليبين الأهم منها "و العنصر الذي يهمنا في هذا الفصل، هو اختبار الاضطرابات في الهواء أو في الوسط الناقل للذبذبات، فالصوت Noise مهما كان مصدره أو أصله يحتوي على اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج، ثم ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي. و تعقد عادة مقارنة هنا بما يحدث من تموجات نتيجة إلقاء حجر على سطح ماء أملس" **(2)**

ليجمع بعد ذلك أهم الأفكار التي يعالجها هذا الفرع من علم الأصوات في مجموعة من القضايا بطريقة يمكن أن نقول عنها أنها طريقة تعليمية، حيث يتحدث عن مصدر الصوت بقوله "و هو أي شيء يسبب اضطرابا أو تنوعا ملائما في ضغـــط الهواء، مثل الشوكة الرنانـــة، و الوتر الممتد. و هو في أصوات اللغة أعضاء النطق، و لاسيما الوترين الصوتيين، التي تتحرك في اتجاهات مختلفة، و بأشكال متعددة، و ننتج أصواتا Sounds تسبب تنوعات في ضغط الهواء" **(3)**

أما عن كيفية انتقال الصوت فيقول: "تنتقل الأصوات بسرعة من مصدرها إلى أذن السامع. و إذا راقبنا شخصا يتكلم يخيل إلينا أننا نسمع في نفس لحظة نطقه، و لكن في الحقيقة يوجد وقت قصير بين النطق و السمع. و في حالة وجود مصدر صوت بعيد المدى مثل بندقية أو مدفع فإننا نرى ضوء الانفجار قبل أن نسمع صوته" **(4)**

و يقرر أن هذه الظاهرة فيها شيء من الغموض فيفصل في شرحها و تبسيطها بقوله: "و لنفهم هذه الظاهـــرة من المناسب أن نتصور الهواء بين آذاننا و مصدر الصوت كما لو كان مقسما إلى عدد من الأجزاء. يسبب مصـــدر الصوت تحركات لأجـــزاء الهواء المجـــاورة له، و هذه

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 20.

(2): المرجع السابق نفسه: ص: 21.

(3): المرجع السابق نفسه، ص: 21.

(4): أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 21.

التحركات تسبب اضطرابات في الهواء لمسافة ابعد من المصدر، و هذه الأجزاء بدورها تؤثر على ما جاورها .. و هكذا يمتد التأثير بعيدا عن مصدر الصوت و ينتشر خارجا" **(1)**

و عندما يأتي إلى الحديث عن التردد فانه يقدم له تعريفا كما ورد في الدراسات الغربية الحديثة ثم يظهر كيف تطبق هذه المفاهيم على الأصوات مبيّنا مقابلاتها في إحداث الصوت فـــ "يعنى بالتردد Frequency عدد الدورات الكاملة في الثانية (...) و الجسم الثقيل يتذبذب بصورة أبطأ من الجسم الخفيف، و الشوكة الرنانة ذات الذراعين الطويلين تتذبذب أبطأ من الشوكة ذات الذراعين القصيرين، و الكتلة الكبيرة أو المتسعة تتذبذب أبطأ من الكتلة الصغيرة أو الضيقة، و الوتر الطويل يتذبذب أبطأ من الوتر القصير و يمكن زيادة التردد أو نقصه عن طريق تغيير شد الوتر، و الوتر الغليظ يتردد بنسبة اقل من نظيره الرفيع. و كلما كانت فتحة التجويف ضيقة كانت نسبة التردد اقل، و يمكن مضاعفة نغمة التجويف عن طريق تصغير الحجم، أو توسيع الفتحة" **(2)**

فأحمد مختار عمر هنا يشرح و يبسط للقارئ العربي هذه المفاهيم و يحاول أن يدخل في كل جزئياتها يشرحها هي الأخرى بطريقة بسيطة بحيث يسهل فهمها.

و يواصل أحمد مختار عمر التفصيل في قضايا علم الأصوات الأكوستيكي ليبين لنا هذه المرة كيفية التفريق بين صوت و آخر، فهناك عوامل متعددة يمكن عن طريقها إنتاج أصوات يختلف الواحد منها عن الآخر. و حين سماع أي صوتين يمكن مقارنتهما من خلال هذه الجوانب المختلفة و يمكن تلخيص هذه الجوانب في: **(3)**

أ- العلو Loudness، فإذا قرعت شوكتين رنانتين متماثلتين، واحدة برفق و الأخرى بقوة، فان الفرق بين الصوتين الناتجين سيكون أن احدهما خفيض و مجرد مسمـــــوع، أما الآخر فعـــــال و يمكن سماعه على مسافة. و ذلك لأن الحركة القوية تؤدي إلى اضطراب اكبر في الهواء، و بالعكس. و بالنسبة للسامع يسبب اضطراب الهواء القوي حركة اكبر في طبلة الأذن و يترجم ذلك بارتفاع الصوت. فالطاقة الأكبر تنتج سعة ذبذبة اكبر و صوتا أعلى.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 21-22.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 23-24.

(3): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 30-31.

ب- درجة الصوت Piteh، فإذا ضغطت على إصبعي بيانو بصورة واحدة أدت إلى أن يكون العلو واحدا، فانك ما تزال تجد فرقا بين الصوتين. الفرق الرئيسي بين الصوتين نتج عن أن احد الصوتين أعلى في الدرجة من الآخر. و تكون درجة الصوت أعلى كلما كانت الذبذبات أسرع و عددها في الثانية أكثر. و يوصف الصوت حينئذ بأنه دقيق. أما حين يقل عدد الذبذبات فان الناتج يكون صوتا سميكا. فالفرق بين شوكة رنانة ذات درجة صوتية عالية، و أخرى ذات درجة صوتية منخفضة أن الأولى تعمل عددا اكبر من الذبذبات في الثانية.

ج- نوع الصوت Timbre، و هو فرق يظهر بين نغمتين موسيقيتين ربما اتفقت في درجة الصوت و العلو و لكنهما أنتجتا بآلتين مختلفتين مثل بيانو و كمان.

و تفسير ذلك أن كلتا الآلتين تصدر مجموعة من النغمات واحدة منها و هي الأساسية هي المسيطرة و الأخريات (التوافقيات) تكون في وضع انسجام معها.

و حيث إن الجسم الرنان يقوي بعضا من هذه التوافقيات أكثر من الأخريات فإن النغمة تتلقى خصائص تسمح للسامع أن يميز بين صوت و آخر، أو آلة و أخرى.

و بهذا يظهر أن نوع الصوت هو الأثر السمعي الناتج عن عدد الموجات البسيطة التي تكون الموجة المركبة التي تحمل الصوت للأذن، و تردد كل منها، و اتساعها.

و يعتمد أحمد مختار عمر في بيان هذه العوامل على ما جاءت به الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، و على بعض الكتابات الصوتية العربية الحديثة مثل كتاب أصوات اللغة لعبد الرحمن أيوب.

و في بعض المواقف يتبنى أحمد مختار عمر بعض الآراء الغربية المتعلقة ببعض المفاهيم الصوتية مثل علم الأصوات السمعي يقول "على الرغم من تشكك بغضهم في قيمة ما يسمى بعلم الأصوات السمعي Auditory Phonetics نظرا لأنه لم يحقق حتى الآن تقدما كبيرا فقد رأينا أن نفرد له فصلا مستقلا، لأن هناك ما يمكن أن يقال تحت هذا العنوان، و لأن أهمية دور المتكلم – و الشكل الآتي يبين حركة العملية الكلامية من أولها إلى آخرها.

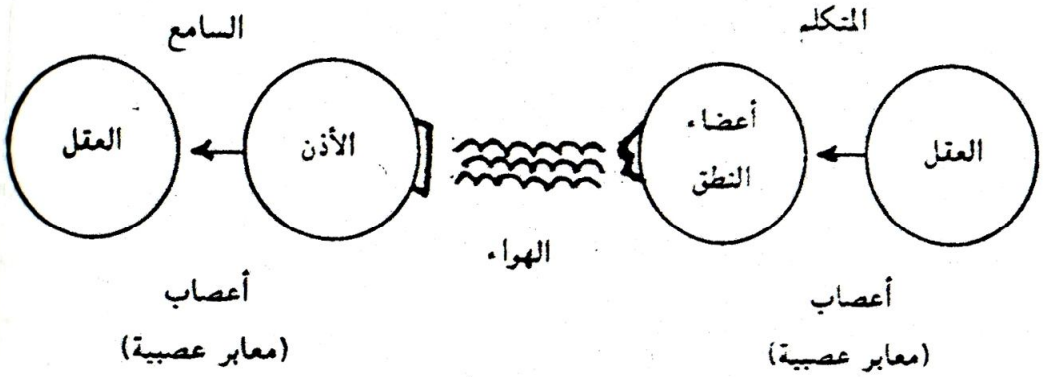

" **(1)**

يتبنى أحمد مختار عمر هنا رأي دافيد كريستال (David Crystal) و موقفه من المشككين بعلم الأصوات السمعي و يبين ذلك من خلال بيان أهمية دور السامع في العملية الكلامية و التي لا تقل عن دور المتكلم. **(2)**

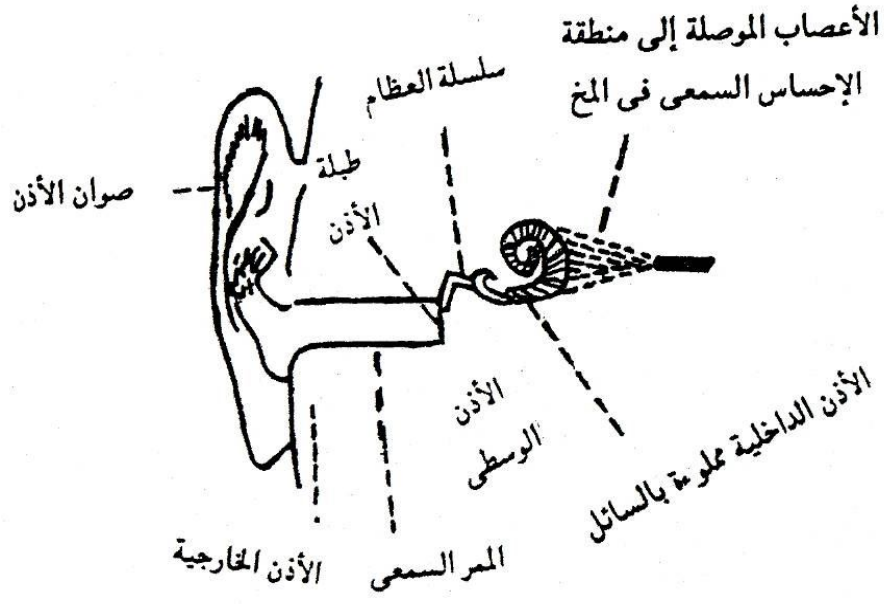

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 45.

(2) : Voir : Crystal, David : The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge, 1988, P : 10.

و يكمل كل ما بتعلق بالعملية السمعية وفق ما ورد في الدراسات الصوتية الغربية الحديثة لينهي فصوله بها من دون ذكر أي تعقيب أو تعليق.

و في حديث أحمد مختار عمر عن التداخل بين المصطلحات الصوتية يورد هذه المصطلحات و اختلافاتها عند أعلامها في الدراسات الغربية ليصل في النهاية إلى ما أُقِرَّ استعماله **(1)**، و يوافقه الرأي من خلال قوله: "أما الآن فمعظم اللغويين – و نحن معهم – يخصصون المصطلح "فونولوجي" للدراسة التي تصف و تصنف النظام الصوتي للغة معينة. و قريب من هذا المفهوم تعريف Martinet: دراسة العناصر الصوتية للغة ما، و تضيف هذه الأصوات تبعا لوظيفتها في اللغة و تعريف Morris Halle: فرع علمي موضوعه أصوات الكلام كوحدات تركيبية للغة.

أما مصطلح "فونتكس" فيقصرونه على دراسة أصوات الكلام مستقلة عن تقابلات نماذجها، و عن تجمعاتها في لغة معينة، و دون نظر إلى وظائفها اللغوية، أو حتى معرفة اللغة التي تنتمي إليها.

و هم قليلا ما يستعملون الآن المصطلح: فونيكس، و نادرا ما يستعملون المصطلح: "فونيماتكس" **(2)**

كما انه أشار إلى ترجمة هذه المصطلحات في الدراسات الصوتية التي سبقته **(3)**

و الغاية من وراء ذلك بيان سبب تنبيه لبعض المصطلحات و مفاهيمها و بيان و توضيح دلالاتها كذلك.

كما تحدث عن الكتابة الصوتية العالمية و شرحها أيضا و أضاف إلى ذلك مجموعة من العيوب التي يمكن تلخيصها فيما يلي: **(4)**

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: المصطلحات الألسنية في اللغة العربية، ندوة اللسانيات و اللغة العربية، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، سلسلة اللسانيات 4، ديسمبر، 1978، ص: 246.

(2): أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 68-69.

(3): ينظر: - المرجع السابق، ص: 69-70.

- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص: 139-140.

- كمال بشر: الأصوات، دار المعارف للنشر، مصر، ط1، 1970، ص: 34، 69.

- محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، لبنان، ط1، 1970.

(4): ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 91-92.

1- أن معظم من اشتركوا في صنعها علماء أوروبيون ركزوا اهتمامهم على المشاكل الصوتية الخاصة باللغات الأوروبية.
2- أن الأبجدية الصوتية الدولية لم تكن نتاج بحث شامل مستفيض بقدر ما كانت حلا وسطا لوجهات النظر المختلفة للدارسين. و في مثل هذه الأحوال يضحى بالدقة و الاطراد في سبيل وجهات النظر المختلفة.
3- أنها – ككل الدساتير و القوانين الرسمية – نظام محافظ بطيء التغيير بالنسبة لما أحرزه علم الأصوات حديثا من معلومات جديدة و من اجل هذا فليس بغريب أن نجد بعض الكتاب يدخلـــون تعديلات جزئية على هذه الأبجديـــة، بناء على احتياجاتهـــم و وجهات نظرهم.

من خلال بيانه لهذه العيوب يمكن أن نستنتج ما يلي:

- اهتمامه بخصوصية اللغة العربية.
- حرصه على مبدأ العلمية في الدراسة الصوتية.
- إقراره لمبدأ الرفض أو الإبطال في بعض القضايا العلمية إن كان هناك ما يبطلها.

كما انه بين بعض ميزات و مزايا الكتابة الصوتية العالمية و التي يمكن جمعها في: **(1)**

1- أنها أبجدية رسمية لا تمثل شخصا بمفرده، و إنما جمعية عالمية معترفـــا بها لها وزنها و شخصيتها في مجال الدراسة.
2- أنها أكثر انتشارا من سائر الأبجديات، و هذا يعني أنها أكثر الوسائل الممكنة لتبادل الأفكار في هذا الحقل التخصصي.
3- أنها وحدت الرموز بين علماء الأصوات، و لم تترك الأمر فوضى كما كان سابقا.
4- أنها وفرت على الباحثين مشقة وصف الأصوات، كل على حدا. و قد كانت العادة المتبعة من قبل أن يقدم مؤلفو الكتب اللغوية لكتبهم بوصف لأصواتها يستعينون فيه بمقارنتها بأصوات قريبة منها في لغة مشهورة.

هذه بعض النماذج عن القضايا و المصطلحات الصوتية، و التي يلاحظ أن في اغلبها نوعا من الحياد. لكن أثنـــاء مناقشة أحمـــد مختار عمر لقضيـــة الوحدات الصوتية و تحديدا مناقشته

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 91.

لقضية الفونيم ينتقـــي بعض المصطلحـــات فقط و لا يأخذ كل المصطلحـــات المختلف فيها في الدراسات الغربية مراعيا في ذلك قوانين صرف اللغة العربية "فضلنا أن نستخدم المصطلحات الثلاثة: فونيم – ألوفون – فون لوضوح العلاقة اللفظية بينها، و لسهولة تصريفها، و لأنها أصبحت مصطلحات عالمية. أما بقية المصطلحات التي طرحت في مقابل المصطلحات الثلاثة السابقة فهي رغم كثرتها معيبة إما لأنها توقع في لبس، و إما لأنها يصعب تصريفها، و إما لتعدد كلماتها، و إما لطابعها الفردي" **(1)**

و هذا لا يعني انه تجاوز هذه المصطلحات جزافا، حيث بيّن السبب في هذا الكلام، كم انه أشار إلى التسميات الأخرى التي أطلقت على هذه المفاهيـــم "فما أطلق على الفونيم: صوتيـــم، و صوت، و صوت مجرد، و صوتية، و مستصوت، و فونيمية، و لافظ. و مما أطلق على الألوفون: صوتم تعاملي، متغير صوتي، و مما أطلق على الفون: صوت، صوت لغوي، صوت كلامي" **(2)**

و بالتالي فهو ينتقي للقارئ العربي ما يبسط له هذه المفاهيم و إن اختلفت طريقته عن الطريقة التي استخدمها أعلام الدراسات الصوتية الغربية فهو يعيد ترتيب هذه المادة يقـــول: "و قد رأيت من الأفضل و الأيسر أن أصنف الآراء لا على أساس المناطق الجغرافية أو الأشخاص، و إنما على أساس التفكير أو المنهج، مخالفا لذلك طريقة Kramsky التي قامت على عرض جهود كل مدرسة على حدا، و جهود كل فرد داخل المدرسة على انفراد، مما أوقعه في التكرار، و أوقع القارئ معه في الحيرة، و حرمه من التصورات الكلي للنظرية، هذا مع اعترافنا باحتواء الكتاب على مادة علمية لا تجدها في أي كتاب آخر" **(3)**

و بالتالي فهو يُقّر في نهاية كلامه أن مصدر المادة غربي، و طريقة ترتيبهـــا من صنعه و السبب في ذلك التبسيط للقارئ.

هذه نماذج عن حديث أحمد مختار عمر عن بعض القضايـــــا و المصطلحات الصوتيـــة و يمكن أن نضيف إليها نماذج أخرى تتعلق بحديثه عن أصوات اللغة العربية.

و أول ملاحظة يمكن تسجيلها هنا هو استخدام أحمد مختار عمر للمصطلحات الصوتية الحديثة

---

(1): المرجع السابق نفسه، هامش ص: 165

(2): أحمد مختار عمر : المصطلح الألسني العربي و ضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، ديسمبر، 1989، ص: 12.

(3): أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 171.

في دراسة أصوات العربية كقوله: "تحتوي اللغة العربية الفصحى على خمسة و ثلاثين فونيما تركيبيا، موزعة على النحو التالي:

1- ثلاثة فونيمات للعلل القصيرة Short Vowels

2- ثلاثة فونيمات للعلل الطويلة Long Vowels

3- فونيمات لأنصاف العلل Semi Vowels

4- سبعة و عشرون فونيما للسواكن Consonants "**(1)**

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 313.

كما انه يجمع هذه الأصوات في جدول ليبين نوعيتها و ليشير أيضا إلى رموزها الدوليـــة و هي مبينة في الجدول الموالي: **(1)**

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي
	الكسرة القصيرة	ـــــِـــ	i
العلل القصيرة	الضمة القصيرة	ـــــُـــ	U
	الفتحة القصيرة	ـــــَـــ	a
	الكسرة الطويلة (ياء المد)	ي	i : أو ī أو ii
العلل الطويلة	الضمة الطويلة (واو	و	u : أو ū أو uu
	المد)	ا	a : أو ā أو aa
	الفتحة الطويلة (الألف)	و	w
أنصاف العلل	الواو	ي	j
	الباء	ء	?
	الهمزة	ب	b
	الباء	ت	t
	التاء	ث	o
	الثاء	ج	□
السواكن	الجيم	ح	h
	الحاء	خ	x
	الخاء	د	d
	الدال	ذ	o
	الذال	ر	r
	الراء	ز	z
	الزاي		

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 313-314.

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي
السواكن	السين	س	S
	الشين	ش	□
	الصاد	ص	□
	الضاد	ض	□
	الطاء	ط	□
	الظاء	ظ	ð
	العين	ع	□
	الغين	غ	□
	الفاء	ف	f
	القاف	ق	q
	الكاف	ك	k
	اللام المرققة	ل	l
	اللام المفخمة	ـــ	□
	الميم	م	m
	النون	ن	n
	الهاء	هـــ	h

و بالتالي بعد تعريف أحمد مختار عمر بالمصطلحات الصوتية الغربية. يطبق الآن من خلال هذه الفصول تلك المفاهيم على أصوات اللغة العربية؛ فبعد شرحه لفونيمات اللغة العربية نجده يوزع هذه الفونيمات على المخارج، و يعطي لها تسميات توافق ذلك فعند حديثه عن الشفتين يشير إلى أن الصوت الذي يتم إنتاجه فيهما يسمى بالشفوي أو الشفوي الثنائي أو الشفتاني.

فالمصطلح الأول يتميز بالاختصار و مطابقة قواعد الصـــرف، و لكن يعيبه عـــدم الدقة، و الثاني يتميز بالدقة و مطابقة قواعد الصـــرف، و لكن يعيبه الاختصار، و الثالث يتميز بالدقة و الاختصار و لكن يعيبه الخروج عن القواعد الصرفية التي تنسب إلى المثنى عن طريق مفرده. **(1)**

فأحمد مختار عمر حدد المخارج باستخدامه لمصطلحات جديدة خاصة به، بعد أن بيّن مميزاتها.

و في بيانه لمخارج بعض الحروف يعتمد أحمد مختار عمر على ما قيل في تراثنا العربي حول هذه الحروف، أو بالأحرى يستند إليه لحل إشكال الاختلاف في مخارج هذه الحـــــروف و من ذلك قوله "إن جميع الآراء التي طرحت بالنسبة لشكل الجيم الفصحى القديمة، على فرض أنها انفجارية حصرت مخرجها إما في مخرج الدال أو في مخرج الكاف. و لكن هناك احتمالا قويا لطريقة نطق هذه الجيم، يحل جميع الإشكالات، و يجمع بين كل أوصاف القدماء لهذه الجيم، و هو احتمال لا يكاد يوجد أي اعتراض عليه.

إن الجيم عند القدماء تنتج من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك بتعبير بعضهم، أو من شجر الفم بتعبير بعض آخر. و هو يرادف تعبير المحدثين: الغار أو الطبق الصلب أو الحنك الصلب. و هي عندهم تشترك مع الشين في المخرج، أو في نقطة الإنتاج.

ثم هي أخيرا انفجارية و مجهورة" **(2)**

و من بين الفونيمات فوق التركيبية التي تحدث عنها أحمد مختار عمر النبر؛ حيث فصّل في جزئياته، و أشار إلى أن هذه الظاهرة أيضا كانت حاضرة في اللغة العربية القديمة لكنها لم تدرس بهذا الشكـــل الحديث، و لو أن العـــرب انتبهوا إليها لقعدوا لها بالطريقة نفسهـــا يقول:

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 315.

(2): المرجع نفسه، ص: 339.

"بالرغم مما هو شائع عن اللغة العربية الكلاسيكية أنها لم تكن تستخدم البنركفونيم ، فهناك أمثلة كثيرة يمكن أن تلتمس فيها فونيمية النبر، و لربما لو فطن اللغويون الأقدمون إلى تحليلها على هذا النحو لقعدوها على ضوء هاته النظرة" **(1)**

فأحمد مختار عمر يركز على الدراسات الصوتية الغربية الحديثة ليقربها إلى القارئ العربي، و في بعض الحالات يعود إلى التراث العربي ليثبت وجود بعض القضايا أو لينفي وجودها.

و ختاما لهدا الفصل يمكن القول بأن كل من التراث اللغوي العربي و الدراسات الصوتية الغربية الحديثة تتطرق إلى المباحث الصوتية بطريقته الخاصة التي فرضتها ظروف معينـــة، و ساهمت فيها عوامل مختلفة.

أما عن أحمد مختار من خلال بحوثه الصوتية فقد عاد إلى الإثنين معا، أي إلى التراث اللغوي الصوتي العربي، و إلى الدراسات الصوتية الغربية الحديثة.

حيث يشيد أحمد مختار عمر بالدراسات الصوتية التراثية خاصة ما تطابق منها مع الدرس الصوتي الغربي الحديث، و يشير إلى أن هذا الأخير – الدرس الصوتي الغربي - إعتمد على وسائل جد متطورة ليصل على نتائج وصل إليها الدرس العربي الصوتي القديم من دون أجهزة و آلات.

و في المقابل إن وجد في الدرس العربي القديم مايخالف الدراسات الحديثة أو مالم يذكر فيه، فإنه يعقب على هذه الأمور مثل عدم حديثهم عن النبر و المقطع .

كما يشير إلى عدم توحيد المصطلحات في المؤلفات العربية القديمة.

أما بالنسبة للدراسات الصوتية الغربية الحديثة فأحمد مختار عمر يحـــــاول أن يبسطهـــا و يقربها من القارئ العربي لأن - كما يرى – المكتبة العربية فقيرة جدا في هذا النوع من البحوث، فيستخدم طريقة تعليمية تشرح و تفصل كل هذه المفاهيم للقارئ العربي.

كما أنه درس أصوات اللغة العربية وفق ما جاءت به هذه الدراسات الصوتية الغربية الحديثة. و اعتمادا على مصطلحاتها.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 360.

نلاحظ أيضا أنه يقدم النقد أو يعلق على الدراســـات العربية القديمة، في حين يكتفي بالشـــرح و التوضيح بالنسبة للدراسات الصوتية الغربية الحديثة و لعل هذا يعود إلى طبيعة هذه الدراسة المتسمة بالعلمية.

عناصر الفصل الثاني:

المبحث الأول: الصرف و النحو عند العرب القدماء.

المبحث الثاني: الصرف و النحو في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

المبحث الثالث: الصرف و النحو في كتابات أحمد مختار عمر.

تمهيـــد:

تعد الجملة الموضوع الأساسي للدرس النحوي باعتبارها الوحدة الإبلاغية التي ينطلق منها الباحث اللغوي، و إليها يعود. و ما الوحدات الصرفية إلا تفكيك لأجزاء الجملة، و تقسيم لمكوناتها، بغية معرفة طبيعة هذه العناصر و وظائفها، للوصول إلى كيفية تشكيلها و تفاعلها، لتؤدي مجتمعة الوظيفة الإبلاغية.

و قد نال هذا الموضوع حظا وافرا من الدراسة في القديم لأنه يعتبر قلب الدراسات اللغوية و كذا الدلالية و البلاغية.

و سنحاول من خلال هذا الفصل التطرق إلى الجهود العربية التراثية و مدى إسهامها في هذا المجال، و كذا الدراسات اللسانية الغربية الحديثة و التي اهتمت أيضا بهذا المستوى – المستوى النحوي التركيبي بالإضافة إلى ما يضمه من وحدات صرفية –

ثم نبحث في رأي أحمد مختار عمر و موقفه من هذه الدراسات العربية التراثية ثم موقفه من الدراسات الغربية الحديثة، و معرفة الأسس التي اعتمدها في بناء مواقفه.

المبحث الأول: الصرف و النحو في التراث العربي

اهتم علماء العربية القدماء بالكثير من القضايا اللغوية، و في مقدمتها اهتمامهم بالمبحثين الصرفي و النحوي و لا تخفى على أحد قيمة التـــراث الذي خلفوه خاصة في هذيـــن المجالين و حقق في الربط بينهما فلقد فهم القدماء درس الصرف فهما صحيحا حين جعلوه مع النحو مجالا واحدا، أو حين أشار بعضهم على ضرورة دراسته قبل النحو **(1)**

فما خلفوه في هذا المجال لا يمكن أن ينكره أو ينفيه أحد بقول تمام حسن :" لم أخف إعجابي بأصالة التفكير لدى نحتنا القدماء، و لم أحجم عن وصف بنائهم النظري الذي جردوه تجريبا من المسموع بأنه "صرح شامخ " و جهد عقلي من الطراز الأول " **(2)**

لكن المشكلة الوحيدة التي تحول دون ظهور فنية هذه الدراسة هي كون معظم هذه الأفكار منتشرة في ثنايا الكتب هنا و هناك، و حتى بعض الدراسات الحديثة التي حاولت أن تقدم قراءة لهذا التراث جاءت بالطريقة نفسها " و هكذا وجدنا أن من عني من الأولين بتسجيل أصول النحو لم يُعْنَ أثناء عرض الفكرة بتنظيمها في صورة نظرية متكاملة يشد بعضها بعضا أو يأخذ بعضها بحجز بعض، و إنما ساقوا من ذلك كلاما هنا و كلاما هناك أو نثروا العبارات العارضة التي لا تثير انتباه القارئ في ثنايا مناقشاتهم للمسائل الفرعية. و لو قد جمعوا هذه العبارات لبنوا بها هيكلا نظريا ضخما التزم النحاة بمضمونه و إن لم يعنوا بصياغته. و لا يكاد متن من متون النحو أو شرح من شروحه يخلو من هذه العبارات" **(3)**

و مع ذلك فان لهذه الدراسات قيمة علمية كبيرة تظهر من خلال القراءات المقدمة حـــول هذا التراث.

فقد اهتم علماء العربية بالمباحث النحوية و الصرفية. و سنحاول أن نقدم عرضا مـــوجزا لهذه الاهتمامات، بداية من سيبويه الذي يعتبر إمام النحاة بلا منازع و نتتبعه حتى وصوله إلى مرحلة اكتماله و نضجه و تبلور أفكاره في اتجاهات و مذاهب معينة.

لكن نتعرف أولا على ظروف و أسباب نشأة هذا العلم في الدراسات اللغوية العربية القديمة.

---

(1): عبده الراجحي: التطبيق الصرفي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، د.ت، ص: 05.

(2): تمام حسان: الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب – النحو – فقه اللغة – البلاغة، عالم الكتب، د.ط، 2000، ص: 09.

(3): المرجع نفسه، ص: 10.

السبب الرئيس و الشائع حول نشأة النحو العربي هو انتشار اللحن، حيث حاول علماء اللغة العربية أن يجدوا حلا لهذه المشكلة – مشكلة شيوع اللحن في اللغة العربية – التي كان سببها اختلاط العرب بغيرهم من الأمم. و هناك عوامل أخرى يمكن أن تلخص في: **(1)**

1- كثرة اللحن، و انتشاره على الألسن.
2- وصول اللحن إلى القران و آياته.
3- اليقظة العلمية بعد الإسلام، و الداعية إلى ترجيح العقول، و الاعتماد عليها و استعمال التفكير العقلي المنطقي السليم، و المنظم.
4- التأثر بالعلوم العقلية الدخيلة.
5- الخلاف المذهبي بين الكوفة، و البصرة.
6- النظر الشخصي، و التأويل المعتمد على التعليل الخاص وفق ما يرجحه العالم باعتماد وجهة نظره دون غيرها.
7- ازدياد عمل العاملين في النحو ازديادا ملحوظا.
8- التنافس القائم بين النحاة، و المشتغلين بالنحو لإثبات التفوق، و إحراز الرياسة.
9- استمرار الحاجة إلى إحراز علم النحو و التعمق فيه لمكانته العلمية، و لحاجة أبناء العربية، و غيرهم إلى تعلمه، خاصة إذا كانوا من العلماء الذين يستخدمون العربية للكتابة، و التعليم، و التأليف.

فكانت هذه العوامل و الأسباب و الظروف وسائل مساعدة على ظهور المباحث النحوية العربية القديمة، التي يعتبر سيبويه رائدها بلا منازع فهو إمام النحاة، و قد جمع في مؤلفه المعرف بـــ: الكتاب مباحث النحو و الصرف، و جعل لكل مكانا منه لا يشركه الآخر فيه أو يكاد. و بدأ بالنحو وثنى بالصرف، ضيع من يراهما علمين **(2)**

و إذا راجعنـــا موضوعـــات الجزء الأول من الكتـــــاب نجدها خاصة بالنحـــو، فقد تناول فيه

---

(1): ينظر: - طلال علامة: تطور النحو العربي بين مدرستي البصرة و الكوفة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص: 28.

- عبد القادر حسين: اثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1998.

- تمام حسان: الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص: 23-28.

(2): ينظر: علي النجدي عاصف: سيبويه إمام النحاة، ّ1953، ص: 170.

الكلمة، و النكرة و المعرفة و الأفعال اللازمة و المتعدية، و أسماء الأفعال، إلى جانـــب الفاعل و المبتدأ و الخبـــر، و أيضا المنصوبات كالمصادر المنصوبة، و الحال و المفعـــول فيه، و إن و أخواتها، و النداء، و الاستثناء، و غيرها.

أما الجزء الثاني فجميع أبوابه صرفية إذا استثنينا باب الممنوع من الصرف الذي افتتح به الجزء. و من موضوعاته، و التصغير، و نونا التوكيد، و جمع التكسير، و أوزان المصـــادر، و صيغ الأفعال، و معاني الزوائد، و اسم الآلة، و أسماء الأماكن، و فعل التعجـــب، و الإمالة، و الوقف، و الإعلال و الإدغام.

و يمكن تتبع كتاب سيبويه على النحو الذي أورده مؤلفه إذ انه يبدأ بالنحو – كما سبق ذكره- ثم يعرف الصرف، و ينهي الجزء الثاني من الكتاب بوصف أصوات العربية. و لم يهمل سيبويه المعنى كما ذهبت إليه بعض المدارس الوصفية الحديثة. و لم يهمل ربط المعنى بالشكل أو اللفظ و لكنه مع ذلك يبدأ بالشكـــل و لا يترك الشكل ليغـــرق في تقصي المعنى وحده **(1)**

و هو يقسم الكلام في العربية، أقساما خمسة:

أ- مستقيم حسن: مثل أتيتك أمس، و سآتيك غدا.

ب- المحال: أتيتك غدا، و سآتيك أمس.

ج- المستقيم الكذب: حملت الجبل و شربت ماء البحر.

د- المستقيم القبيح: قد زيدا رأيت.

و- المحال الكذب: سوف اشرب ماء البحر أمس.

و كان من الممكن أن يضاف إلى هذه المعاني المحال القبيح مثل: أمس سآتيك **(2)**

و يمكن الحديث عن قضايا أخرى كثيرة تبين الجهود و الاهتمامات النحوية لهذا العلم **(1)**

و من بينها التمييز بين اللفظ و المعنى فيورد أمثلة ثلاثة على اختلاف اللفظ و المعنـــــى و اتفاقهما:

---

(1): ينظر: محمد محمود غالي: أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص: 58.

(2): ينظر: سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988، ج1، ص: 95.

أ- اختلاف اللفظ و المعنى: ذهب، جاء.

ب- اختلاف اللفظين، و المعنى واحد: ذهب و انطلق.

ج- اتفاق اللفظين و اختلاف المعنى: وَجَدت – وَجِدت

أما عن اختلاف اللفظين و المعنى واحد فهو ما يعرفه المعاصرون بالمترادفات و إن اختلفوا في مدى الاتفاق في المعنى و هل هو اتفاق كامل أم انه اتفاق جزئي.

و اتفاق اللفظين و اختلاف المعنى كما أورده سيبويه في وَجَدَ و وَجِد، هو في الحقيقة اتفاق في الساكنات، و لكن هذا الاتفاق يصاحبه اختلاف في الحركات فواضح أن الحركة التي تأتي بعد الجيم في وجَدَ هي الفتحـــــة، أما الحركة التي تأتـــــي بعد الجيم في وَجِد فهي الكســـــرة. و الفتحة و الكسرة مختلفتان و لذلك فإن اتفاق اللفظين هما اتفاق غير كامل لأن اتفاق الساكنات لا يصاحبه اتفاق في الحركات، و هذا الاتفاق في اللفظ مع اختلاف المعنى نراه مثلا في كلمة لسان و هو هذا العضو بداخل الفم الذي نستعمله في المضغ و الكلام و اللسان كذلك هذه الأصوات المنتظمة التي تستعمل في التعبير عن الأفكار و الرغبات.

أما اختلاف اللفظ و المعنى فهو الأساس الأول لتحليل الألسنة في القديم و الحديث. إذ أن اللسان مجموعة من الأصوات ترتبط بمعان يستطيع الناطق بلسان معين أن يستبين وسط هذه السلسلة من الأصوات أصواتا متشابهة لها نفس المعنى، و أصواتا مختلفة تختلف في المعنى.

و الفرق بين سماعنا لأصوات لسان نعرفه و لسان لا نعرفه أن أصوات اللسان الذي نعرفه تتمايز فيما بينها فيتشابه بعضها و يختلف بعضها الآخر كما أننا نربط بين هذه الأصوات المختلفة و المتشابهة و بين معانيها، أما إذا استمعنا لأصوات لسان لا نعرفه فإننا قد ندرك شيئا من التشابه بين أصـــــوات هذا اللســـان و ما اختلف منها و لكننا لا ندرك الارتبـــاط بين هذه الأصوات و بين معانيهـــا كما تحدث سيبويه في كتابه عن قضيـــة المسند و السند إليه و هما مصطلحـــان يدلان على الجملـــة بمفهومها الحديـــث. فسيبويه من خـــلال حديثه عن هذيـــن المصطلحين حدد الترابط الموجود بين مجموعة الوحدات اللغوية الواردة في سياق واحد أو في

---

(1): ينظر: محمد محمود غالي: أئمة النحاة في التاريخ، ص: 65.

- محمد عبد اللطيف حماسة: النحو و الدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط2، د.ت، ص: 26-27.

- عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1988، الفصل الأول.

- عبد القادر حسين: اثر النحاة في البحث البلاغي، الفصل الثاني.

جملة واحدة يقول: "المسند و المسند إليه لا يغني واحد منهما عن الآخر، و لا يجد المتكلم منه بدا فمن ذلك الاسم المبتدأ و المبني عليه و هو قولك: عبد الله أخوك و هذا أخوك و مثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء" **(1)**

فهذا الكلام يبين اهتمام سيبويه بارتباط الوحدات اللغوية في سياق واحد كما يقسم سيبويه الكلام في العربية تقسيما وصفيا إلى اسم و فعل و حرف على النحو التالي:

الاسم		الفعل			الحرف
اسم	حدث	ماض	لم يقع	لم ينقطع	لمعنى و ليس باسم
رجل		ذهب	اقتل	يذهب	و لا بفعل
ضرب		حمد	اذهب	تذهب	ثم
حائط	حمد			يقتل	سوف
				تقتل	ل - و

و هذا التقسيم يأخذ من شكل الكلمات منهجا يسير عليه، فلقد قسم الأسماء قسمين الأسماء التي تدل على أشخاص أو أشياء مثل رجل، حائـــط، و الأسماء التي تدل على أحداث مثل ضـــرب و حمد.

كما قسم سيبويه الكلمات إلى معرب و مبني، و رأى أن هذين القسمين يشملان كل أقسام الكلام، فالأسماء المتمكنة و الأفعال المضارعة معربة، أما الأسماء غير المتمكنة و الأفعال غير المضارعة و الحروف فهي مبنية. كما هو موضح في الجدول: **(2)**

---

(1): سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 23.

(2): محمد محمود غالي: أئمة النحاة في التاريخ: ص: 67.

أ- المعـــــرب

حروف الإعراب	النصب	الجر	الرفع	الجزم
1- الأسماء المتمكنة	رأيت زيدا	مررت	هذا زيد	ــ
2- الأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين	لن يفعل	بزيد	يذهب	لن يفعل
		ــ	سيفعل	

ب- المبنـــــي

علامات البناء	الفتح	الكسر	الصم	الوقف
1- الأسماء غير	كيف	أولاء	حيث	من، كم
المتمكنة	أين	حذار	قبل	إذ
2- الأفعال	ضرب	ــــــــــــــــــ	ــــــــــــــــــ	أضربه
غير المضارعة	سوف	بزيد	منذ	قد، من
3- الحروف	ثم	لزيد		هل

و هذا التقسيم إلى مبني و معرب يكمل التقسيم الأول للكلام إلى اسم و فعل و حـــــرف و يقويه من نواح كثيرة:

1- فالاسم: هو الطرف الأول من هذا التقسيم و يختلف عن غيره من أقسام الكلام في أن التنوين يلحقه عادة في النصب و الجر و الرفع، و لا يلحق التنوين أقسام الكلام الباقية.

2- الحرف: و هو ما يبنى على الفتح و الكسر و الضم و الوقف دائما.

3- الفعل و هو قسم بين الاسم و الحرف فتارة يكون معربا و يضارع الاسم في هذه الحالة و تارة يكون مبنيا كما هو الحال في الفعل الماضي و الأمر.

و هناك طائفة من الأسماء ألحقها سيبويه بالأفعال لأنها تارة تبنى إذا كانت غير متمكنة مثل: قبلُ و تارة لا تبنى مثل: من قبلِ ذلك.

و بهذا كان سيبويه رائد الدراسات النحوية و الصرفية في التراث العربي و ذلك لـــ "أن النحو قبل سيبويه لم تكن له صورة العلم ذي الأبواب و الفصول و القواعد العامة، و إنما كانت مسائل متفرقة لا تجمعها قاعدة و لا يضمها باب جامع، بل كانت ممتزجة بغيرها من مسائل اللغة و الأدب، لتفسير القرآن، و فهم أشعار العرب، فاستطاع كتاب سيبويه أن يجمع القواعـــــد و يرتبها، و يعقد أبوابا يجمع فيها أشقاءها من المسائل النحوية، فاعتبر بذلك أول كتاب لتدوين النحو العربي وصل إلينا بهذه الصورة الكاملة" **(1)**

لكن هذا لا ينفي وجود جهود أخرى حيث يمكن الحديث عن أعلام آخرين كان لهم الفضل أيضا في هذا المجال، و الأمثلة كثيرة حيث نذكر – على سبيل التمثيل لا الحصر: الفراء، المبرد، ابن جني، ابن يعيش، ... و لسنا هنا بصدد التفصيل في كل هذه الجهود إنما اقتصر البحث بمجهود سيبويه لما له من قيمة و أهمية في الدراسات النحوية العربية القديمة و الحديثة. لننتقل إلى الحديث عن هذه القضايا في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

المبحث الثاني: الصرف و النحو في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة

بعد حديثنا عن الجهود العربية في مجال الصرف و النحو، نحاول أن نبين كيف نظرت الدراسات اللسانية الغربية الحديثة إلى هذين المبحثين أو المستويين المهمين في الدراسات اللغوية و كذلك معرفة المجال الذي درست ضمنه هذه القضايا.

و سنبدأ بالاتجاه البنيوي على أساس أنه يمثل بداية الدراسات اللسانية الغربية الحديثة .

1- الاتجـــاه البنيـــوي :

أبدت البنيوية اهتماما كبيرا بالمستويين الصرفي و النحوي التركيبي لأن هذه المستويات تعتبر الأساس أو المبدأ الذي قامت عليه فالبنية "مجموعة منسجمة من العناصر و الوحـــــدات، و هذه الوحدات تركب بعضها على بعض بكيفية خاص تؤدي المعنى في الخطاب بكيفية خاصة، أنها نظام متناسق الأجزاء" **(2)**

---

(1): عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص: 68.

(2): صالح بلعيد: التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 1994، ص: 45-46.

فداخل هذا البنـــاء يمكن الحديـــث عن هذين المستويين من ثنائية المحوريـــن الاستبدالي و التوزيعي التي تحدث عنها فرديناندي سوسير في كتابه محاضرات في الألسنية العامة.

حيث فرق دي سوسير بين المجموعات اللغوية الموجودة في الذاكرة و التي تشكل محورا شاقوليا استبداليا، و بين المجموعات اللغوية الحاضرة في الجملة و التي تشكل محورا أفقيا نظميا، و لكي يتم إدراك معنى ما يرد في الجملة لابد من النظر إلى المحورين معا لأن "العلاقات التركيبية حضورية، و تقوم على عبارتين أو أكثر موجودتين في سلسلة موجودة بقوة الفعل، و على نقيض ذلك، فالعلاقة الترابطية تجمع بين عبارات غيابية في سلسلة موجودة بالقوة" **(1)**

فالمحور التركيبي يمثل الوحدات اللغوية الحاضرة في الجملة فهي حاضرة بقوة الفعل أي فعل الكلام في حين أن الوحدات اللغوية التي يمثلها المحور الاستبدالي غائبة لأن مجرد اختيار لفظ ليكون في التركيـــب يقتضـــي غيـــاب الألفـــاظ الأخرى التي تؤدي معه المعنى نفسه، أو التي تربطـــه بها علاقـــة ما لأن الكلمات خارج هذا التركيب تتميز بشـــيء مشترك "و تترابـــط في الذاكرة مشكلة مجموعات تسودها علاقات مختلفة. فمثلا كلمة «Enseignement» أي (تعلم) مثلا تجعل قافلة من كلمـــات أخرى تنبثق في الذهن لا شعوريا «Enseigner»، «Renseigner» "أعلم"، "علم" ... إن الكلمات مجتمعة شيئا مشتركا من جانب أو من آخر" **(2)**

و الكلمات داخل التركيب تكتسب قيمتها من خلال رتبتها أو السياق الذي ترد فيه "و عندما تدخل الكلمة في تركيب ما، فإنها تكتسب قيمتها فحسب من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات" **(3)**

و تعريف ماري نوال كاري للاستبدال يخصص أكثر في طبيعة العلاقة التي تجمع بين هذه الكلمات، لأنه يرى في الاستبدال مجموع السياقات المترابطة بنظام بنيوي. فنتحدث مثلا عن استبدال فعلي بتعيين مختلـــف الصيغ الصرفية لهذا الفعل، أي جعل العلاقـــة بين الكلمات علاقة دلالات صرفية، أما التركيـــب فيراه مجمـــوع الوحـــدات التي تعرف بالبنية الداخلية أي

---

(1): فرديناندي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ص: 150.

(2): المرجع نفسه، ص: 149-150.

(3):صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 1992، ص: 21.

علاقات الوحدات فيما بينها و علاقتها بالمجموع الذي تترابط معه في الجملة. **(1)**

و لا تنحصر جهود الاتجاه البنيوي في مجالي الصرف و النحو في هذه الثنائية فقط. إنما نجد اهتمامات أخرى مثل جهود المدرسة التوزيعية الأمريكية التي يعتبر ليونارد بلومفيلد « Leoanard Bloomfield » مؤسسا لها.

قامت هذه المدرسة على استبعاد المعنى من دراسة الجملة استبعادا تاما. و لذلك عُرِفَت بأنها مضادة للمعنى، و قد اتبعت منهجا في التحليل قام على تفكيك الجملة إلى مكوناتها المباشرة. و طبقا لهذا المنهج فإن الجملة لا ينظر إليها على أنها مجموعة من المفردات المتحاذية في السياق الكلامي بل على أنها مكونة من طبقات متراكبة أو مستويات **(2)**

و هي بهذه الطريقة مدرسة لسانية اهتمت بقواعد النحو لكن بطريقتها الخاصة التي بنيت على التعامل الشكلي مع الجمل، و لم تبن على المعنى. فهي مباحث نحوية لا تراعي العلاقات المعنوية و المنطقية بين الكلمات.

و على هذا الأساس فإن الجملة التالية: "فلان حل مشكلا عويصا" ليس لها شكل خطي: فلان+ حلّ + مشكلا + عويصا. إنما بناؤها كالآتي:

مستوى 4			(6) مشكلا	(7) عويصا
مستوى 3	فلان (3)	(4) حل	(5) مشكلا	عويصا
مستوى 2		(2) حل	مشكلا	عويصا
مستوى 1	(1) فلان	حل	مشكلا	عويصا

و هذه الطريقة في تمثيل تركيب الجملة تعرف بعلبة هوكات Hockett **(3)**

و هي تقوم – كما نرى – على عزل عنصر واحد من عناصر الجملة في كل مستوى إلى

---

(1) : Voir : Marie-Noîlle Gary-Prieur : Les terms clés de la linguistique, Paris, France, Editions de Seuil, 1999, P :41,56.

(2): ينظر: نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص: 55، 49، 109، 111.

(3) : Georges Mounin : Celfs pour la linguistique, Aubin Imprimeur, Paris, France, 1991, P :132.

أن تعزل جميع عناصرها. و لقد أوضح تطبيقها هنا على الجملة "فلان حل مشكلا عويصا" إن هذه الأخيرة تتوزع مكوناتها على أربعة مستويات.

و ثمة طريقة أخرى استعملها البنيويون التوزيعيون في تمثيل تركيب الجملة هي شجرة تشومسكي و يكون تطبيقها على جملة: ذهب الولد إلى المدرسة كالآتي:

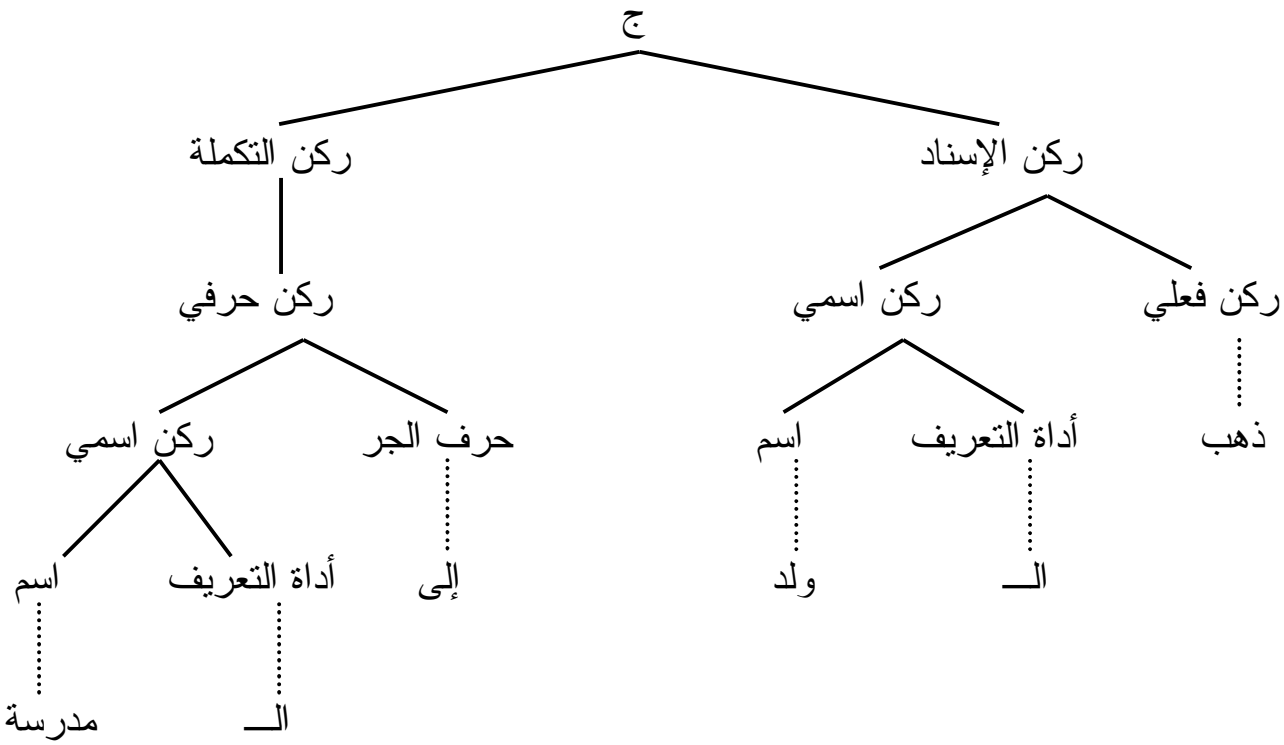

هذه الطريقة مكنّت التوزيعيين من حصر الجمل الإنجليزية كلها في تسعة أو عشرة نماذج أساسية تتفرّع عنها تراكيب كثيرة **(1)**

لكن ما يؤخذ عليها أنها لا تدرس العلاقات بين مكونات الجملة، و لا وظائفها لاهتمامها بشكل التركيب لا بمحتواه.

(1): ينظر: نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص: 111.

2- الاتجاه التوليدي التحويلي:

يهتم هذا الاتجاه الذي أسسه نوام تشومسكي « Noam Chomsky » بوضع قواعد عقلية لإنشاء الجمل. مخالفا في ذلك المدرسة التوزيعية التي سبق الحديث، و التي كان منهجها شكليا يتوخى الوصف السطحي للأشكال اللغوية كما هي منطوقة بالفعل، دون الاعتداد بما تتضمنه هذه الأشكال، و ما تحمله من سياقات اجتماعية و ذاتية؛ فرفض تشومسكي الوصف الشكلي قائلا: "التحليل اللغوي لا ينبغـــــي أن يكون وصفا لما كـــان قد قاله المتكلمون، و إنما شرح، و تعليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بجمل جديدة" **(1)**

و بذلك تجاوز معطيات علم النفس السلوكي – المدرسة التوزيعية – إلى منهج عقلي، يهتم بالقدرة الكامنة وراء الفعل اللساني، و تفسيرها.

إذن فاللغة تصنيف لعدد لا متناه من الجمل أو المكونات*؛ فالطفل مثلا يستطيع أن يؤلف مالا نهاية من الجمل انطلاقا من مجموعة معينة مسموعة و السبب في ذلك هو الاستعداد الفطري و القدرة اللغوية، و لذلك اهتم تشومسكي بالجانب النحوي من خلال كتابيه: الأبنية التركيبية، و مظاهر الأبنية التركيبية.

أ- الأبنية التركيبية 1957:

لقد أسس هذا الكتاب للنظرية بوضع شللها الأولي، و حدد الإطار النظري للتحول اللساني في الدراسات الأمريكية؛ حيث أصبح هدفها المتوخى هو اكتشاف البنى التركيبية، و تحليل الآليات الضمنية الكامنة وراء تلك الجمل "لأن البنى التركيبية للغات الإنسانية تنشأ عن الخصائص الفطرية للفكر الإنساني، و لا ترتبط هذه البنى بأي علاقة مهمة مع الاتصال (...) على الرغم من أن الأشخاص يستخدمونها – بالطبع – في سبيل عدة أمور منها الاتصال" **(2)**

---

(1): مازن الوعر: النظريات النحوية و الدلالية في اللسانيات التحويلية و التوليدية، مجلة اللسانيات، ع2، 1982، ص: 25.

*: ذكر تشومسكي بأن هذه الفكرة ليست جديدة، بل قال بها هومبلت Humbol قبله بنحو قرن: "اللغة استعمال غير متناه، بوسائل متناهية" ,N.Chomsky : Aspects de la théorie syntaxique. P :09 و في حقيقة الأمر أن هذه الفكرة أقدم من ذلك بكثير فقد ظهرت في التفكير اللساني العربي: حيث يقول الآمدي بشأنها: "إن الأسماء و إن كانت مركبة من الحرف المتناهية، فلا يلزم أن تكون متناهية"

الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983، ج1، ص: 18.

(2): جون سيرل: تشومسكي و الثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، عدد 8-9 يناير، مارس، 1979، ص: 124

و أول جديد يمكن أن يسجل لتشومسكـــي هو تقسيم اللغة إلى مكونات (تركيبيـــة، دلالية، و صوتية. و المنطلق في تحليل الجملة هو المكون التركيبي الذي له مكون دلالي، الذي يصل بعد عمليات تحويلية إلى البنية الصوتية السطحية.

- **مفهوم التحويل (النحو التحويلي):**

إن المنهج التوزيعي – و قد سبق الحديث عنه – لا يقدم لنا شرحا للأسباب التي تجعلنا نقبل أو نرفض جملا تقوم على التوزيع نفسه، و تتركب من وحدات متوالية متماثلة فالمثلان:

(1): وبّخ الأستاذ التلاميذ لتهاونهم.

(2): وبّخ القلم التلاميذ لتهاونهم.

فهذان المثالان، سليمان شكلا و مقبولان، لكن الثانية مرفوضة مضمونأن و إن كانت مقبولة شكلا عند التوزيعيين.

و بما أنه ليس سهلا الحكم بقبول الجملة عمدت المدرسة التحويلية إلى إدخال عنصر التحويل في التحليل، و لفهم التحويل، نأخذ المثالين:

(1): كتبت نصا.

(2): كتبت ليلا.

فهما جملتان متماثلتان عند التوزيعيين. لكن لكل جملة بنية خاصة لسبب واحد و هو أنهما لا تقبلان التحويلات نفسها مثل:

بناء الفعل للمجهول:

(1): كُتِبَ نص. (مقبول)

(2): كُتِبَ لَيْلً (مرفوض)

الاستفهام بـــــــ (ماذا) ؟

(1): ماذا كتبتَ ؟ نصًا (مقبول)

(2): ماذا كتبت ؟ ليلاً (مرفوض)

الاستفهام بـــــــ (متى) ؟

(1): متى كتبتَ ؟ نصًا (مرفوض)

(2): متى كتبت ؟ ليلاً (مرفوض)

تستخلص من كل هذا أن اللسان مكون من نماذج تركيبية نواتية – الجملة النواة – يمكن انطلاقا منها و عن طريق التحويل إنشاء عدد لا متناه من الجمل.

و نشير إلى أن مفهوم التحويل يختلف من لساني إلى آخر، فهو "عند هاريس يختلف عما هو عليه عند تشومسكي، هو عند الأول مشروط بإجراء توزيع الكلمات و استبدالها، بينما هو عند الثاني مشروط بالجانب الذهني للمقولات النحوية" **(1)**

أما التوليد امتد خلاله النحو التحويلي، مما أدى تبعته: النحو التحويلي التوليدي فلان اللغة عندهم إبداع يؤدي إلى توليد مالا نهاية من الجمل اعتمادا على مجموعة مسموعة محددة.

ب- مظاهر الأبنية التركيبية:

اعتمد تشومسكي في وضع نظريته على المسلمات التالية: **(2)**

- حول اللغة و اكتسابها:

أ- إن الطفل يتعلم اللغة الأم بسرعة فائقة (يتعلم التوليد، التحويل، ...)

ب- إن الطفل يتعلم هذه اللغة الأم من المحيط الذي يعيش فيه، دون النظر إلى جنسيته أو أصله أو انتمائه.

ج- إن الطفل يستوعب لغة ما، فيملك معرفة ضمنيـــة لها، تسمى: الملكة و القدرة، تستخـــــدم بالفطرة.

د- إن الطفل يعبّر باللغة في وضعيات معينة بكيفيات مختلفة، و يسمى الأداء أي تحقيق الملكة و إنجازها.

- الخواص العالمية و الجمل النموذجية:

حيث استنتج تشومسكي أن للغات خواص عالميـــة، و هي أنها لا تحتوي جميعا على جمل

---

(1): صالح الكشو: الوضع الإبستمولوجي للسانيات، مجلة المعرفة، عدد 286.

(2): ينظر: - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص: 35-36-37-38.

- التواتي بن تواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث و مناهجها في البحث، دار الوعي للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2008، ص: 57-58-59.

- الحبيب اللويزي: خصائص لغة الإنسان حسب تشومسكي، مقال ضمن كتاب: اللسانيات من خلال النصوص لعبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، ط1، د.ت، ص: 109-110-111.

نموذجية تتفرع عنها جمل أخرى يشترط فيها الاستحسان و السلامة النحوية، فهي تتماشى تركيبيا مع قواعد اللسان المدروس، و تتماشى من الناحية الدلالية مع مدلولات هذا اللســـــان، و هنا تكمن خاصية الإبداع اللغوي الذي يهتم به النحو التوليدي.

- البنية العميقة و البنية السطحية:

انطلاقا من السابق وضعت هذه الثنائية؛ حيث يهتم تشومسكي بالوصول إلى البنية العميقة. و الأصل ليتم التواصل بنجاح مع المتكلم و فهم مقصده. فالبنية العميقة تبحث عن الأصل في الجملة و البنية السطحية هي التي نجد فيها الإضافة و الحذف و التقديم و التأخير. و لابد من تحديد الأصل – أولا – ثم البحث عن التحويلات الطارئة التي وصلت بالجملة إلى بنيتها السطحية.

- طريقة التحليل التحويلي التوليدي:

يتخذ التحليل التحويلي التوليدي الجملة أساسا له، و يتم ذلك على المستويات الثلاثة: المكون التركيبي – المكون الدلالي – المكون الصوتي الوظيفي (الفونولوجي).

و ما يهمنا في هذا المقام هو مستوى المكون التركيبي الذي يفرد لكل جملة بنية عميقة تمثل التفسير الدلالي للجملة، و بنية سطحية تمثل التفسير الفونولوجي للجملة، حيث يصبح التركيب محور الكلام.

البنية العميقة البنية السطحية

و خلاصة الحديث عن هذا الاتجاه أنه لم يسلم هو الآخر من الانتقادات؛ حيث تعامل النحو التحويلي التوليدي في نموذجه التحليلي للغة مع لغة مثالية، و أبنية مثالية، في مواقف مثالية؛ و هو النقد الذي ستوجهه الاتجاهات الوظيفية، و الاجتماعية في دراسة اللغة، كما سنرى فيما بعد.

الاتجـــاه الوظيفـــي:

يعود الاتجاه الوظيفي إلى جملة بحوث و أعمال لسانية لم تستقر في فترة معينة، و لا عند دار معين؛ حيث يمكن الحديث عن الوظيفة بداية من أعمال البراغيين، حين ميّزوا بين علم الأصوات و علم الأصوات الوظيفي. و قد وُصِفت أعمالهم بأنها تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة، لاهتمامهم بدراستها ضمن مفهوم التواصل، بعدّه وظيفة أساسي في النشاط اللغوي عند الإنسان.

كما تستند الدراسات الوظيفية أيضا إلى ما قدمته المدرسة النسقية بلندن، و هي متأثرة بأعمال براغ، حيث تعد اللغة ظاهرة بشرية متكاملة، و إن دراستها في مستوياتها الجزئية الصوتية و الصرفية النحوية و الدلالية تفقدها طابعها التواصلي الذي يميزها.

هذا دون إغفال إسهام بحوث مارتيني؛ حيث اعتمد مبادئ دي سوسير في التقطيع المزدوج للغة، و قدم وصفا وظيفيا عاما للغة.

و من ثمرات الدراسات الوظيفية في السبعينيات النحو الوظيفي، الذي يعد من أشكالها العامة، و يهتم بوظيفة اللغة الأساسية (التواصل). و موضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم و السامع، مما جعل بعضهم يعدّه نظرية في التركيب و الدلالة من وجهة نظر تداولية، و تقدم في هذا المجال بحوث سيمون ديك **(1)**

أ- مدرســـة بـــراغ:

من أبرز ممثلي هذه المدرسة جان فيرباس (Jan Firbas). فقد وضع نظرية سماها "ديناميكية التواصل". حاول فيها أن يعيد النظر في مفهوم الإسناد.

و طبقا لهذه النظرية فإن المتكلم إذا نطق بجملة فإن تلك الجملة تحتوي على نوعين من المعلومات: معلومات يعرفها السامع و أخرى لا يعرفها.

فإذا سألت شخصا "أين أبوك" و أجابك "أبي في الدار". فإن ما تعرفه أنت و أصبحت بعد جواب ذلك الشخص متقبلا هو "الأب"، و ما كنت تجهله هو "في الدار"

---

(1): تذكر في هذا المجال أعمال سيمون ديك في النحو الوظيفي، نحو: Grammar Functional و اعتمد أحمد المتوكل عددا منها في تأسيس النحو الوظيفي العربي الحديث خاصة في أعماله: الوظيفة بين الكلية و النمطية، الوظائف التداولية في اللغة العربية.

فما تعرفه هو – حسب فيرباس – المسند، أما ما كنت تجهله ثم أعلمك المتكلم به فهو السند إليه لأنه محور الحديث، و لأن الإعلام به هو الغاية التي أنشئت من أجلها الجملة.

و هكذا فإن تحليل الجملة: "أبي في الدار" في هذا السياق يكون:

أبي	في الدار
مسند	مسند إليه

و في ذلك قلب لمفهوم الإسناد السائد لدى سائر اللغويين القدماء و المحدثين **(1)** و هو يعتمد في هذا كله على الغاية التي أنشئت من أجلها الجملة.

ب- مدرسة لندن:

و نتحدث في هذه المدرسة عن النحو النسقي الذي أسسه مايكل هاليداي (Michael Haliday) **(2)** و هو يقوم على فكرة رئيسية هي أن للغة وظائف متعددة، و كل وظيفة منها يتوصل إلى تحقيقها باستعمال تراكيب معيّنة.

و تلك التراكيب تقل أو تكثر حسب اللغة المستعملة، و هو ما يجعل لكل لغة إمكانات خاصة بها في التعبير.

ففي اللغة العربية مثلا نعبّر عن وظيفة العرض بأدوات معيّنة منها:

- لو + مصارع: ألا تزورنا هذا المساء.
- ألا + مضارع: ألا تزورنا هذا المساء.
- أما + مضارع: أما تشرفنا بحضورك غدا.
- الأمر: شرفنا بزيارتك بعد غد.

و المطلوب – حسب هاليداي – زيادة على ما تقدم – مقولات خاصة استعملها في تحليل الجملة أهمها:

---

(1): ينظر: محمد الصالح بن عمر: النص الفكاهي في درس النحو، ص: 26.

(2): عرض هاليداي مبادئ هذا الاتجاه و أسسه في كتابيه:

- في سبر وظائف اللغة Exploration in the functions of language 1973.
- مدخل إلى النحو الوظيفي An introduction of functional grammar 1985.

- المنفِّذُ: في قولك: سافر علي (لأنه من يقوم بالفعل).
- المتأثر: في قولك: مات الرجل (لأنه فاعل وقع عليه الفعل).
- الهدف: في قولك: نفّذ الجندي العملية (لأنها وقع عليها الفعل).
- المستفيد: في قولك: سلمت الولد جائزة (لأنه جنى ثمرة الفعل).

سمى العناصر التي تقوم بالفعل أو يقع عليها الفعل أو تستفيد منه عناصر مشتركة مميزا بين الحركة (نحو: أكل، جرى) و الحدث (نحو: سقط، اندلع).

هذه المقولات هي عبارة عن وظائف دلالية لا تتضارب مع الوظائف التركيبية (نحو: فاعل، مفعول به ...) بل تتكامل و إياها. **(1)**

ج- وظيفة مارتيني:

بيّن مارتيني في كتابه مبادئ اللسانيات العامة أنه استطاع أن يطور التحليل التركيبي للجملة بوضعه الخطوط الأولية لهذا التحليل الذي ينبني على وظيفة العناصر اللغوية في التركيب، و الطرق التي ترتب وفقها العناصر في الجملة.

يرى أن العلاقات الرابطة بين اللفاظم، بوصفها وحدات التقطيع الأول* في الملفوظ في أي نظام لساني، تتجلى في حالات مضبوطة بضوابط سياقية تكاد تكون عامة في جميع اللغات المعروفة، و هذه الحالات هي: **(2)**

أ- اللفاظم المكتفية بذاتها:

و هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها المستقلة دليل وظيفتها مثل (اليوم، غدا، أحيانا، ...) و العلاقة التي تربطه ببقية الملفوظ هي دلالته؛ لا موقعه مثل: اليومَ آتيك، آتيك اليوم.

---

(1): ينظر: محمد الصالح بن عمر: النص الفكاهي في درس النحو، ص: 27-28.

*: التقطيع الأول هو مستوى اللفظم و هي الوحدات الدالة التي تقبل التحليل إلى وحدات أصغر عديمة الدلالة أما المستوى الثاني في التقطيع الوظيفي فهو مستوى الفونيمات، و هي الوحدات الصوتية الدنيا التي ليست لها دلالة في ذاتها، و قادرة على تغيير المعنى.

(2) :Voir : André Martinet : Elément de linguistique générale, Armand Colin, Paris, 1970, P : 143.

ب- اللفاظم الوظيفية:

هي لفاظم تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى لا يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق اللساني الذي ترد فيه، فيكون دور اللفاظم الوظيفية هنا ضبط العلاقة التركيبية لهذه العناصر المستقلة كوظيفة حروف الجر في العربية.

ج- الركن المكتفي بذاته:

يتألف من لفظمين فأكثر، و لا تتوقف وظيفته على موقعه في الملفوظ، بل دلالة هذا الكل من اللفاظم هي التي تحدد علاقته بالسياق الوارد فيه.

د- الركن الإسنادي:

هو النواة التي ينبني حولها الملفوظ، و تعقد العناصر اللسانية روابطها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مثل: اليوم ننهي تقديم المحاضرات.

تحتوي هذه الجملة على لفظم مكتف بذاته هو: "اليوم"، و ركن آخر مكتف بذاته أيضا هو: "تقديم المحاضرات. و بعد عزل اللفظمين عن "ننهي" و هو عنصر قادر على إنشاء الرسالة بذاته دون إضافات، فهو مستقل بذاته أي ركن إسنادي.

- **أنواع الوحدات التركيبية الوظيفية:**

- اللفظة (اللفظم): هي الوحدة الدنيا للتقطيع الأول لها مدلول واحد.

- اللفظة الممتزجة: بمعنى أن دالها يكون منطويا على مدلولين أو أكثر لا يمكن فصلهما شكليأن مثل جمع التكسير:

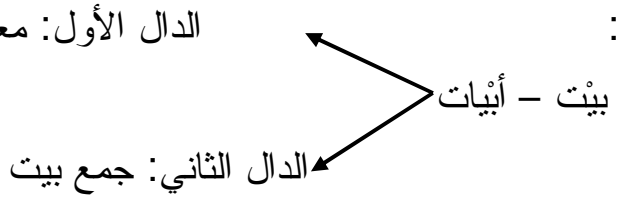

- اللفظة المفروقة: عكس اللفظة الممتزجة؛ حيث يتحدد المدلول الواحد بمقطعين موجودين في نقطتين متباعدتين في المدرج الصوتي أو أكثر. مثل: المصلون يسجدون مع الساجدين. فجمع المذكر تدل عليه العلامات: و، و، ي في الكلمات الثلاث.

- اللفظة المشتركة: دال واحد يتقاسمه مدلولان أو أكثر مثل:

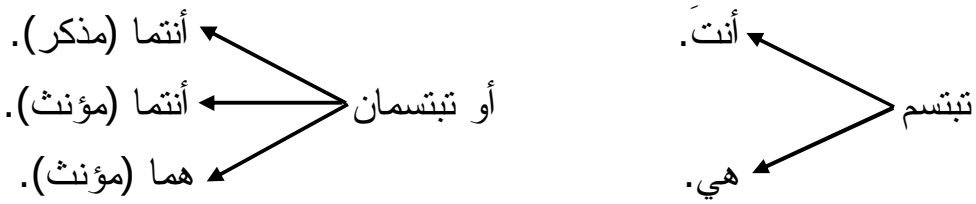

- اللفظة العدمية: غياب علامة شكلية متوقعة: معلـــــم ــ معلمـــة.

فهذه المفاهيم تبيّن كيفية تعامل أندري مارتيني مع الجمل و التراكيب و كذلك اللفاظم في محاولته لتطوير التحليل في هذا المجال.

د- النحو الوظيفي:

ظهرت منذ أواخر السبعينيات اتجاهات نحوية تبنت أيضا مبـــــدأ الربط بين بنيـــــة الجملة و معناها و وظيفتها من ناحية و السياق الذي تتحقق فيه من ناحية ثانية. غير أنها أخضعت تحاليلها للجملة لقواعد المنطق، فابتعدت بعض الشيء عن المصطلحات و المفاهيم النحوية العادية مستبدلة إياها بمصطلحات و مفاهيم مستمدة من علم المنطق، و لعل أشهر هذه الاتجاهات اتجاه سيمون ديك، و قد سماه أيضا النحو الوظيفي. **(1)**

و بنية الجملة في نظر الوظيفتين هي مجموع وظيفتي: **(2)**

- وظيفة المحور: و يمثلها الخبر المعلوم لدى السامع في مقام ما، و تبتدئ الجملة عامة بما هو مشترك بينه و بين المتكلم؛ إلاّ إذا كان المقام يتطلب اهتماما بالجديد المجهول؛ حسب طبيعة التواصل.
- وظيفة التعليق: يمثلها الجزء الحامل للمعلومة الجديدة، و كلما ارتبط بعناصر أخرى تدعم نموه، كلما اتسم بالحركة و النماء.

و مما تتناوله الدراسة الوظيفية للجملة، الاهتمام بدراسة الوحدات اللغوية داخل الخطاب، إلى جانب دراسة المحتوى غير اللغوي، الاعتداد بالسياق اللغوي و موقف المتكلم من الخطاب ذاته و من السامع.

---

(1): ينظر: محمد الصالح بن عمر: النص الفكاهي في درس النحو، ص: 28.

(2): ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص: 253.

و كخلاصة فقد اهتمت المدارس اللسانية الغربية الحديثة بالمستويين الصرفي، و النحوي التركيبي، كل من وجهة نظره الخاصة؛ حيث حاولت كل مدرسة أن تطور التحليل التركيبي بما يخدم اللغة و يسهل الوصول إلى معانيها و دلالاتها، و يفسر كذلك طرق اكتسابها.

المبحث الثالث: الصرف و النحو في كتابات أحمد مختار عمر

بعد الحديث عن المستويين الصرفي و النحوي التركيبي في الدراسات التراثية العربية، و في الاتجاهات و المدارس الغربية الحديثة. نحاول أن نتعرف في هذا المبحث عن الطريقة التي تعامل بها أحمد مختار عمر مع المباحث الصرفية و النحوية. و كذلك معرفة موقفه من الدراسات العربية و كذا الغربية الحديثة.

أولا: أحمد مختار عمر و الدراسات التراثية النحوية و الصرفية:

ذكرنا سابقا أن من بين العوامل التي كانت سببا في نشوء النحو العربي، الخوف من وصول اللحن إلى النص القرآني الكريم، و هذا ما يذكره أحمد مختار عمر، و يضيف أن كل الدراسات اللغوية عند كل الأمم أساسها العامل الديني يقول في ذلك: "و يبدو أن كثيرا من المحاولات الأولى للدرس اللغوي التي تمت في أماكن مختلفة من العالم كانت مرتبطة بالدين و بالعقيدة. نجد هذا عند الهنود الذين بدءوا بحثهم اللغوي لخدمة نصوصهم المقدسة المسماة بالفيدا. و مثل هذا نجده عند الصينيين إذا كانت دراسة النصوص الدينية البوذية و غيرها سببا في نشأة المعاجم الصينية، و كذلك كانت دراسة الشعر الحماسي و الديني في اليونان دافعا للتأليف اللغوي. و بدأت دراسة اللغة و النحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس" **(1)**

كما أنه يعرض لأسباب نشأة النحو العربي، و إلى بداياته الأولى و يرى أنه جاء في مرحلة متأخرة عن جمع اللغة، لأن اللغة هي مادته يقول: "أما البحث النحوي فلا شك أنه بدأ متأخرا عن جمع اللغة، لأنه لا يمكن القيام به دون مادة توضع تحت تصرف النحوي، و بعبارة أخرى لأن تقعيد القواعد ما هو إلاّ فحص لمادة لغوية تم جمعها بالفعل و محاولة لتصنيفها و استنباط الأسس و النظريات التي تحكمها" **(2)**

---

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 80.

(2): المرجع نفسه، ص: 81.

و يختلف أحمد مختار عمر مع بعض الباحثين في وجهة نظرهم حول طبيعة النحو فيراه فنا قبل أن يكون علما "في رأينا أن النحو العربي قد نشأ فنا قبل أن يكون علما، أي أن هذه الطرق الخاصة بالأداء في اللغة قد التزمت باطراد في تراكيبها و أساليبها و مرنت عليها ألسنة العرب، و تمكنت من طبائعهم قبل أن توضع لها القواعد النحوية. و لهذا فنحن نستبعد تماما ما يقوله ابن فارس من أن علم النحو في اللغة العربية قديم بقدمها و منزل كتنزيلها، انه كان معروفا و مدروسا من قديم، ثم تنوسيت قواعده و أتت عليها الأيام حتى جاء أبو الأسود الدؤلي فأحيى ما اندثر منه، و لا ترى رأيه أن اللغة العربية قد وجدت أول ما وجدت و فيها تلك الظواهـــر الفنية، أو أن تكون قد عرفت أول ما عرفت و هي متميزة بضوابط الإعراب المختلفة" **(1)**.

و دليله في ذلك، أن أي علم يجب أن يمر بمراحل من الاضطراب، و تكون له مسيرة معينة و هذا ما يراه بالنسبة للغة العربية فـــ "لابد أن تكون قد مرت بمراحل من الاضطـــراب و عدم الاستقرار، و أن هذه الضوابط المتبعة في الآراء قد سلكت طريقا طبيعيا في التكوين، كما تسلك اللغة نفسها هذا الطريق، فكانت في أول الأمر بسيطة غير مطردة و لكنها مع الزمن قد نمت و عمت و التزمت و استقرت في النفوس على وجه يجعلها ملكة أو ما يشبه الملكـــة، و جرى أهلها على سنن ثابت أو كالثابت في صوغ الكلمة و ضبط حروفها، و بناء الجمـــــل و الأساليب" **(2)**

لكنه – أحمد مختار عمر – يستبعد إمكانية تحديد الكيفية التي نشأ بها النحو العربي، و كذا إمكانية تحديد من بدأ بالكتابة في هذا المجال، إلاّ في حال ظهور مخطوطات جديدة تدل على ذلك يقول: "أما كيف نشأ النحو؟ و من أول من ألّف فيه؟ فهذان سؤالان ما نظن أن في أيدينا الإجابة عنهما أو الرد عليهما بحسم. و أغلب الظن أنهما سيظلان معلقين حتى نعثر على مادة جديدة تكشف عن بداية النحو العربي، و تضع حدا للإرهاصات و التنبؤات حولها" **(3)**

و بالتالي يبقى ما قيل عن أسباب نشأة النحو، و ما روي عن أبي الأسود الدؤلي و غيره قائما حول أسباب و عوامل نشأة النحو العربي. و هذا ما يفصل فيه أحمد مختار عمر بعد ذلك.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 82.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 82.

(3): المرجع السابق نفسه، ص: 82.

لكنه أثناء حديثه عن اللحن و عن بعض الأخطاء التي كانت سببا في قيام النحو العربي يورد مجموعة من الأمثلة الخاصة بكل مستوى من المستويات اللغوية. فعن الصرف و النحو مثلا يورد الأمثلة الآتية: **(1)**

- الخطأ في قواعد النحو: يروى أن مؤذنا سمع يقول: "أشهد أن محمدا رسولَ الله" بنصب رسول فقال له أعرابي و يحك يفعل ماذا؟، و ما يروى أن أبا عمرو بن العلاء مرّ بالبصرة فإذا أعدال مطروحة كتب عليها: "لأبو فلان" فقال: يا رب يلحنون و يروقون؟، و ما يروى أن رجلا دخل على زياد فقال له: إن أبينا هلك و إن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا، فقال له زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك.

- أما الخطأ في بنية الكلمة، فإن أول لحن سمع بالبادية قولهم: "هذه عصاتي"

و هو يعتمد في ذلك طبعا على الكتب و الدراسات النحوية العربية القديمة و الحديثة.

و الخلاصة التي يصل إليها أحمد مختار عمر حول نشأة النحو العربي في أن هذا الأخير نشأ بمدينة البصرة "و شمل ذلك الفترة التي تمتد من أبي الأسود إلى الخليل بن أحمد. و كانت الكوفة و قتها مشغولة برواية الأشعار و الأخبار.

و في الفترة بين أبي الأسود و الخليل نجد أسماء – مجرد أسماء – و بعض اقتباسات، و لكن لم تصلنا أي مؤلفـــات و إن ذكرت التراجم وجودها. و من أشهر نحاة هذه الفترة يحي بن يعمر، و عنبسة القيل، و ميمون الأقرن، و عيسى بن عمر الثقفي، و أبو عمرو بن العلاء، و عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي" **(2)**

و بعد حديث أحمد مختار عمر عن نشأة النحو العربي يعرض لتاريخ الدرس النحوي بداية من سيبويه حيث يرى فيه – كما يرى غيره – النقطة البارزة في تاريخ الدراسات النحوية العربية "و قد كان من سوء حظ النحو العربي أن جاء سيبويه في وقت مبكر جدا لا يتجاوز النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، إذ نتج عن تفوقه و شدة إعجاب النحاة به أن أصيب التفكير النحوي بشلل، و دار الجميع في فلك سيبويـــه، و اتخذوه أساســـا لدراستهـــم، و لذا لم

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 86-87.

(2): المرجع نفسه، ص: 89.

يطوروا هذه الدراسة بالقدر الكافي، و تحولت كثير من الدراسات النحوية إلى مجرد شروح له أو اختصارات أو تعليقات عليه، أو جمع لشواهد. و شرحها .. أو .. أو .." **(1)**

و ليس هذا رأيه وحده أيضا حيث يدال على ذلك بمجموعة من الآراء التي قيلت حول الكتاب و مؤلفه. يقول و يكفي دليلا على ما كان لعمل سيبويه من سحر و إغراء إطلاقهم عليه اسم "قرآن النحو"، و قول المازني في تمجيده: "من أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد سيبويه فليستحي"، و قول السيرافي: "و عمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، و لم يلحق به من بعده" و كان المبرد يقول من أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويـــه: "هل ركبت البحر" تعظيمـــا و استصعابا له" **(2)**

و يبحث أحمد مختار عمر في الكثير من الكتب و الدراسات عن أصل مادة كتاب سيبويه "فبرغم نسبته إلى سيبويه ففصل الخليل فيه لا يجحد، حتى قيل إن الأوفق أن ينسب الكتاب إلى الخليل وحده أو إليهما معا" **(3)**

و هو يعتمد في ذلك على ما جمعه شوقي ضيف من آراء في هذا المجال **(4)**، و هو ما يذهب إليه أيضا عبد الرحمن حاج صالح يقول: "إن كتاب سيبويه هو، كما هو معروف أقدم كتاب في النحو وصل إلينا، من حسن الحظ و الغريب أن ما يبدو أنه غريب أن هذا الكتاب على الرغم من قدمه فإنه يحتوي على جميع ما عرف بعد سيبويه من أبواب النحو و الصرف و جميع ما اشتهر بعده من مسائله فهو عمل ناضج تمام النضج، و بما أنه لم يسبقه على أصح الأقوال أي كتاب يماثله في غزارة المادة و الدقة العلمية المتناهية فكأنه خرج من العدم في ظاهر أمـــره و ليس الأمر كذلك" **(5)**

و عبد الرحمن حاج صالح كذلك لا يعطي من فراغ إنما يعتمد على ما ورد في كتاب سيبويه "فقد ذكر سيبويه نفسه أقوال و أفكار عدد كبير ممن سبقه من النحاة و خاصة الخليل بن

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 124.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 124.

(3): المرجع السابق نفسه، ص: 125.

(4): شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص: 34.

(5): عبد الرحمن حاج صالح: الجملة في كتاب سيبويه، (مقال) مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب و العلوم الإنسانية، الجزائر، ع2، ص: 07.

أحمد ذكره أكثر من 600 مرة" **(1)**

و لا يقتصر أحمد مختـــار عمر في حديثه عن الجهود النحوية و التراثية على سيبويه إنما يشير إلى المحاولات الأخرى التي كانت في هذا المجال فـــ "في نفس الفترة التي كان الخليـــل و سيبويه ينشران عملهما فيها بالبصرة، وجد عالمان بالكوفة اشتغلا بالنحو و إن لم يبلغا في الشهرة مبلغ الخليل و سيبويه. هذان العالمان هما أبو جعفر الرؤاسى، و معاذ الهراء. أما أولهما فقد صنف كتابا اسمه "الفيصل" يقال إن الخليل قد اطلع عليه، و استفاد منه. و أما الآخر فقد قلب عليه الاشتغال بالأبنية حتى قيل إنه واضع علم الصرف" **(2)**

و قد مثل الدراسات النحوية في هذه المرحلة اتجاهان أساسيان تمثلا في: نحاة البصـــــرة و نحاة الكوفة، و يرى أحمد مختار عمر أن ما وصلت إليه الدراسات النحوية من وراء هذه المحاولات بلغ الذروة التي لم تسمح بأي جديد آخر بعده حيث "سار نحاة البصرة و الكوفة جنبا إلى جنب و تنافسا في البحث و الإنتاج، و تابع من كلا البلدين نحاة أعلام ليس من السهل تفضيل أيهما على الآخر. فمن نحاة البصرة نجد الأخفش سعيد بن مسعدة، و قطرب و المازيني و المبرد و من نحاة الكوفـــة نجد الكسائي، و الفراء، و ثعلب و ابن السكيت. و هؤلاء جميعا عاشوا و ماتوا قبل نهاية القرن الثالث الهجـــــري. و أهم ما يميز هذه الفترة ارتقاء البحث النحوي و نضجه بدرجة لم تسمح بجديد بعدها. كما يميزها ظهور الكتب الكاملة التي تعالج النحو بابا بابا.

و نضرب لذلك المثل بكتاب المقتضب للمبرد" **(3)**

و يواصل أحمد مختار عمر سرد تاريخ الدراسات التراثية النحوية مبينا قيمتها و أهميتها فـــ"بعد القرن الثالث نافست أقطار و مدن أخرى البصرة و الكوفة في الدراسة النحوية و كان أشهرها بغداد و مصر و المغرب و الأندلس. و ظهر نحاة أ'لام في كل بلد من هذه البلاد تجد تفصيلا لهم في كتب التراجم المختلفة" **(4)**

---

(1): المرجع السابق نفسه، هامش ص: 07.

(2): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 126.

(3): المرجع نفسه، ص: 126.

(4): المرجع نفسه، ص: 127.

لكن لاحظ أحمد مختار عمر شيئا من الاختلاف بين هذه المرحلة و المراحل السابقة فـــ"أهم ما يميز هذه المرحلة أنها كانت مرحلة خفت فيها حدة التنافس و التعصب، و ظهر جيل من العلماء لم يتحيز لعالم دون آخر. و أول من فعل ذلك البغداديون. و قد اتجه رجال هذه الفترة إلى عرض المذهبين السابقين و انتقادهما، و اختيار ما يبدو مناسبا منهما، بالإضافة إلى زيادات قليلة من القواعد تولدت لهم من اجتهادهم قياسا و سماعا. و من أشهر رجال هذه المرحلة – حتى نهاية القرن الرابع – الزجاج و ابن السراج و الزجاجي و الأخفش الصغيـــر و ابن ولاد و أبو جعفر النحاس و السيرافي و أبو علي الفارسي و الرماني و الزبيدي" **(1)**

هذا سرد تاريخي من أحمد مختار عمر لظروف نشأ' و تطور النحو العربي. و اهتماماته بالنحو لم تتوقف عند هذه النقطة، إنما انتقل إلى الدخول في بعض جزئيات الدراسة النحوية القديمة فأول ما يبدأ به إمكانية إعطاء اسم مدرسة لهذه الاتجاهات و الجهود. و لكي يجيب أحمد مختار عمر عن هذا السؤال يناقش و يعالج ثلاث قضايا أساسية هي على التوالي:

1- ماذا نفهم من مصطلح مدرسة نحوية.

2- الأساس الذي بني عليه تقسيم الدراسة النحوية العربية إلى مدارس.

3- عدد هذه المدارس حتى نهاية القرن الرابع الهجري.

و في مناقشة أحمد مختار عمر للقضية الأولى يرى أن العامل الجغرافي غير مهم في تحديد اتجاه المدرسة أو في تكوين المدرسة أصلا فـــ"وجود جماعـــة من الدارسين في مكان واحد لا يكفي لتشكيل مدرسة، أو لأحقية ربطهم جميعا بربـــاط واحد، اللهم إلاّ إذا وجد الخيط الذي يصل بينهم، و الخطة أو النظرية التي يشتركون في تطبيقها" **(2)**

لأن مصطلح مدرسة بالنسبة لأحمد مختار عمر يعني "وجود جماعة من النحاة، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر و المنهج في دراسة النحو. و لابد أن يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطة و يحدد المنهج، و التابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه، و يتبنون منهجه، و يعملون على تطويره و الدفـــاع عنه. فاستمرار النظريـــة – أو المنهج – و دوامها عبر السنيـــن شرط أساسي لتكون المدرسة التي لا يمكن أن تستحق هذا الاسم، أو يعترف بوجودها بمجرد مولد النظرية أو خلقهـــا، حتى تعيش و يكتب لها البقاء لبعـــض الوقت بين المريديـــن (...) و على

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 127.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 128.

هذا يكون المرشح لأحقية اسم مدرسة ليس وجودهم في مكان واحد و إنما اشتراكهم في خط فكري معين" **(1)**

و بالتالي يرى أحمد مختار عمر أن أساس المدرسة هو وجود المؤسس أولا ثم وجود الأتباع، و لا يشترط فيهم الانتماء الفكري الجغرافي الواحد، إنما يشترط فيهم الانتماء الفكري الواحد و الالتفاف حول آراء و أفكار المؤسس. و هذه الفكرة تقود أحمد مختار عمر إلى القضية الثانية و هي الأساس الذي بُنِيَ عليه تقسيم الدراسة النحوية العربية إلى مدارس.

حيث يصل أحمد مختار عمر إلى مجموعة من الحقائق حول الأسس المعتمدة في تقسيم الجهود النحوية العربية إلى مدارس، و يمكن تلخيص هذه الحقائق في: **(2)**

1- أن المعيار الجغرافي كان الأساس الوحيد لهذا التقسيم، و هذا يوضح لماذا حملت كل مدرسة اسم منطقة.

2- لا نجد أي إشارة إلى مدرسة أطلق عليها هذا الاسم لالتفاف أتباعها حول رائد معين فحملت اسمه من أجل ذلك على عكس ما نجده الآن في المدارس اللغوية الغربية.

3- على الرغم من أن الأساس الجغرافي كان هو الأساس الوحيد المستعمل لتقسيم المدارس العربـــي فإنه قد عجـــز – في الوقت نفسه – عن تجميع الخصائـــص المشتركـــــة، و الاتجاهات الفكرية الموحدة، ففي بعض الحالات نجد أن بعض البصريين يتفقون في آرائهم مع الكوفيين، و في حالات أخرى قد نجد العكس، و ربما نجد اختلاف الرأي حتى في المدرسة الواحدة.

و يمضي احمد مختار عمر في مناقشة الأسس التي اعتمدها النحاة العرب في تقسيم مدارسهم ليقدم لنا بعض الأمثلة التي تبيّن عدم توحدهم – أصحاب المدرسة الواحدة – في بعض الحالات، كما تبين في حالات أخرى مساندتهم لآراء المدارس الأخرى. و يمكن تلخيص هذه الأمثلة في: **(3)**

- في حالة يصرح الأخفش و هو بصري بأن رأي الكوفيين صحيح.
- في حالة أخرى نجد للخليل رأيا يخالف فيه رأي سيبويه و الأخفش.

---

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 128.

(2): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 129.

(3): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 129-130.

- في حالة أخرى نجد سيبويـــه و الخليل يريان رأيا مناقضـــا لرأي الأخفش و المازينـــي و الزيادي و المبرد و كلهم بصريون.
- في حالة أخرى نجد كلا من سيبويه و المبرد و الكسائي و الفراء يقف منفردا برأيه الخاص.
- في حالة أخرى نجد المبرد يفضل رأيا كوفيا.
- في حالة أخرى نجد الكسائي يفضل رأيا بصريا*.
- على الرغم من أن المبرد و سيبويه ينسبان إلى مدرسة واحدة فإن أقسى هجوم وجه لسيبويه كان على يد المبرد حتى ألّف هذا الأخير كتابا لنقد سيبويه و الهجوم عليه.
- على الرغم من أن الكسائي و الفراء ينتميان إلى المدرسة الكوفية. فإن خلافهما في مسائل النحو كثير و يمكن أن نقدم أيضا بعض الأمثلة فيما يلي: **(1)**
- يذهب الكسائي إلى جواز العطف على اسم إن بالرفع قبل تمام الخبر، فيصح عنده أن تقول: "إن زيدا و عمرو قائمان". و لكن الفرّاء يفصل، فيجيزه في حالة خفاء الإعـــراب و يمنعه فيما عدا ذلك، فمثال ما خفي إعرابه "إنك و زيد قائمان". **(2)**
- يذهب الكسائي و هو رأي البصريين أيضا إلى "نعم" و "بئس" فعلان ماضيان لا يتصرفان، و يذهب الفراء و غيره من الكوفيين إلى أنهما اسمان. **(3)**

فمن خلال هذه الأمثلة و غيرها كثير يرى أحمد مختار عمر أن العامل الجغرافي لا يمكن اعتماده في تحديد مفهوم المدرسة يقول: "هذه الأمثلة – و غيرها كثير جدا لمن أراد المزيد – تكشف عن فساد المعيار الجغرافي و تظهر فشله" **(4)**

لكن مع هذا هناك بعض الخطوط و الاتجاهات المشتركة في المدرسة الواحدة " و على هذا فربما قبلنا – مع شيء من التحفظ – هذه القسمة. و النقد الخطير الذي يمكن أن يوجه إلى هذا المعيار هو احتمال الانحراف في تطبيقه. ربما قبلنا تبرير هذا المعيار على أساس أن الفكرة، أو

---

*: يمكن تفصيل المسائل السابقة من خلال الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد): الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين و البصريين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د.ط، 1987، ج1، ص: 27، 47.

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 130-131.

(2): ينظر: ابن الأنباري: الأنصاف في مسائل الخلاف، ج1، ص: 119.

(3): ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 66.

(4): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 132.

الاتجاه المعين، إنما يظهر أول الأمر في مكان ما، و من أجل هذا فمن المعقول أن ينسب هذا الاتجاه أو هذه النظرية إلى مكان الميلاد" **(1)**

لكن الشيء غير المقبول علميا – حسب ما يراه أحمد مختار عمر – هو القول بأن أي مدرسة يجب أن تشتمل على كل مواطني هذا المكان بغض النظر عن اختلافاتهم و استبعاد غيرهم لأنه لا ينتمي إلى هذه المنطقة "و على هذا فنحن نعتقد أن الباب لابد أن يترك مفتوحا على مصراعيه ليضم المثقفين، و يعزل المخالفين. إن باب المدرسة البصرية أو الكوفية يجب أن يظل مفتوحا ليسمح بدخول أي مؤيد أو متفق في الرأي مهما كانت جنسيته، و بخروج المخالف، حتى و لو كان منتسبا إلى المنطقة بالميلاد أو الإقامة. و طبقا لهذا، فإننا نجد المدارس اللغوية الحديثة التي تحمل أسماء أماكن قد اشتملت على أسماء علماء من بلاد مختلفة. و نحن نشير بوجه خاص إلى "مدرسة جنيف" التي أسسهـــا اللغوي السويسري دي سوسيـــــر و شملت لغويين فرنسيين و سويسريين و ألمان و إنجليز" **(2)**

فأحمد مختار يقارن بين الأسس التي اعتمدتها المدارس الغربية الحديثة، و بين الأسس التي اعتمدتها الدراسات النحوية العربية القديمة ليثبت صحـــــة رأيه حول الانتماء الجغرافـــي و الانتماء الفكري، و القول بضرورة الاهتمام بالانتماء الفكري.

أما القضية الثالثة التي يعالجها أحمد مختار عمر فهي عدد المدارس النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، و هي كما يبدو عرض لتاريخ الدراسات النحوية العربية، و عودة إلى أصولها. و هي قضية ليست متاحة للجميع و سهلة "إنها تقتضي عملية تتبع كامل للإنتاج النحوي في جميع أنحاء العالم العربي لفترة تمتد إلى أكثر من ثلاثة قرون مع الأخذ في الاعتبار ضياع نسبة كبيرة من الإنتاج النحوي لتلك الفترة و عدم وصوله لنا، بالإضافة إلا، تبعثر الآراء النحوية في كتب التفسير و القراءات و الأدب و شروح الدواوين الشعرية و غيرها.

و لهذا سنكتفي في هذا المقام بنظرة خاطفة مركزين على الخلافات بين الدارسين حول الاعتراف أو عدم الاعتراف بأي منها" **(3)**

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 133.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 133.

(3): المرجع السابق نفسه: ص: 133-134.

فأحمد مختار عمر يدرك صعوبة هذه القضية و لذلك يركز على بعض الجوانب التي تحتاج إلى تعليق.

يشير احمد مختار عمر إلى الكثير من المدارس اللسانية، و إلى الكثير من الآراء المختلفة حول وجودها و عدمه، و يمكن تلخيص بعض هذه الآراء فيما يلي: **(1)**

- بعضهم يضيف مدرسة ثالثة في بغداد. و يضم هذا الفريق بروكلمان و مهدي المخزومي.
- و بعضهم – مثل طه الراوي و محمد أسعد طلس – يضيف مدرسة رابعة في الأندلس.
- أضاف بعضهم مدرستين أخريين في مصر و المغرب.
- وعد شوقي ضيف خمس مـــدارس هي: البصريـــة و الكوفية و البغدادية و الأندلسيـــة و المصرية، و لم يذكر المغربية.
- و يقف الزبيدي منفردا في هذا النزاع حيث يقســـم اللغويين إلى بصرييـــن و كوفييـــن، و مصريين و أندلسيين، و لم يذكر البغداديين.

لكن يرى احمد مختار عمر أن هذا التقسيم يحتاج إلى إعادة نظر و إلى بعض التعليقات.

و يمكن تلخيص هذه الملاحظات و التعليقات في: **(2)**

- ما دام المعيار الجغرافي هو الأساس في التقسيم فلابد من الاعتراف بوجود مدرسة في كل بلد أنتج فكرا نحويا.
- من الغريب أن يعترف الزبيدي باللغويين المصريين و الأندلسيين، و لا يذكر البغداديين.
- و أغرب من هذا أن يعترف طه الراوي و محمد طلس بوجود مدرسة في الأندلس و لا يعترفان بوجود مدرسة في مصر، برغم أسبقية مصر في هذا الميدان و اعتماد النحو الأندلسي في نشأته و وجوده و بنائه على مصر.

و من خلال هذه التقسيمات و الاختلافات يرى أحمد مختار عمر أن التقسيم الجغرافي لا يحل المشكلة "فنحن نفضل المعيار المبني على أساس النظريات المنفصلة و الاتجاهات المستقلة. و على هذا يمكننا أن نتكلم عن نظرية سيبويه في الالتزام بما سمع عن العرب و عدم

---

(1): ينظر: احمد مختار عمر البحث اللغوي عند العرب، ص: 134-135.

(2): ينظر: المرجع نفسه، ص: 135.

استخدام القياس النظري، لأن العرب يمتنعون عن التكلم بالشـــــيء و إن كان القياس يوجبـــه، و يتكلمون بالشيء و إن كان القياس يمنعه، و عن نظرية الفـــــراء في النصب على الخـــلاف و المخالفة، و عن نظرية ابن فارس في رد الكلمـــات الكبيرة البنيـــــة إلى أصول أقل حجمـــا و هكذا" **(1)**

إذا فأحمد مختار عمر من خلال هذا القول يقترح بديلا للمدارس النحوية و السبب في هذا الاقتراح هو الاختلافات الموجودة بين الدارسين، بالإضافة إلى أن هذا التقسيم الجغرافي يعطي إحساسا بمحلية العلوم و يخلق جوا من التحيز و التعصب "إنه يظهر اتفاقا سطحيا بين أتباع المدرسة الواحدة حول مبادئ معينة أو قواعد خاصة، و لكنه يخفي من ورائه خلافات جوهريـــة" **(2)**

كما يصف أحمد مختار عمر هذا التقسيم المعتمد في الدراسات النحوية العربية بعدم مراعاة الدقة و الحذر العلمي فـــ"هذا الاتجاه ربما يكون أكثر دقة في تتبع النظرية أو الاتجـــاه، و في رسم حدود كل و معالمه عبر العصور من غير استخدام التعميمات، أو إصدار الأحكام الكلية التي تفتقر في كثير من الأحيان إلى الدقة و يعوزها الحذر العلمي" **(3)**

و تظهر آراء أحمد مختار عمر كذلك في بيانه لأهم الفروق بين مدرستي البصرة و الكوفة ثم إبداء تعليقه على هذه الفروق، فمن أهم الفروق يمكن أن نذكر: **(4)**

- تشدد البصرة في فصاحة العربي الذي تأخذ عنه اللغة و الشعر، و تساهل الكوفيين حتى إنهم كانوا يأخذون عن الأعراب الذين قطنوا حواضر العراق.
- توسع الكوفيون في قبول القراءات القرآنية مقارنة بالبصريين. و ذلك ليس نتيجة تقديسهم للقراءات و حسن تقبلهم لها، و إنما بسبب ما عرفوا به من توسع في أصول اللغة و قياس على القليل و اعتداد بالمثال الواحد.
- أن البصريين لم يكتفوا في استخلاص القاعدة بالمثال الواحد أو الأمثلة القليلة، أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالأشعار و الأقوال الشاذة، و لا يشترطون أي نوع من الكثرة في تقعيد قواعدهم.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 136.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 136.

(3): المرجع السابق نفسه، ص: 136.

(4): ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 137-138.

- أن التأويل و التقدير كثر عند البصريين بطريقة لا فئة للنظر، و ذلك تبعا لرفضهم كثيرا من الأمثلة العربية الصحيحة، و نتيجة لمحاولاتهم المتكررة إخضاع الأمثلة العربية الصحيحة لأقيستهم النظرية.
- لما كان الكوفيون أهل شعر و رواية لم يلتفتوا كثيرا إلى قوانين المنطق و الأقيسة العقلية. أما البصريون فقد عوضوا تخلفهم في مجال الشعر و الرواية بأن أطلقوا لعقلهم العنان و برعوا في استخدام المنطق.

أما تعليقات أحمد مختار عمر عن هذه الاختلافات فتجسدت في مجموعة من الآراء يمكن مناقشتها من خلال: **(1)**

- أن المذهب الكوفي في نظر أحمد مختار عمر أقرب إلى الحق و الواقع حين أجاز القياس على المثال الواحد المسموع، و لم يعتبر القلة و الكثرة. و ذلك لأن القبائل العربية تتساوى في صحة القول و السلامة اللغوية، و ليس أمام العقل مسوغ في تفضيل لهجة على لهجة. و من القواعد المقررة في فقه اللغة أنه لا يحتج بلغة قبيلة على أختها و لا يحكـــم النظير بالتخلف على نظيره. كما يمكن أن يكون للظاهرة اللغوية التي روى لها الكوفيون أكثر من شاهد، و يمكن أن يكون أيضا وراء هذا الشاهـــــد الواحد عشرات الشواهد التي لم يهتـــم العلمـــاء بتسجيلها، أو التي فقدت و لم تصلنا.
- أن البصريين لم يوضحوا مرادهم بالكثرة، أهي الكثرة العددية بين أفراد القبيلة الواحدة؟ أم القبائل جمعاء؟ أهي الكثرة النسبية القائمة على الاستقراء التام و العد و استخراج النسبة؟ فإذا كان الأول فما حدها؟ أهي ثلاثة أم خمسة أم عشرة أم ...؟ و إذا كانت الثانية. فما نسبة الكثير؟ و هل يمكن إجراء النسبة في كل ظاهرة لغوية؟
- أن البصريين قد خالفوا أصلهم في القياس على الكثير و ترك القليل، و ذلك في مسائل متعددة من مسائل النحو، فتارة يمتنعون عن القياس على الكثير، و تارة يقيسون على المثال الواحد.

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144.

- أنه كان من جراء إفراط البصريين في استخدام الأقيسة العقلية و تشددهم في قبول الشاهد النحوي، أن وجدوا أنفسهم أمام شواهد فصيحة تخالف قياسهم المنطقي أو قاعدتهم التي استنبطوها. و هنا وجدوا أنفسهم مضطرين إما إلى تأويلها و إخراجها عن ظاهرها لتنسجم مع قواعدهم، و إمّا إلى رميها بالشذوذ و الخطأ. و قد أدت تأويلات النحاة إلى إفساد النحو العربي و إدخال مسائل و مشاكل لا نحتاج إليها في تصحيح نطقنا أو تقويم لساننا.
- على الرغم مما في مذهب الكوفيين من بساطة و يسر، و بعد عن التكلف و التأويل في الغالب فأخطَر ما يعيبه أنه قد يوقع في الفوضى و الاضطراب في ظواهر اللغة. لأن شرط كل لغة أن تكون لها ظواهر منسجمة و موحدة. فلو جاز في الظاهرة الواحدة أكثر من وجه، و لو سمح باستخدام التعبير لمجرد وجود مثال واحد ربما كان من بقايا لهجات قديمة أو غيرها لما أصبح للغة قيود و قواعد.

فأحمد مختار عمر يقيم الفروقات القائمة بين المدرستين على أساس عقلي و منطقي أي ما هو مقبول منطقيا و يراعي في ذلك أيضا السهولة في الوصول إلى القاعدة. و لذلك انتقد مبدأ كثرة الأمثلة عند البصريين، لكن هذا لا يعني أخذ كل ما سُمعَ دون غربلة لأن هذا قد يؤدي إلى اضطراب في اللغة أيضأن و هذا ما جعله ينتقد الكوفيين في هذه النقطة أيضا.

و خلاصة تعليقاته فيما يخص الفروقات القائمة بين المدرستين كانت الدعوة إلى استخدام آراء المدرستين معا. حيث انتقى من كل مدرسة ما يراه ملائما للنحو العربي يقول: "و علـــى هذا فمن الخير أن تتبع طريق البصريين في وضع القواعـــد دفعا للفوضى و الاضطـــــراب، و لكن بدون لجوء إلى تأويل و تقدير، و بدون تحكيم للمنطق و القياس النظري، و مع الاقتصار على اللغة النموذجية الأدبـــــية المشتركة. أما في متن الكلمـــات، و في الجمـــوع، و المصادر، و المشتقات و أمثالها مما يتعلق بصوغ الألفاظ و بناء هياكلها و مادتها الأصلية، و تقديمها و تأخيرها و ذكرها و حذفها فتبع طريق الكوفييـــــن، و نرجع إلى القياس بمعناه العام الذي يبيح لنا محاكاة الكلام العربي الفصيح مهما كان قائله. و بذلك نوسع أصـــول اللغة و ننمي مواردها، و نفتح طرقا يزداد بها بيان اللغة سعة على سعته" **(1)**

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 144.

هذا ما قاد أحمد مختار عمر إلى قضية أخرى مهمة كانت له بعض التعليقات حولها أيضا هي قضية إصلاح النحو التي كان سببها ارتفاع شكوى المتعلمين من صعوبته و تعقده. و يرجع ذلك لأسباب يجمعها أحمد مختار عمر في النقاط التالية: **(1)**

- أن النحويين القدماء حين قعدوا قواعدهم أقحموا اللهجات العربية بصفاتها و خصائصها المختلفة، و نظروا إليها على أنها صور مختلفة من اللغة المشتركة، مما خلق مشاكل معقدة أيسرها اختـــلاف الأقوال في المسألـــة الواحدة، و محاولة التوفيـــق بين المذاهب و الشواهد المتناقضة، و الإكثار من الأمور الجائزة، و كثرة التقسيمات و التشعيبـــات، و الإسراف في وضع الشروط.
- نظرية العامل التي بالغ النحاة فيها، و فلسفوها، حتى ألفوا كتبا تجمع قواعد النحو بعنوان العوامل. فألف أبو علي الفارسي كتاب العوامل و مختصره، و ألّف عبد القاهر الجرجاني العوامل المائة، و دونوا للعوامل شروطـــا و أحكاما هي عندهم فلسفة النحـــو و سر العربية.
- الإفراط في التأويل و التقدير، و حمل الأساليب العربية على غير ظاهرها.
- استخدام العلل الثواني و الثوالث في النحو، ذلك مثل سؤالهم عن زيد من قولنا: "قام زيد"، لم رُفِعَ، و إجابتهم: لأنه فاعل و كل فاعل مرفوع، ثم سؤالهم: و لم رُفِعَ الفاعل؟ و إجابتهم للفرق بين الفاعل و المفعول، ثم سؤالهم: و لم لم تعكس القضية فينصب الفاعل و يرفع المفعول، و إجابتهم بأن السبب أن الفاعل قليل، لأنه لا يكون للفعل إلاّ فاعل واحد*.
- استخدام النحويين أنواعا من الأقيسة النظرية التي تعتمد على شاهد من كلام العرب كمنعهم تقدم الفاعل على فعله و إعرابهم الجملة: محمد قام على أنها مكونة من مبتدأ ثم جملة فعلية مكونة من الفعل و فاعله مستتر، و أخيرا يعربون الجملة الفعلية خبـــرا لهذا المبتـــــدأ. و لم يكتفوا بذلك بل فلسفوا القياس، و بحثوا عن أركانه ثم حاولوا أن يحددوا شرائط القياس النحوي.

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 146-147-148-149-150-151.

*: اعتمد أحمد مختار عمر في نقل هذه الأمثلة على كتاب: الرد على النحاة لابن مضاء.

- تناولهم لأمور لا علاقة لها بالنحو، و لا فائدة تؤدي إليها، لأنها لا تفيد نطقا، و لا تعصم لسانا و لا تمنع خطأ. و ذلك مثل اختلافهم في الناصب بعد الفاء و الواو أهو هذه الأدوات نفسها؟ أم "أن" المضمرة؟ أم أن الفعل منصوب على الخلاف.
- و من ذلك أيضا تناولهم لمسائل غير عملية بل عقدهم أبوابا كاملة غير عملية مثل: أبواب الاشتغال و التنازع، و تفريعهم للمسائل و تشقيقها.

يرى أحمد مختار عمر أن هذه الأسباب أدت إلى ضيق الطلاب قديما و حديثا بطريقة النحاة هذه و بالتالي "ظهرت دعوات متعددة على طول تاريخ النحو العربي، منها ما يدعو إلى تهذيب النحو، و إصلاحه، و منها ما يدعو إلى تركه و التخلي عنه بالكلية، و منها ما كان يعبر عن سخط و ضجر. كما ظهرت محاولات عملية لتأليف النحو تأليفا تعليميا سهلا يطرح الخلافات و يتخلص من الأبواب غير العملية و المسائل التدريبية" **(1)**

يرى أحمد مختار عمر أن يكون هذا الضجر من قواعد النحو العربي حديثا. و عند عامة الطلاب فقط. إنما شمل «حتى طلاب النحو المتفرغين. فالجاحظ يقول في حيوانه: "قلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ و ما بالنا نفهم بعضها، و لا نفهم أكثرها؟ و ما بالك تقدم بعض العويص، و تؤخر بعض المفهوم؟ قال أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله و ليست هي من كتب الدين. و لو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه قلت حاجاتهم إليّ فيه. و إنما كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت" **(2)**» **(3)**

و قد ولّد هذا الوضع ردود فعل إيجابية مثّلها أحمد مختار عمر في اتجاهين أساسيين منتجين هما:

1- الكتب الميسرة التي تلبي حاجة الطلاب و المتعلمين.

2- تقديم المقترحات لإصلاح النحو أو تيسيره، و نقد النحو و مناهج النحاة.

---

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 152.

(2): الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ): الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، 1992، ج1، ص: 91-92.

(3): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 153.

أما الاتجاه الأول فقد مثَّل له أحمد مختـــار عمر بكتاب "مقدمة في النحو" لخلف الأحمـــر، و قد ضم الكتاب المواضيع التالية:

- باب الحـــروف التي ترفـــع كل اسم بعدهـــا: و هي: إنمـــا و كأنمـــا و هل و بل و هو و أين ...
- باب الحـــروف التي تنصـــب كل شيء أتى بعدهـــا: و هي: رأيت و ظننـــت و حسبت و وجدت ...
- باب الحروف التي تخفض ما بعدها من اسم و أخبارها مرفوعة، و يقال لها حروف الضمات و هي: من و إلى و عن و على و تحت و دون و وراء، ...

كما مثَّل له أيضا بكتاب التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس. و يتناول هذا الكتاب موضوعات النحو وحدها دون الإشارة إلى موضوعات الصرف، و من أبوابه: باب أقسام العربية، باب الإعراب، باب رفع الاثنين، باب أقسام الفعل، باب الفاعل و المفعول به، باب الابتداء، ...

و الكتاب صغير الحجم جدا إذ يقع في ثماني ورقات من مخطوطة المكتبة المتوكلية بصنعاء، و لكنه يحوي جميع مبادئ النحو و قواعده الرئيسية. و قد ساعده على الاختصار طرحه الخلافات النحوية، و اعتماده على اللغة الأدبية المشتركة و ترك الخلافات اللهجيـــــة، و حذفه الشواهد و أسماء النحاة، و استبعاد المناقشات المنطقية و الفلسفية، كما انه عدَّ في باب حروف الخفض كثيرا من الكلمات التي يعتبرها النحو التقليدي ظروفا، مثل: أسفل و خلـــــف، و قدام و وراء و فوق و تحت و وسط و بين، و السبب في ذلك أنه نظر إلى وظيفة الكلمة في الجملة فوجدها لا تختلف "على" عنها في "فوق" مثلا.

فواضح من طريقته في تناول المسائل أنه وضع ككتاب مدرسي يلبي حاجة الطـــلاب و دارسي النحو المتعجلين. **(1)**

أما الاتجاه الثاني و هو تقديم المقترحات لإصلاح النحو و تيسيره و نقد مناهج النحاة فقد مثل له أحمد مختار عمر ببعض المحاولات القديمة و المتمثلة في: **(2)**

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 154-155.

(2): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 156.

- أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد المصري.
- أبو العلاء المعري.
- ابن حزم الأندلسي.
- ابن مضاء الأندلسي.

و إذا عدنا إلى المحاولة الأولى من هذه المحاولات – محاولة ابن ولاد – نجد أن صاحبها نادى بما يلي: **(1)**

- لا يصح الطعن في سلامة لغة العربي أو رميه باللحن أو الخطأ أو تقديم القياس النظري على المادة اللغوية المسموعة.
- يجب الوقوف عند المادة اللغوية المسموعة، و لا يجوز تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى القياس النظري، فهناك من الأساليب و الكلمات ما يصح في القياس و لكنه لم يسمع. فيجب أن نقف عندما قالته العرب و لا نغيره.
- كما هاجم ابن ولاّد التأويل و التقدير في النحو، و ادعاء الحذف و الإضمار.

نلاحظ من خلال ذكر أحمد مختار عمر لهذه التعليقات حول الخلافات القائمة بين المدارس النحوية، و من خلال ذكره أيضا لمحاولات إصلاح النحو. أنه يساند هذه الآراء، و يرى أن النحو العربي يحتاج إلى إعادة نظر في منهجيته.

لكنه في خاتمة تقييمه للدراسات النحوية العربية القديمة يشيد بقيمتها بالرغم من النقد الموج إليها، و بالرغم من الشوائب التي ذكرها يقول: "على الرغم مما شاب النحو العربي من شوائب، و ما وجه إليه من نقد، فلا احد يستطيع أن ينكر قيمة النحو العربي، و مقدرة النحاة الفائقة التي تصل أحيانا إلى حد الإعجاز" **(2)**

و يدلل على ذلك بمجموعة من الأقوال التي تبيّن قيمة الدراسات النحوية العربية.

هذا ختـــام ما قاله أحمد مختار عمر عن الدراسات النحوية العربيـــة القديمة، و ما يثبت إعجابـــه و إشادته بهذا التـــراث اهتمامه بالتطبيق السليـــم لهذه القواعد التي خلّفها النحويـــون

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 156-157.

(2): المرجع نفسه، ص: 159.

القدماء و محاولته التصدي للذين يرون في التراث النحوي قيودا تكبل مستعملي اللغة من خلال مجموعة من المؤلفات التعليمية التصحيحية **(1)** و التي حاول من خلالها تبسيط قواعد النحو العربي و تقريبها من مستعمليها.

كما أشار في بعض بحوثه إلى دعاة العامية و رأى أنه من الضروري التصدي لهم يقول: "لا أدري إلى متى سيستمر أبناء العروبة و مثقفوها يهاجمون اللغة الفصحى، و ينتقصون من قدرها، و يحملونها مسؤولية قصورهم عن التعبير، و عجزهم عن الاستيعاب؟ و لا أدري إلى متى سيظلون واقعين تحت تأثير التيار الاستعماري الثقافي فيرددون – بوعي أو بدون وعي – ما سبقهم الاستعمار إلى ترديده منذ عشرات السنين، إن لم يكن منذ مئات السنين؟ و لا أدري متى سيسفر الصبح لكل ذي عينين، و تختفي هذه النغمة الكريهة، نغمة الضرب على وتر العاميات و اللهجات المحلية" **(2)**

كما أنه يحاول تقريب القارئ العربي من قواعد لغته فيقول في مقدمة كتابه العربية الصحيحة "و هدفي من تأليف هذا الكتاب أن أبعث روح الغيرة في نفوس أبناء العربية و أن أسهم بجهدي المتواضع مع جهود الآخرين من أجل تقريب اللغة العربية إلى عامة المثقفين. فلعلـــي بهذا أزيل بعض الوهـــــم الذي علق في نفوس الكثيريـــن عن صعوبة اللغة العربيـــة و استعصائها على التعلم" **(3)**

هذا من جهة، و من جهة ثانية اعتمد آراء النحويين القدماء ليدلل على آرائه النحوية و ليثبت صحتها* "... و نحن لسنا وزارة التربية حتى نراعي فيما نختاره ما يقال في الكتب المدرسية.

---

(1): ينظر: - احمد مختار عمر و آخرون: النحو الأساسي، دار السلاسل، الكويت، ط1، 1984.

- أحمد مختار عمر: العربية الصحيحة، عالم الكتب، مصر، ط2، 1998.

- أحمد مختار عـمر و آخرون: التدريبات اللغويـــة و القواعد النحوية، منشورات جامعة الكويت، الكويت، ط2، 1999.

- أحمد مختار عمر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب و الإذاعيين، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1991.

(2): أحمد مختار عمر: العربية الصحيحة، ص: 18-

(3): المرجع نفسه، ص: 12.

*: المقصود بالآراء النحوية التي أراد أحمد مختار عمر أن يدافع عنها هو الشيجة التي توصل إليها في بحثه المقدم بعنوان "همزة إن بعد القول بين الفتح و الكسر"، حيث قدم تعليلا لفتح "إن" بعد القول و بالتالي تكون القاعدة:

1- تكسر همزة "إن" بعد القول إذا قصدت الحكاية، و هي نقل الجملة بلفظها.

2- تفتح همزة "إن" بعد القول إذا لم تقصد الحكاية.

و طلب أن يقبل مجمع اللغة العربية هذا الاقتراح في القواعد النحوية. و قد وافق المجمع فعلا على ذلك لأنه تبرير سليم من الناحية العلمية.

نحن نتكلم و نتحاور باسم العلم، و باسم الحقيقة، و باسم اللغة المدعومة بالنصـــوص العربية. و هل بعد قول سيبويه من قول" **(1)**

كما قام أحمد مختار عمر أيضا بإصدار كتابين تعليميين في النحو العربي من أجل مساعدة متعلم العربية على معرفة قواعدها. و لم يخرج في الكتابين عما جاء في الدراسات النحوية العربية القديمة – حيث ناقش في الأول و هو "النحو الأساسي" الأقسام التالية:

- القسم الأول: وحدات تأليف الجملة.
- القسم الثاني: الجملة الاسمية.
- القسم الثالث: الجملة الفعلية و مكملاتها.
- القسم الرابع: ما يتعلق بالجملتين الاسمية و الفعلية.
- القسم الخامس: الأسماء التي تعمل عمل الفعل.
- القسم السادس: موضوعات خاصة مثل: أحكام العدد، التصغير، النسب، ...

هذا بالإضافة إلى مجموعة من التدريبات التي تلي كل قسم من هذه الأقسام من أجل اختبار مدى تمكن المتعلم. لأن أحمد مختار عمر و من شاركه تأليف هذا الكتاب يرى أن "المكتبة العربية في حاجة ماسة إلى كتاب وسيط في النحو العربي يعالج الأسس الكلية، و يجمع الجزئيات المتناثرة، و يتخلص من التفريعات غير الضرورية، و يركز على النماذج العملية للجملة، و يتخذ مادتـــــه و أمثلته من اللغة المعاصرة، و يجمع إلى جانب القاعدة النظرية التطبيق و التدريب العملي" **(2)**

أما الكتاب الثاني و هو: "التدريبات اللغوية و القواعد النحوية"

1- مداخل: المعاجم العربية، الهمزة، التاء، علامات الترقيم.

2- مقدمات: الجملة و الكلمة، أنواع الكلمة، الاسم بين التنكير و التعريف، الاسم بين التذكير و التأنيث، الاسم بين الجمود و الاشتقاق، للفعل، الحرف، ...

3- المعرب من الأسماء: الأسماء الخمسة، المثنى، جمع المذكر السالم، جمع المؤنث السالم، الممنوع من الصرف.

---

(1): أحمد مختار عمر: أنا و اللغة و المجمع، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص: 253.

(2): ينظر: أحمد مختار عمر: النحو الأساسي، ص: 05.

4- المبني من الأسماء: المبني بناء أصيلا، المبني بناء عارضا.
5- المعرب من الأفعال: الفعل المضارع، دلالته الزمنية، علاماته، حالاته الإعرابية، علامات إعرابه، نواصب الفعل المضارع، جوازم الفعل المضارع، ...
6- المبني من الأفعال و أنواعه.
7- الجملة الاسمية: المبتدأ و الخبر.
8- نواسخ الجملة الاسمية.
9- الجملة الفعلية: الفعل المتعدي، الفعل اللازم، الفاعل، نائب الفاعل.
10- إسناد الأفعال إلى الضمائر: إسناد الفعل الماضي إلى الضمائر، إسناد الفعل المضارع للضمائر، إسناد فعل الأمر للضمائر.
11- مكملات الجملة الفعلية: المفعول به، المفعول المطلق، المفعول فيه، المفعول له، المفعول معه، الحال، التمييز، المستثنى.
12- مكملات الجملتين الاسمية و الفعلية: الجر بالحرف أو بالإضافة، التوابع، النعت، التوكيد، العطف، البدل.
13- الأسماء التي تعمل عمل الفعل: اسم الفعل، المصدر، اسم الفاعل، أمثلة المبالغة، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل.
14- تدريبات عامة مع حلولها.

و بعد كل مبحث من مباحث هذا الكتاب أيضا نجد بعض التدريبات. و قد ألّف أحمد مختار عمر و من شاركه تأليف هذا الكتاب لغرضين اثنين: **(1)**

أولا: مساعدة طلاب جامعة الكويت الذين يدرسون مقررا إلزاميا في قسم اللغة العربية تحت اسم "تدريبات لغوية".

ثانيا: الأخذ بيد المثقف العربي الذي يسعى لرفع مستوى أدائه اللغوي و الذي يريد تحقيق ذلك من خلال كتاب سهل التناول، قريب المأخذ، يضم أساسيات اللغة و قواعدها العملية.

و ختاما لهذا يمكن القول بأن أحمد مختار عمر يتفق مع الدراسات النحوية العربية التراثية، و يشيد بها في الكثير من المواقف.

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: التدريبات اللغوية و القواعد النحوية، ص: 05.

لكنه يعلق بين الحيــن و الآخر على منهجيتهــم في التعامل مع بعض المسائــل النحوية و دخولهم في تفصيلات و تفريعات ترهق المتعلم.

ثانيا: أحمد مختار عمر و الدراسات الصرفية و النحوية الغربية الحديثة

لم يفرد أحمد مختار عمر للدراسات الصرفية و النحوية الحديثة مؤلفا مستقلا، كما أنه لم يخصص لها فصلا أو مبحثا واضحا في كتبه الأخرى. و إنما كان اهتمامه الواضح بها فيما ترجمه في كتاب "أسس علم اللغة" لـــ "ماريوباي " الذي تناول فيه ثمانية أقسام:

القسم الأول: قضايا أساسية (علم اللغة، فقه اللغة، اللغة، الكتابة، التركيب القواعدي، ...)

القسم الثاني: علم اللغة الوصفي اصطلاحات أساسية (نحو: علم المورفيم، المورفونيم، التركيب النحوي، علم القواعد، المفردات، ...)

القسم الثالث: علم اللغة الوصفي منهج البحث (مثل: بناء نحو وصفي، ..)

المنهج الرابــع: علم اللغة التاريخـــي اصطلاحات أساسيـــة (مثل: التغيـــر الصرفـــي و النحوي، ...)

القسم الخامس: علم اللغة التاريخي منهج البحث (مثل: المادة اللغوية المدونة، ...)

القسم السادس: علم اللغة الجغرافي اصطلاحات و مصاعب رئيسة (نحو: و وظيفة علم اللغة الجغرافي، ...)

القسم السابع: علم اللغة الجغرافي منهج بحث (مثل: تعدد السكان، إحصاءات القراءة، ...)

القسم الثامن: تاريخ موجز لعلم اللغة (العصور القديمة، العصور الوسطى، ...)

و يمكن اعتماد هذا الكتاب في بعض الآراء – و إن كانت قليلة – لأنه ترجمـــة و تعليق، و بالتالي يمكن أن نعتمد على بعض التعليقات فقط لأنها تمثل آراء أحمد مختار عمر يقول في مقدمة هذه الترجمة "و قد حاولت في هذه الترجمة أن ألتزم – ما وسعني الجهد – الدقة، و ألا أتدخل في عبارة المؤلف و أمثلته بالحذف أو التغيير، و إن كنت قد أعطيت نفسي بعض الحرية في حواشي الكتاب، فتصرفت في بعضها تصرفا قليلا" **(1)**

---

(1): ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط8، 1998، ص: 26.

و يمكن لمتصفح الكتاب أن يدرك أن الجهد المبذول من طرف أحمد مختار عمر في ترجمة هذه الآراء و تقريبها من القارئ العربي لأن الكتاب في أصله أقرب إلى البساطة مـــن الكتب الأخرى حيث "يعد « ماريوباي» من أعلام اللغويين المعاصرين، كما أنه يعد من أشهر من نادوا بتبسيط علم اللغة، و البعد عن التعقيدات، و نظريات الرياضة التي تضره أكثَر مما تنفعه" **(1)**

و ليس من الضروري إعادة التفصيل في كل تلك القضايا لأنه سبق ذكرها – المبحث الثاني –

و كخلاصة لهذا الفصـــل يمكن القول بأن كلا من الدراســـــات اللغوية العربيـــة التراثية و الدراسات الغربية الحديثة اهتمت بالمباحث الصرفية و النحوية، لكن كل من وجهة نظره الخاصة، و حسب ما فرضته و أملته عليه عوامل نشأة هذه الدراسة.

أما بالنسبة لأحمد مختار فيمكن القول بأنه كان مؤصلا للتراث في هذه المباحث حيث سرد تاريخ هذه الدراسات مشيرا إلى عوامل ظهورها و مشيدا بها و بقيمتها و بأهميتها أيضا.

لكن هذا لم يمنعه من تقديم بعض التعليقات حول منهجيتها مثل اعتمادها العامل الجغرافي أساسا في تقسيم هذه المدارس النحوية، و كذلك كثرة التأويلات في بعض الأحيان، و مشيرا إلى أن ما اعتمدته المدارس الغربية الحديثة في تقسيم مدارسها أقرب إلى الصواب لأنها تعتمد الأساس الفكري. أما بالنسبة لهذه الأخيرة – الدراسات الغربية الحديثة -. فتقتصر جهود أحمد مختار عمر على الترجمة من أجل تقريب القارئ العربي من جو الدراسات الغربية، و تقريب هذه المعرفة منه.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 23.

عناصر الفصل الثالث:

المبحث الأول: الدلالة في التراث العربي.

المبحث الثاني: الدلالة في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

المبحث الثالث: الدلالة في كتابات أحمد مختار عمر.

تمهيد:

إذا كانت الدراسات اللغوي – الصوتية و النحوية و المعجمية – لم ينهض بها عادة إلاّ اللغويون؛ فإن النظر في المعنى موضوع شارك فيه علماء و مفكرون من ميادين مختلفة: الفلاسفة الأصوليون، المناطقة و علماء النفس و علماء الاجتماع، و علماء الأنثروبولوجيـــا، و علماء السياسة و الآداب و اللسانيات.

فالبحث عن المعنى كان من شغل الفلاسفة من أمثال سقراط؛ حيث كان إذا تكلم الناس عن العدالة المتعارفة يسألهم بهدوء: ما هي شروط العدالة؟ و ماذا تعنون بهذه الكلمات المجردة؟ ... و ماذا تعنون بكلمة الشرف، الفضيلة و الأخلاق الوطنية؟ **(1)**

كما كان من شغل النقاد و الأدباء إذ أن العملية النقدية تستهدف إبراز جماليات النص الأدبي من حيث هو فن لغوي يستخدم أداة معينة هي الكلمات و نظام اللغة. و البحث في المعنى، أو البحث الدلالي يتقصّى العلاقات الدلالية بين الرموز اللغوية و مدلولاتها، و ما يترتب عنها من نتائج في سلامة الأداء للغرض المقصود، و في وضوح الرسالة الموجهة من المتكلم إلى المتلقي **(2)**

فهناك علاقة وثيقة تربط بين الدلالة و الأدب و النقد. و ليس هذا فحسب، بل علماء النفس كذلك لهم علاقة بدراسة المعنى و طرق تحققه، إذ يسعى علم النفس لدراسة كيفية تحقق هذه الأنظمة و القواعد اللغوية في شروط و وضعية التواصل من طرف الفرد. و العلاقة بينهما تظهر بطرح علم الدلالة لمشكلات طبيعة وحداته و نظامها و أصلها، و آلية اكتسابها لمدلولاتها في الكلام و تكوينها في الخطاب. **(3)**

---

(1): ينظر: يول ديورانت: قصة الفلسفة، ترجمة: فتح السيد محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط5، 1985، ص: 12.

(2): ينظر: فايز الداية: علم الدلالة العربي، النظرية و التطبيق، دراسة تاريخية تأصيلة نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1973، ص: 187.

(3) : Voir :Christian Baylon et Paul Fabre : La sémantique avec des travaux pratiques d'application et leurs corrigés, Université Nathan, Information, Formation, Editions Fermand Nathan, Paris, P : 27.

و الأمثلة كثيرة عن اهتمام علماء من معظم الاختصاصات بدراسة المعنى. لكن المهم في هذا المقام هو معرفة الجهود المبذولة في هذا المجال في الدراسات التراثية العربية القديمـــــة، و في الدراسات الغربية الحديثة، و بيان موقف أحمد مختار عمر من هذه الدراسات، و كذا معرفة اتجاهه في البحث الدلالي.

المبحث الأول: الدلالة في التراث العربي

من المؤكد أن اللغة تشكل ظاهرة ضرورية و أساسية في حياة الأفراد و المجتمعـــات، بل و من غير المقبول تصوّر مجتمع ما من دون لغة تحقق له جانب التواصل، و من ثم فإن اللغة لا يمكن أن تحقق هذا الوجود إلاّ من خلال ما تحمله من دلالات مفعمة بالحيوية و التطور، حتى تتأقلم ضمن مستوياتها اللغوية. و حين نقّر بأهمية و مكانة المعنى فمردّ ذلك إلى علاقته الخفية و الظاهرة باللغة بخاصة، و التواصل بعامة.

و انطلاقا من هذا التصور الأولي، لابد من الإشارة إلى المعنى ضرورة حتمية و حقيقة مؤكدة في الدرس اللغوي، و نظرا لقيمة اللغة الحضارية، و ضرورة المعنى بالنسبة إليها، فقد اهتم علماء العربية قديما بمفرداتها و معانيها، و توسعوا في بحثها و دراستها، و بخاصة ما يتعلق بالدلالة و سبل الكشف عنها من خلال السياقات اللغوية أو السياقات غير اللغوية.

أ- الدلالة عند اللغويين:

يتناول هذا العنصر الدراسات اللغوية التي أشارت إلى الدلالة أو تناولت المعنى بشقيه اللغوي و غير اللغوي.

- **سيبويه**: [ت180هـ] يمكن التعرف على آراء سيبويه من خلال كتابه "الكتاب" الذي لا يعتبر كتابا في النحو فقط بل يشتمل على مختلف علوم اللغة العربيـــة؛ ففيه تجسيد لكلام العـــرب، و حديث عن القـــراءات، و النحو و الصـــرف، و البلاغة، و مخارج الحـــروف، و أحكام التجويد؛ فسيبويه اعتمد في كتابه منهجا يقوم على دراسة التركيـــب من خلال تعلق الكلم بعضه ببعض "و في مواضع كثيرة متفرقة من الكتاب نلمح فيها أن سيبويه قد تناول النظم و اهتم بتركيب الكلمات و تأليف الجمل، و صوغ العبارات، و بيّن ما يكون فيما حسنا، و ما يكون قبيحا، و لو أردنا أن نوجز التعبير لقلنا إنّ سيبويـــه قد اهتم بالنظم في الجمل، كما اهتّم بالإعراب في الكلمة" **(1)**

أما عن إشاراته حول المعنى و الدلالة فإنها تظهر في تقسيمه للكلام إلى مستقيم و محال؛ فتقسيماته تقوم على أساس مراعاة السياق اللغوي أولا في كيفية ارتباط الوحدات اللغوية فيما بينها، ثم على أساس مراعـــاة سياق الموقف أو ما يناسب الواقع و العالم الخارجي. يقول: "هذا

---

(1): عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص: 110-111.

باب الاستقامـــة من الكـــلام، و الإحالـــــة فمنه مستقيـــم حســـن، و محال، و مستقيم كـــذب، و مستقيم قبيح، و ما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، و سآتيك غدا.

و أما المحال: فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا و سآتيك أمس.

و أمّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل و شربت ما البحر، و نحوه ...

و أما المستقيم القبيح فان تضع اللّفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، و كي زيدا يأتيك، و أشباه هذا.

و أما المحال الكذب فأن تقول: سوف اشرب ماء البحر أمس" **(1)**

فمطالب السياق اللغوي تفرض أن تتلاءم اللّفظة مع الألفاظ الأخرى؛ أي أن يكون توافق بين مواقع الألفاظ كما هو الحال في التوافق بين (أتيتك و أمس، و سآتيك و غدا) في المستقيم الحسن، و هذا يعني أن التوافق الدلالي بين الألفاظ يعد مطلبا أساسيا في الأداء اللغوي السليم.

أما ضرورة التوافق بين التركيب اللغوي الصحيح نحويا لا يقود بالضرورة إلى معنى صحيح دائما، بل قد يؤدي إلى عدم فهم أو عدم التسليم بصحة الدلالة، و هذا طبعا لعدم توافق التركيب مع العقل و الواقع الذي يرتبط مع التجارب الاجتماعية للأفراد، و التي تؤدّي إلى رفض أو قبول دلالة التراكيب.

فسيبويه اهتّم بالنحو، و اهتم بالواقع، و هو جزء من اهتمامات البلاغيين، و لم يكن النحو عنده مقصورا على الإعراب ففي "باب أم" إذا كان الكلام بها بمنزلة "أيّها" و "أيّهم" أزيد عندك أم عمرو؟ يرى "و اعلم انك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن لأنك لا تسأله عن اللقى، و إنما تسأله عن احد الاسمين في هذا الحال، و جعلت الاسم الآخر عديلا للأوّل فصار الذي لا تسال عنه بينهما، و لو قلت: ألقيت زيدا أو عمرو؟ كان الجائز هنأن أو قلت: أعندك زيد أم عمرو؟ كان كذلك" **(2)**

فتغيّر ترتيب عناصر الجملة مرتبط بالدلالة السياقية أو المقام، و يعلّق صالح بلعيد عن ذلك بقوله: "فنرى من خلال هاتين العبارتين (لقيت زيدًا أم عمرو؟) و (زيدا لقيت أم عمرو؟) أن سيبويه حين يتحدث عن تقديم الفعل أو الاسم مما هو صحيح و جائز في النظام اللّغوي

---

(1): سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 95.

(2): المرجع نفسه، ج3، ص: 169-170.

للعربية فإنّه يشير في ذلك إلى ارتباط التراكيب بالسياق الكلامي، و الموقف الذي يقال فيه" **(1)**

فاهتمام سيبويه بالمقام كان واضحا من خلال قوله السّابق، و ليس هذا و حسب، بل نجده في مواضع أخرى أيضا يؤكد على ضرورة مراعاة المعنى؛ فنجده في "باب ما لا يجوز أن يندب" يعــرض كذلك فعن (وا رجلاهــ) و (يا رجلاهــ) يقول: "و قال الخليل انه قبيح و أنّه لا يقال" **(2)**.

فهو يرى – الخليل – أنّ القبح في التركيبين لأنهما مبهمان. كأنّ التبيين في الندبة غير مستحسن لأننا لا نتفجع على من لا نعرف.

و قد ذهب سيبويه إلى ابعد من ذلك حين قال بحذف احد عناصر الجملة إذا كان في السياق ما يدلّ عليه، كما أنه قد حكم على صحّة الكلام كتركيب و خطئه من خلال الموقف الذي يرد فيه فيقرر أن جملة: "أنا عبد الله منطلقا" خاطئة مرة و صحيحة مرة أخرى؛ فهي خاطئة إذا جاءت من الذي يعرفك و تعرفه فإنما هو يخبرك بالانطلاق، فما إن يقول: "أنا" أغناك ذلك عن اسمه لأنك تعرفه، و لأنّ المضمر لا يضمر إلاّ إذا عرف صاحبه، و هي صحيحة أو حسنة إذا جاءت ممن لا تعرفه، أو كان الناطق بها في موضع تجهله فيه، فسألته: "من أنت". فأجاب: "أنا عبد الله منطلق في حاجتك" فكان ذكر الاسم جوابا للسؤال، و لأن الناطق في موضع مجهول مضمر، فكان لزاما ذكر الاسم لكي تعرفه، و إن قال: "أنا" و لم يذكر اسمه لم يغنك ذلك عن معرفته و لأنك تجهله، و المضمر لا يضمر إلاّ جهل صاحبه، بل إنه يحتاج إلى اسم ظاهر، فالتعبير واحد، و هو سليم نحويّا، و لكنه مرة محال و مرّة حســن، و إنّما أخذ ذلك الحكم من خلال المعنى أو الموقف و السياق. **(3)**

من خلال الأمثلة السّابقة الذكر و غيرها مما هو موجود في كتاب سيبويه يمكن القول: إنّ المعنى عند سيبويه يستمد معطيات النظام الداخلي للبناء اللّغوي، كما يستمد من معطيات السياق الاجتماعي الذي يكتنف الاستعمال اللغوي.

---

(1): صالح بلعيد: التراكيب النحوية و دلالاتها في السياقات الكلامية و الأحوال التي ترتبط بها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، جامعة الجزائر، معهد الأدب و اللغة (ماجستير)، 1987، ص: 53.

(2): سيبويه: الكتاب، ج2، ص: 227.

(3): ينظر: المرجع نفسه، ج3، ض: 80-81.

- ابـــن جنـــي: [ت292هـــ] بعد سيبويه نسلط الضوء على أحد أعلام اللّغة و النحو في القرن الرابع الهجري و هو: "ابن جني"، الذي اهتم بالدلالة و المعنى، و بالشروط غير اللغوية المساهمة في تحقيقها.

لقد كان ابن جني على إدراك واضح بهذا الجانب – المعنى و عوامل تحققه – فعرض له في أكثر من موضع، منها ما قرر فيه أنّ المعاني قد لا يوصل إليها إلاّ بالظروف التي أحاطت بها و من ثم لا ينبغي أن يكتفي اللغوي بالسماع، بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور و المشاهدة **(1)** لأن معاينة أحوال العرب و وجوهها في كلامها أبلغ و أصدق من أي رواية أو حكاية جيلا بعد جيل لأنه قد يطرأ عليها التغيير و التزييف لأن المعنى محكوم بما تحمله الألفاظ من دلالات بالإضافة إلى ما يحمله المقام، و مثال ذلك قول أحد الشعراء*:

تقول – و صكت وجهها بيمينها - أبعلتي هذا الرحى المتقاعس**

فلو رويت الحكاية من غير أن يذكر – صك الوجه – لفهمنا منها أنها متعجبة منكرة، لكنّه لما حكى الحال فقال: "وصكت وجهها" فهم من ذلك قوة إنكارها و تعاظم الصّورة لها. يقول ابن جني: "هذا مع انك سامع لحكاية الحال، غير مشاهـــد لها، و لو شاهدتها لكنت بها أعـــرف، و لعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، و قد قيل: (ليس المخبر كالمعاين)، و لو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: "و صكّت وجهها"، لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها" **(2)**

فللحضور و المشاهدة دور كبير في فهم الكلام و الإحاطة بملابساته، كما أنها "تجعل أسفل الناس من الحمّالين و الحمّامين و السّاسة و الوقادين أكثر فهما لدلالات شعر الفرزدق من أبي عمرو بن العلاء إذا أخبر عنه و لم يحضره ينشده" **(3)**

و ذلك أن الدلالات النفسية تتولد من الحضور و معرفة الحال، فبمجرد رؤية وجه الشخص تفهم مقصـــوده و مراده – طبعـــا أثناء حديثه - . و هذا ما بيّنه ابن جني بقوله: "أفلا تـــرى إلى اعتبـــاره بمشاهدة الوجـــوه و جعلهـــا دليـــلا على ما في النّفـــوس. و على ذلك قالـــوا: "رب

---

(1): ينظر: عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، بيروت، لبنان، د.ط، 1998، ض: 167.

*: هو نعيم بن الحارث بن يزيد السعد، و مناسبة الأبيات أن الشاعر قد عقد له نكاح مع امرأة و لم يدخل بها، فمرّت به في نسوة و هو يطحن بالرّحى، فقالت: أبعلي هذا؟! فقال هذه الأبيات.

**: صكت بمعنى: ضربت. المتقاعس: هو خروج الظهر و دخول الصدر.

(2): ابن جني: الخصائص، ج1، ص: 217.

(3): أحمد سليمان ياقوت: أبحاث في اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1994، ص: 47-48.

إشارة أبلغ من عبارة" (...)

و قال لي أحد مشايخنا – رحمه الله – أنا لا أحسن أن أكلّم إنسانا في الظلمة." **(1)**

فملاحظة ملامح الوجه قد تعبّر عما لا يعبّر عنه الكلام، كمنا أنها قد توصل ما يعجز الكلام عن إيصاله. لتقدم للسامع أو المتلقّي معانٍ لا يمكنه الاستغناء عنها في فهمه لدلالات الخطاب.

و من بين النقاط الأخرى التي تعرض فيها ابن جني لموضوع سياق الموقف و دوره في تحقيق الدلالة، مسألة الحذف حيث يقول في نص مدركا العلاقة بينهما: "و قد حذفت الصفة و دلت الحال عليها، و ذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه و ليل، و هم يريدون: ليل طويل. و كأنّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها. و ذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك في التطويح و التطريح و التفخيم و التعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، و أنت تحس هذا في نفسك إذا تأمّلته. و ذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه فتقول: كان و الله رجلا! فتزيد في قوة اللفظ بـ "الله" هذه الكلمة، و تتمكن في تمطيط اللام و إطالة الصوت بها و عليها، أي: رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك" **(2)**

فالدلالة تفهم من اللفظ أو من سياق الحال، فإذا فهمت من سياق الحال يجوز حذف اللفظ، و أما إذا لم يحمل سياق الحال تلك الدلالة فلا يجوز أن يحذف اللفظ و "على هذا و ما يجري مجراه تحذف الصفة. فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإنّ حذفها لا يجوز؛ ألا تراك لو قلت: وردنا البصرة فاجتزنا بالأبله على رجل، أو رأينا بستانا و سكتت لم تفد بذلك شيئا، لأن هذا و نحوه مما لا يعرى منه ذلك المكان، و إنمّا المتوقع أن تصف من ذكرت، فإن لم تفعل كلّفت علم ما لم تدلل عليه، و هذا لغو من الحديث وجود في التكليف.

و من ذلك ما يروى في الحديث: لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد": أي صلاة كاملة أو فاضلة، و نحو ذلك ..." **(3)**

---

(1): ابن جني: الخصائص، ج1، ص: 218.

(2): المرجع نفسه، ج2، ص: 252.

(3): المرجع نفسه، ج2، ص: 252.

و ختاما فإنّ آراء ابن جني هذه تؤكد على شدة اهتمامه بالمعنى و الدلالة و شروط تحققها كالمقام أو السياق غير اللغوي. و قد اتخذت آراؤه طابعا متميزا في معرفة و فهم الدلالة، بل إن الدلالة لن تكون مفهومة و واضحة إذا لم تقترن بالمقام الذي وردت فيه، و لعل الحق معه في ذلك فتخيّل نفسك تسمع في الإذاعة إعلانا إشهاريا عن نوع من أنواع السيارات، و قارنه مع إعلان مشابه في التلفاز، ففي الأوّل لا يمكنك تخيّل شكل السيارة كما هي مهما سمعت من الأوصاف بعكس الثانية، و هنا يظهر الفرق بين المخبّر و المعاين.

و عدا سيبويه و ابن جنّي هناك الكثير من الإشارات المتفرقة و المتعلقة بالدلالة في الدرس اللغوي العربي القديم، و هي تنم عن اهتمامهم و إلمامهم بالمعنى و ظروف تحققه.

ب- الدلالة عند البلاغيين:

الاهتمام بالدلالة من صلب الدراسات البلاغية العربية القديمة، فالبلاغيون من قال "لكل مقام مقال"، و بالتالي يتناول هذا العنصر أهّم و أبرز الإشارات التي اهتمت بموضوع الدلالة.

- الجاحـــظ: [ت 255 هـــ]

لقد كان عمل الجاحظ و ما تركه في هذا الميدان من مؤلفات موردا للباحثين، و دليلا على تفكيره اللغوي الثاقب.

ففكرة "لكل مقام مقال" لم تكن غريبة عند الجاحظ، و قد ظهر اهتمامه بالدلالة حين ذكر الصفات الثلاث التي يجب أن تتوفر في الكلام لكي يكون بليغا أي لكي تكون دلالته أوضح أو أبلغ، و أوّلها رشاقة اللفظ و عذوبته مع اليسر و السهولة و هو خاص باللفظ، و ثانيها خاصّ بالمعنى؛ و هو اعتماد المعنى الظاهر القريب الواضح و العزوف عن الإضمار، و ثالثها خاص بأحوال المقام و هو توجيه للكلام، فيكون بكلام الخاصة إن كان المقصد الخاصّة، و يكون بكلام العامة إن كان المقصد العامة.

فمن خلال هذا القول نفهم أن الجاحظ يهمل المعاني العامة التي يعرفها الجميع و يشير إلى طريقة المتكلم في اختيار ما يشاء مما هذه المعاني العامة ليعبر عن مقصده، كما يشير إلى أنواع مختلفة من المعاني و إنما المتكلم – الشاعر على حد تعبيره – يدّعي أنها من بنات أفكاره.

و في موضع آخر نجد الجاحظ يسوّي بين الألفاظ و المعاني لأن اللفظ السخيف يستعمل في المعنى السخيف و العكس.

و ما يقصد بالطرح في الطريق بالنّسبة للمعاني أو الألفاظ هو الحال التي تكون عليها قبل تركيبها و تنظيمها في جمل مفيدة معبّرة، و طرحها في الطريق قرين وضعها في قوائم المعجمات.

و هي في ثنايا الكتب و تنتظر صوغها و تركيبها في عبارات و جمل صالحة للتخاطب لتؤدي معاني مختلفة. و ما يقابل هذه المعاني المطروحة ليست الألفاظ لأنها هي الأخرى معينة بالطرح و السقوط.

و إنما يقابلها السبك و النسج و التصوير، و يقصد بذلك التركيب أي طريقة ضم هذه الألفاظ أو ما يسميه الجاحظ بـــ النظم. **(1)**

و لعل الجاحظ عند اهتمامه الكبير بالألفاظ و مدى أهميتها في بلاغة و فصاحة الكلم، لا يعني أن يقدمها على المعاني لأنها تحلّ من الألفاظ محلّ الروح من الجسد. و عليه و كما يذهب عبد العزيز عتيق فإن "البلاغة تتحقق بالمزاوجة و المطابقة بين اللفظ و المعنى و تعطي أسلوبا قويا محكما، و أن تظم الألفاظ التي يتطلبها المعنـــى تتيح لجوهر هذا المعنى في الوضـــــوح و البروز فنظم الكلام هو الذي يجعل البلاغة مؤثرة في النفوس" **(2)**

و اهتمام الجاحظ باللفظ و المعنى هو ما قاده إلى فكرة مراعاة المقام من أجل ضبط الدلالة، ففي مسألة المطابقة بين الألفاظ و المعاني من خلال النظم يقسم المطابقة و يصنفها في أربعة أنواع:

- مطابقة بين اللفظ و المعنى.
- مطابقة بين الكلمة و الكلمة.
- مطابقة بين الكلام و المستمع.
- مطابقة بين الكلام و المستمع و بين مقتضى الحال.

---

(1): ينظر: محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيّن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1994، ص: 142-143.

(2): عبد العزيز عتيق: تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص: 83.

و قد لخّص الجاحظ هذه المقامات قائلا: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أُدار الحالات فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، و لكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ..." **(1)**

فأكثر شيء يخدم الدلالة و المعنى هنا هو المطابقة بين الكلام و المستمع و بين مقتضى الحال، و ما يفرضه من جملة الظروف و الملابسات التي يجري فيها الخطاب، أي أنّ الكلام لن يكون واضحا، و مفهوما إلاّ إذا أرجع إلى مقامه الأصلي و سياقه الحالي الذي ورد فيـــــه، و من ذلك شخصية كل من المتكلم و السامع و تكوينهما الثقافي، و مجموعة الظروف الاجتماعية الخارجة عن النشاط اللّغوي "و يتجلى هذا فعلا من خلال قول الجاحظ هذا و الذي ساقه عن صحيفة بشر بن المعتمر، لأن الكلام في هذه الصحيفة كان انطلاقا من الحال التي يكون فيها الخطاب بين المتكلم و المستمع مباشرة فالكلام كان مختصًا بفنّ الخطابة" **(2)**

و الجاحظ في حديثه عن الدلالات و أنواعها أشار تقريبا إلى كل أصناف الدلالات الممكنة يقول: "و جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة" **(3)**

و من خلال هذه الإشارات يظهر أنّ الجاحظ كان على وعي بأهمية الدلالة و المعنـــــى. و إن كانت إشاراته متفرقة بين مؤلفاته فإنها تبدو في شكل آراء واضحة المعالم.

- **أبو هـــلال العسكـــري:** [ت 395 هـــ]

مما يدل على اهتمام أبي هلال العسكري بالمعنى و الدلالة حديثه عن كيفية نظم الكـــــلام – الشعر - فبعد حديثه عن أهمية اللفظ و الاهتمام به و ضرورة محاولة الكتابة و تكرارها عدّة مرات مع حب الصنعة فـــ "ينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أقدار الحالات، فتجعل لكلّ طبقة كلاما و لكل حال مقاما، حتى تقســـم أقدار

---

(1): الجاحظ: - البيان و التبيين، ج1، ص: 138.

- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت، ج1، ص: 136.

(2): جميل عبد المجيد: البلاغة و الاتصال، دار غريب للنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 2000، ص: 21.

(3): الجاحظ: البيان و التبيين، ج1، ص: 75.

المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار الحالات" **(1)**

كما يتجلى اهتمامه بالدلالة في إطار التنظير لبلاغة الكتابة – الرسائل الديوانية – و هذا كله في باب معرفة صنعة الكلام و ترتيب الألفاظ "فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك مكاتبة كلّ فريق منهم على مقدار طبقتهم و قوتهم في النطق" **(2)** لكي يكون المعنى قريبا.

و أبو هلال العسكـــري في حديثه عن بلاغة الكتابـــــة يهتّم بموضوع الرسالة و كاتبهـــا و المكتوب إليه، أو على الأقل بأحد هذه العناصر. فقد "انتبه إلى حضور الأطراف الثلاثة في عملية الإنتاج: المرسل و المتلقي و النّص فعرض لها بتفاوت" **(3)**

من أجل تقريب المعنى و الإحاطة بالدلالة. فعن اهتمامه بموضوع الرسالة و كاتبها معا يقول: "و اعلم أنّ المعاني التي تنشأ الكتب فيها من الأمر و النهي، سبيلها أن تؤكّد غاية التّوكيد بجهة كيفية نظم الكلام، لا بجهة كثرة اللّفظ، لأن حكم ما ينف عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعات، من اختصار اللفظ و تأكيد المعنى. هذا إذا كان الأمر و النّهي واقعين في جملة واحدة، لا يقع فيها وجوه التمثيل للأعمال، فأمّا إذا وقعا في ذلك الجنس فإنّ الحكم فيها يخالف ما ذكرناه، و سبيل الكلام فيها أن يحمل على الإطالة و التكرير دون الحذف و الإيجاز، و ذلك مثل ما يكتب عن السلطان في أمر الأموال و جبايتها و استخراجها، فسبيل الكلام أن يقدم فيها ذكر ما رآه السلطان في ذلك و دبره، ثم يعقب بذكر الأمر بامتثاله، و لا يقتصر على ذلك حتى يؤكد و يكرر لتؤكد الحجة على المأمور به، و يحذر مع ذلك من الإخلال و التقصير" **(4)**

و يورد لذلك أمثلة من رسائل الرسول صلى الله عليه و سلم إلى كسرى، و إلى وائل بن حجر (الحضرمي)، و ما يقتضيه هذا النوع من الرسائل من أحوال كسهولة الألفاظ مثلا. فموضوع هذه الرسائل عادة يكون الأمر أو النّهي في الأمور الإدارية أو التنظيمية التي تحتاج إلى تفصيل و تحديد مثل أمر الأموال و جبايتها و استخراجها، فالمقتضى الإطالة و التكرير ثم يضيف أبو هلال العسكري مقتضى آخر و هو ترتيب أجزاء القول، إذ يجب أن يقدّم ما رآه

---

(1): أبو هلال العسكري (الحسن عبد الله بن سهل): الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص: 153.

(2): المرجع نفسه، ص: 172.

(3): محمد العمري: البلاغة العربية و أصولها و امتداداتها، إفريقيا الشرق للنشر، المغرب، بيروت، لبنان، د.ط، 1999، ص: 304.

(4): المرجع نفسه، ص: 173.

السلطان ثم يعقب بذكر الأمر بامتثاله و لا يقتصر على ذلك حتى يؤكّد و يكرّر لتأكد الحجة على المأمور به.

كما يهتم أبو هلال العسكري بالكاتب و المكتوب إليه من جهة، و موضوع المكاتبة من جهة ثانية، فيقول: "فأمّا ما يكتبه العمّال إلى الأمراء و من فوقهم، فإنّ السبيل ما كان واقعا منها في إنهاء الأخبار و تقرير صور ما يلونه من الأعمال و يجري على أيديهم من صنوف الأموال أن يمّد القول فيه حتى يبلغ غاية الشفاء، و الإقناع، و تمام الشرح و الاستقصاء، إذ ليس للإيجاز و الاقتصار عليه موضع، و يكون ذلك بالألفاظ السهلة القريبة المأخذ، السريعة إلى الفهم. دون ما لا يقع فيه استكراه و تعقيد" **(1)**

و لأن في حال مرؤوس يكتب إلى رئيسه رسالة، موضوعها إنهاء الأخبار و تقرير إداري يكون المقتضى استخدام الألفاظ السهلة القريبة المعنى و الدلالة.

و ختاما لآراء أبي هلال العسكري يلاحظ أنه يحاول أن يحصر أنواع المواقف لينتج النص وفقها لتكون دلالته أوضح.

يعد تراث عبد القاهر الجرجانـــــي من أكثر النصـــــوص التي التفّ حولها القراء قديما، و حديثا، فكتاباه "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" من أكثر المصادر التي ألهمت القرّاء و لا تزال، و لعلّ السرّ في ذلك يعود إلى نوعية القضيّة التي طرحها؛ فقضيّة عبد القاهر أو قضيّة كتابيّه قضيّة جوهرية تتعلق بمستويات الكلام، تلك المستويات التي تبدأ من مستوى الكلام العادي إلى مستوى الكلام المعجز المتمثل في القرآن الكريم، و بينهما مستوى الكلام الأدبي الذي وقف الجرجاني عنده مطوّلا قصد الإلمام بخصائصه و تحديد مقوماته.

- عبد القادر الجرجاني: [ت 474 هـــ]

و عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن مستويات الكلام تطرق إلى قضايا كثيـــــرة هامة و أساسية بالنسبة للدرس اللّغوي و البلاغي على حدّ سواء، و من بين القضايا التي تطرق إليها قضية الدلالة و المعنى؛ فكتابه "دلائل الإعجاز" "ينفرد بدراسة الموضوعات النحوية من وجهـــة معنوية و يؤكد على جانب من بناء الكلام و صلة معانيه بعضها ببعض، قد انفق بهذا جهدا في تبسيط قواعد النحو (...) لذا نلاحظ انه قد أحدث أفكارا في كتابه هذا نتيجة التفاعل بين الأفكار

(1): أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص: 173-174.

النحوية و البلاغية التي عمل على دفعها إلى مراحل متقدمة مؤكدا على وظيفة الكلم في إطارها الذي صيغت فيه، و هدف بجهده إلى دراسة التركيب اللغوي في الأساليب المتنوعة للتعبير عن المعنى داخل السياق المفيد ..." **(1)**

فأهمية الكتاب تكمن في ربط صاحبه الموضوعات النحوية بمعاني الكلام، و صلة معاني الكلام بعضها ببعض، و هذا من خلال تبسيط قواعد النحو و بيان أغراض الكلام حسب السياقات المختلفة، و قد تجاوز فيه عبد القاهر الجرجاني المستوى الأول (الشكلي) إلى مستوى التركيب داخل السياق، و تتدرج جهوده هذه و تتجلى من خلال نظرية النّظم، و دلالة الألفاظ حسب هذه النظرية نوعان: **(2)**

- دلالة أولى في نفسها.
- دلالة ثانية في نظمها؛ أي دلالة اللفظة باعتبار ما يجاورها من الألفاظ الأخرى بما في ذلك من مراعاة لقوانين النحو.

إذن فاهتمام عبد القاهر الجرجاني بالدلالة يأتي في سياق حديثه عن نظرية النظم و التي قوامها ثلاث دلالات: الدلالة النحوية، الدلالة التراتبية، الدلالة البنائية.

فعن الدلالة النحوية يركز عبد القاهر الجرجاني على ضرورة الاهتمام بالنص أو الرسالة لأنّه تصوّر النص على أنّه كيان له بناؤه الخـــــاص، و هذا البناء لابدّ أن يكون له روابـــــط و علاقات، أي لابدّ من وجود وحدات تكونه و هذه الوحدات هي التي يتمظهر فيها النظم سواء أكان صحيحا أم فيه اضطراب، و لهذا يقول: "و اعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها، و ذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب و فروقه" **(3)**

---

(1): صالح بلعيد: التراكيب النحوية و دلالاتها في السياقات الكلامية و الأحوال التي ترتبط بها، الإمام عبد القاهر، ص: 25.

(2): السيد أحمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص: 70.

(3): عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 70.

معنى هذا أنّ عبد القاهر يقرن بين النظم و علم النحو، و يوحّد بينهما و يفرّق بين قوانين النحو و أصوله، فعلم النحو يتكوّن من شيئين: العلم و الأصول. و النظم يعني عدم الزّيغ عن هذه القوانين و الأصول و الإلمام بطرق النّحو، و عدم التخلّي عن إشاراته التي أشار إليها؛ أي أن أصول النحو تنتمي إلى مجال قوانين اللغة أي قوانين التركيب، في حين ينتمي علم النحو أو النظم إلى مجال الخصائص الفنية و الأدبية للكلام.

و قد أثار عبد القاهر الجرجاني أثناء حديثه عن النظم مسائل أساسية مثل: فصاحة الكلمة، خلوّها من الوحشية و الغرابة، و رأى أنّ النظم درجات أي مستويات، و أن الميزة الأساسية للنظم لا تكمن في الصّحة الإعرابية فقط، بل في الجودة و الناحية الفنية، لأن غرض النحو عنده ليس الصحّة المطلقة و الإعراب و عدم تجاوز القاعدة النحوية فقط، و إنما كذلك فيما تثيره هذه التراكيب من تأثير في النفس، و هو ينفي أن يكون "مردّ الفصاحة إلى الكلمة المفردة، أو الدّلالة، و إنّما مردّها عنده إلى النظـــم أو ما نسميه الأسلوب و خصائصه و طريقة تركيبه" **(1)**

و بالتالي معنى الكلمة المفردة لا يهتّم به عبد القاهر الجرجاني بقدر ما يهمّه معناها في التركيب، أي في نظمها و سياقها الذي ترد فيه، لأنه هو الذي يحدد لها قيمتها الدلالية و أهميتها "فينبغي أن لا ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، و قبل أن تصير إلى الصّورة التي بها يكون الكلم إخبارا، و أمرا، و نهيًا، و استخبارا، و تعجّبا، و تؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضمّ كلمة إلى كلمة، و بناء لفظ على لفظ. هل يتصوّر أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدّلالة حتى تكون هذه أدلّ على معناها الذي وضعت له مع صاحبتها على ما هي موسومة به، حتى يقال: إن "رجلا" أدلّ على معنـــاه من "الفرس" على ما سمـــي به" **(2)**

و حديثه عن فصاحة الكلمـــة يقود إلى الحديث عن الدّلالة الثانية الخاصة بالتراتبيـــة، و المقصود بهذه الدلالة الثانية علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى و ارتباطها بها و ما يحدثه هذا الارتباط من تصورات لمحتوى النّص، و يتّضح هذا من خلال قوله: "و اعلم أنّك إذا رجعـــت إلى نفسك علمت علما لا يعترضـــه الشّك أن لا نظم في الكلم و لا ترتيب حتّى يعلـــق بعضها

---

(1): حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1998، ص: 29.

(2): عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 47.

ببعض و يبنى بعضها على بعض ..." **(1)**

لأن اللغة هي التي توفر للأديب إمكانات عدّة و مجالات فسيحة للتّعبير، فيكون كلّ تعبير و ما يستخدم فيه من عبارات ذات أبعاد خصوصية موافقا مقاما خاصا يهدف إليه صانع النصّ، و لهذا نجده يربط الصياغة بالسياق و ما يمكن أن يحمله لبيان المعنى، و لا يمكن أن يكون هناك تفاضل بين كلمتين دون النظر إلى السياق الذي وردتا فيه، و مدى انسجامهما فيه، فالكلمة الواحدة يمكن أن تكون حسنة الدلالة في موضع و غير حسنة في موضع و غير حسنة في موضع آخر. يقول: "و ممّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك و توحشك في موضع آخر" **(2)**

معنى هذا أنّ الكلمة لا تحافظ على قوّتها الفنية و فصاحتها إلاّ إذا كان مدلولها مناسبا لمدلول الألفاظ التي تجاورها، و في هذا يكمن جمال النّص الأدبي، فإذا كانت الألفاظ مناسبة لمقامها كانت غير متنافـــرة، و من ثم فإن الكلم في نظره لا قيمـــــة له من حيث هو حروف و وحدات لها دلالة في نفسها و إنّما أهميته تكون في بلاغته التي تتكون له من حسن نظم وحداته و جعلها فصيحة قوية.

و الجرجاني في رفضه لفصاحة الكلمة المفردة إنّما يشير إلى بيان إعجاز القرآن الكريم من خلال نظمه و تأليفه. و رفض أن يكون للألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة من حيث أصواتها أو معانيها دخل في الإعجاز، لأن ذلك يعني أن تكون الألفاظ معجزة بأصل الوضع اللغوي حيث يقول: "و بهرهم أنّهم تأمّلوه سورة سورة، و عشرا عشرا، و آية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة يبنوا بها مكانها، و لفظة ينكر شأنها أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى و أخلق، بل وجدوا اتساقا بهرَ العقول، و أ'جز الجمهور، و نظاما و التئاما، و إتقانا و إحكاما" **(3)**

و قد أثار عبد القاهر الجرجاني مسائل أساسية في الصّياغة مثل ما يحتاجه الكلام من توكيد أو تقديم و تأخير، و تعريف و تنكير، و حذف و ذكر، و غير ذلك من مسائـــــل التعبير و رأى أن النظم هو الذي يحدّد مرتبة التفاصيل بين الألفاظ في مواضعها من عملة النظم بأنّ

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 49.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 49.

(3): المرجع السابق نفسه، ص: 44.

الغرض ترتيب المعاني في النفس ثمّ النطق بالألفاظ على حذوها **(1)**

و أمر عبد القاهر الجرجاني الشعراء بمعرفة كل هذه المسائل الخاصة بالتعبير لـــ "أنه إذا كان النظم سويا و التأليف مستقيما كان وصـــــول المعنى إلى قلبك تلو وصول اللّفظ إلى سمعك" **(2)**

لأن المتكلّم إذا اهتمّ بانتقاء ألفاظه بما يتّفق و مستوى سامعه أدّى الغرض المقصود – المعنى –

و كان عبد القاهر الجرجاني كثير ما يلجأ إلى الموازنة بين الأبيات الشعرية لشعراء كثيرين ليبين سبب الجودة في بعضها و عدم وجودها في البعض الآخر، حيث يعمد إلى تفكيكها ليوضّح كيف ينبغي أن يتعامل القارئ مع النصّ، و كيف تكون قراءته له، من ذلك تفكيكه لأبيات الشاعر "إبراهيم بن العباس" في مدح محمد بن عبد الملك الزيات:

فَلَوْ إِذْنَبَا دَهْرٌ وَ أَنْكَرَ صَاحِـــــب *** و سَلَّطَ أَعْداء و غَابَ نصيرُ

تَكُونُ عَلَى الأهْوازِ دَاري بنجــوة *** وَ لَكِن مَقَادير جَرَت و أمورُ

و إنّي لَأَرجُــو بَعــْدَ هَذْا مُحمــدًا *** لَأَفْضَلُ ما يرجى أخُ و وزيرُ

يعلق عبد القاهر على هذه الأبيات بحيث يبني تصوره له على طريقة إخراج هذه الأفكار من خلال المعاني النحوية و حسن تفاعل الشاعر مع الألفاظ حسب تصوره و جودة نظمها.

فيقول: "فإنّك ترى ما ترى من الرّونق و الطلاوة، و من الحسن و الحلاوة، ثمّ تتفقد السبب في ذلك فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو " إذنبا" على عامله الذي هو "تكون" و إن لم يقل: فلو تكون على الأهواز داري بنجوة إذنبا دهر، ثمّ إن قال: "تكون" و لم يقل "كان" ثمّ أن نكر الدهر و لم يقل: "فلو إذنبا الدهر" ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به من بعد. ثم أن قال: "و أنكر صاحب" و لم يقل: "و أنكرت حيا" ... و هكذا السبيل أبدا في كلّ حسن و مزية رأيتهما قد نسبا إلى النظم" **(3)**

يظهر من هذا التفكيك أن القارئ يندمج في النصّ، و هو لا يستطيع ذلك إلاّ إذا عمد إلى تفكيك عناصره ليكشف عن الكيفيـــة التي شكله بها صاحبه، و من ثم يكون القـــــارئ مشاركا للمبدع في تشكيل الدلالة. فعبد القاهر هنا يحاول الولوج إلى نفسية الشاعر الذي كان يفاضـــل

---

(1): ينظر: أحمد خليل: المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1968، ص: 57.

(2): عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 183.

(3): المرجع نفسه، ص: 73، 74.

بين حالاته النفسية، و ينتقي منها أفضلها محاولا التأليف و الانسجام بين الألفاظ.

أما الدلالة الثالثة المتمثلة في البنائية فإنها تعني وحدة التأليف بين اللفظ و المعنى، فكلّ تفكير بالنسبة لعبد القاهر الجرجاني لابدّ و أن يصحبه عمل ما إذ يرى "أنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنًى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أوّلا في النطق" **(1)**، فترتيب الألفاظ في النطق تابع لترتيب المعاني في النفس "و العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق" **(2)**

إذن فالجرجاني يؤكد على ضرورة المطابقة بين اللّفظ و المعنى داخل التركيب من خلال عملية النظم، و للعلاقات التركيبية بين الكلمات في الجملة مجالات للدراسة هي:

- دراسة البنية الساكنة (النحوية) للجملة خارج السياق الكلامي.
- دراسة البنية المتغيرة (المعنوية) للجملة ضمن السياق الكلامي و الحال.

و من جهة أخرى فقد عرض عبد القاهر الجرجاني لدلالة النظم و درجات هذه الدلالة فيقسم النظم أو الكلام إلى ضربين "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده و ذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت "خرج زيد" و بالانطلاق عن عمرو فقلت: "عمرو منطلق"، و هذا على القياس، و ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده و لكن يدلّك اللّفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثم تجد لظلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، و مدار هذا الأمر على الكناية و الاستعارة و التمثيل ... ألا ترى أنّك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت طويل النجاد أنّه طويل القامة" **(1)**

و أول ما يلفت انتباه القارئ لهذا النص هو أنّ صاحبه حدد مادة موضوعه في أوّل كلمة من كلامه هذا و صرّح بأنها تكمن في الكلام "الكلام على صربين" و كلمة "كلام" توحي بأن موضوع الكلام ليس اللغة و إنّما الكـــلام، أي طريقة من طرق استخدام اللغة. ذلك الاستخـــدام الذي يجعلها ذات غرض حيوي مؤثر لا يمكن أن يكون منطويا على بعد واحد و إنّما يكون متعدد الأبعاد.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 53.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 177.

(3): عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص:177.

بالإضافة إلى ذلك أنّ هذا النّص منصبّ على الكلام الذي يكون له معنى أي الكلام السامي الذي يصل إلى مستوى الظاهرة. و المقصود بالظاهرة هي التي توظف المعنى من اجل توليد معنى آخر مستنبط منه أي "الدلالة الثانية" على حد تعبير عبد القاهر. و لكن هذه الدلالة الثانية التي تستنبط المعنى الأول "الحرفي" لا يضطلع بها صانع النّص وحده و إنما يشاركه في ذلك قارئه، فالعمليات إذن مشتركة بين منشئ النص و متلقيه، و الوحدات التي يتكوّن منها الكلام تشير إلى دلالات عرفية متواضع عليها و هي التي يسميها الجرجاني المعاني الأوائل أي المعنى الحقيقي. و ثبوت العلاقة الحقيقية بين الوحدات و مدلولاتها يؤدّي إلى إلغاء المسافة بين نطق الكلام و متلقّيه، فجملة "خرج زيد أو عمرو منطلق" تؤدي معناها مباشرة و يفهمها المتلقّي بمجرّد سماعها من دون تدبّر، و هذا هو المقصود بقوله: "بدلالة اللفظ وحده" و معنى هذا أنّ عبد القاهر الجرجاني يريد أن يشير إلى تعدّد دلالات الألفاظ، فالدلالة التوقيفية الاجتماعية تختلف عن دلالة المعاني الثواني لأنها في المعاني الأوائل تؤدّي وظيفة الإخبار أو الإعلام فقط، و من ثم فإنها تكون مجرد وسيلة توصيل لخبر مقصود بذاته و لهذا الضرب من الألفاظ بالحقيقة في قوله: "إن تخبر عن زيد على الحقيقة" لأن الألفاظ فيها عارية من أيّ عمق يحيّر القارئ بالوقوف عندها طويلا لأنّها متعلقة بالحقيقة التوقيفية و بالمواضعة.

أما بالنسبة للضرب الثاني من الكلام و الذي يكون المقصود منه معنى المعنى فإنّ صانع النّص قد يستخدم فيه اللّغة بمعناها المتواضع عليه دون أن يقصد المعنى المباشر، و إنما يستخدمها لكي يجعل من معانيها الحقيقية معاني أخرى يقصدها، بحيث إذا توقف القارئ عند المعاني الحقيقية لا يمكنه أن يتوصّل إلى مقصدية الكلام كونه لم يدرك المعنى الجديد المتولّد عن تلك المعاني، لأنّ دلالة الألفاظ ليست ثابتة و لا مستقرة، فلكل لفظ دلالة و لكن هذه الدلالة نفسها قد تفضي في نوع آخر من الكلام إلى دلالة ثانية تكون هي المقصودة بالنسبة للمتكلم، إلاّ ان المتلقي لا يدرك هذه المعاني الثواني بسهولة، و إنمّا يدركها عن طريق الاستدلال، و بالتالي يجب على المتلقي أن يستحضر ملكة الاستدلال، و هذا الأخير – الاستدلال – يكون مؤسسا على مرجعية مشتركة بين المتكلّم و المتلقّي.

و يؤكـــد عبد القاهر الجرجاني على توافـــق النظم مع مراعاة الحـــــال أو الموقف بقوله: " ... و أما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني و ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعـــض و ليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء و اتفق" **(1)**

فالنص بالنسبة لعبد القاهر الجرجاني تابع لترتيب المعاني في النفس.

و يمكن تلخيص العلاقة بين اللفظ و المعنى في المستوى التركيبي في المخطط التالي:

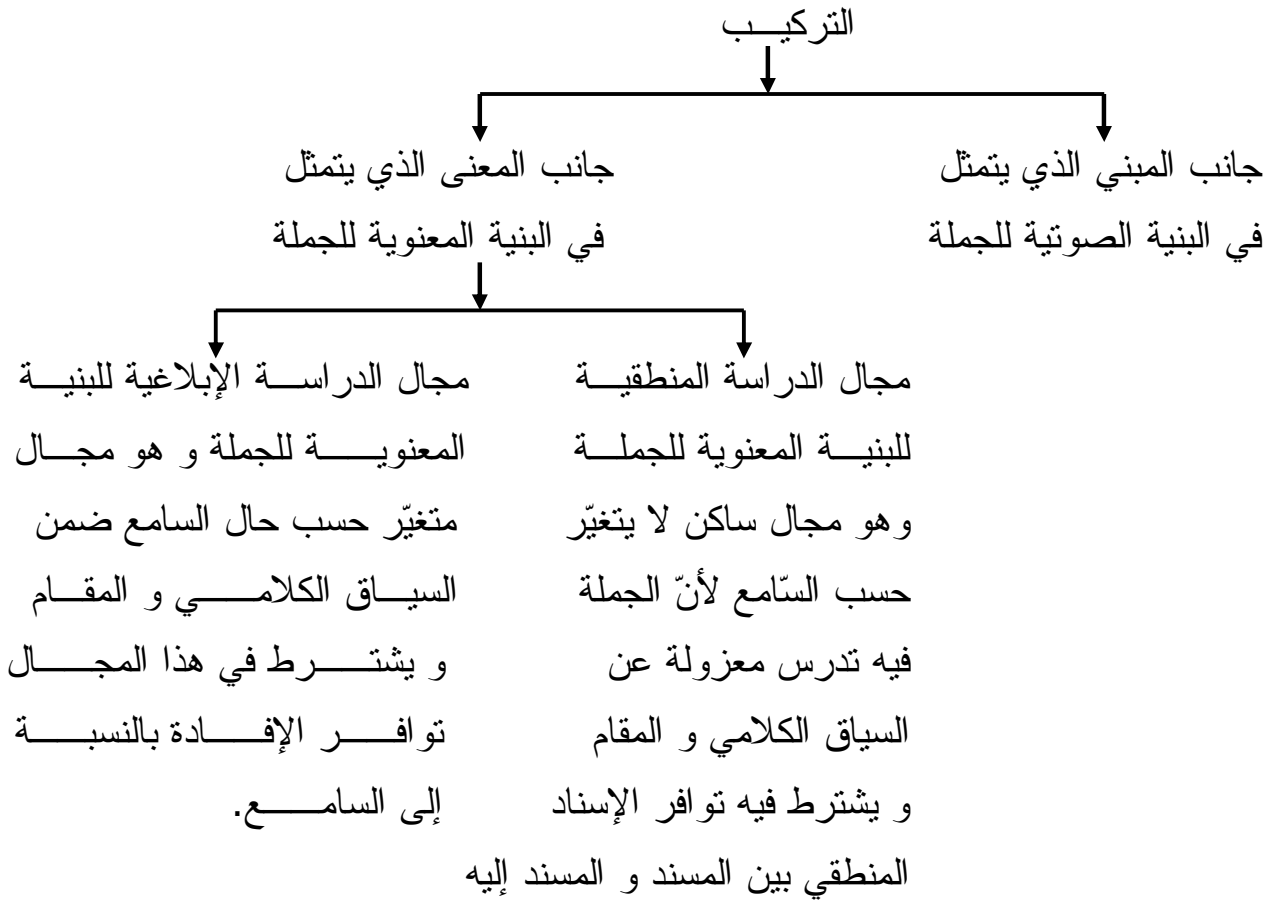

و ختاما لآراء عبد القاهر الجرجاني يمكن القول بأن جهوده ذات قيمة كبيرة و هامّة حيث "كان كتابه مرحلة جديدة في تاريخ علم اللغة العربية، و هي مرحلة الدراسة الوظيفية للغة العربية" **(2)**

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 51.

(2): جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، ط1، 1980، ص: 29.

و هي تعتبر ثالث مرحلة من مراحل الدراسات العربية* لأنها تعتبر دراسة شاملة للعلاقة بين اللّفظ و المعنى في مستوى التركيب.

ج- الدلالـــة عن الأصوليـــن:

الأصوليون هم علماء أصول الفقه أو الفقهاء الذين تحدّثوا عن الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، و قد "عرّف كثير من الأصوليين أصول الفقه بأنّه معرفة دلائل الفقه الإجمالية و كيفية الاستفادة منها و حال المستفيد" **(1)**

و بالتالي فقد اهتم هذا الفريق من العلماء بالدلالة و تحديدا بالسياق اهتماما كبيرا و اعتدوا به وسيلة للكشف عن المعنى "و قد كان أول من أشار إلى السياق من الأصوليين الشافعي، الذي يعد أول من ألف في علم الأصول" **(2)**

و قد كان ذلك ضمن كتاب الرسالة الذي تحدث فيه عن لسان العربي، و عن ذلك يقول: "إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها و كان ما تعرف من معانيها اتساع لسانها، و أن فطرته أن يُخَاطِب بالشـــــيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهـــــر، و يستغنى بأول هذا منه عن آخره، و عاما ظاهرا يراد به العام و يدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، و عاما ظاهرا يراد به الخاص، و ظاهرا يعرف في سياقه أن يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود في أول الكلام أو وسطه أو آخره" **(3)**

و إدراك الشافعي لفكرة تحديد الدلالة من خلال السياق المقامي يعني أن علم الأصول كان يعتبر أن للسياق المقامي قيمة مرجعية لفهم النص. فقد فطن الأصوليون إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعيـــة، و أنها تؤدي دورا هاما في حياة المجتمع، و أنها نشأت لتلبية حاجات الإنســـــان، و ينتهون إلى أنّه إذا كانت للألفاظ معان عرفية و كانت الدلالـــة الحقيقية تابعة لقصد المتكلـــم

---

*: لأن الدراسات اللغوية العربية مرت بثلاث مراحل بدءًا من سيبويه الذي نظر إلى الدراسات اللغوية على أنها كل لا ينفصل بعضه عن البعض الآخر، مرورا بالمرحلة الثانية التي ظهر فيها تخصص في بعض الجوانب، خاصة جانب الدراسات النحوية، و من هنا تأتي المرحلة الثالثة، و هي مرحلة الدراسة الوظيفية.

(1): أحمد فراج حسين: أصول الفقه الإسلامي، الدار الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1991، ص: 14.

(2): ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004، ص: 52.

(3): الشافعي: الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1979، ص: 52.

و إرادته فإنه لابد للكشف عن المعنى من معرفة قصد المتكلم بالقرائن المختلفة، و ذلك لأن "دلالات الألفاظ ليست لذواتها، بل هي تابعة لقصد المتكلم و إرادته" **(1)**

و تنبه الأصوليون كذلك في كثير من المواضع إلى أن دلالة الألفاظ المفردة و التراكيب تتعرض بسبب السياقات اللفظية و المقامية المختلفة إلى ألوان من التغيير الدلالي، و لذلك يجب الاستعانة بالسياقيين اللفظي و المقامي، و يتضح ذلك من خلال بحثهـــم للعام و الخاص، حيث لا يراد باللفظ العام –غالبا – دلالته على العموم، و ذلك أن "العمـــــوم إنما يعتبر بالاستعمال، و وجوه الاستعمال كثيرة، و لكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي ملاك البيان" **(2)**

و تختلف تسمية القرائن المقامية من أصولي إلى آخر، حيث "يسمي ابن القيم الحالية الموجودة في اللفظ و الدلالة على مراد المتكلم بـــ: شاهد حال، أو جاري عرف" **(3)**.

و يذهب ابن قيم الجوزية إلى أن الفقه قدر زائد على مجرد فهم اللفظ، و ليدلل على ذلك يسوق تعريف الجوهري [ت 393 هـــ] للاستنباط بأنه كالاستخراج، و ذلك ليس طريقة للاستنباط بل الاستنباط "فهم لوازم المعنى و نظائره و مراد المتكلم بكلامه و معرفة حدود كلامه بحيث لا يدخل فيه غير المراد، و لا يخرج منها شيء من المراد" **(4)**

و انطلاقا من هذه الإشارات الدلالية يمكن القول بان الأصوليين كانوا مدركين لعناصر السياق المختلفة بشقيها اللفظي و المقامي، و ضرورة الاستعانة بهما في الكشف عن المعنـــــى و تحديده على أن مراعاة القرائن هي مرحلة تالية للعلم باللسان العربي، و أساليب العرب في المخاطبة و الإبلاغ، و طرق الأداء، لان هذه المعرفة لها مداها في فهم النصوص، و بيان الأحكام منها **(5)**.

و يمكن القول بان العلم بهذه الأمور هو علم بأصل القرائن، أي السياق الذي تستعمل فيه العبارات المختلفة و دلالتها في كل مرة، فـــ"لابد من فهم الشريعة من إتّباع معهـــود الأميييـــن

---

(1): الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ص: 104.

(2): الشاطبي (أبو إسحاق): الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: الشيخ عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج3، ص: 271.

(3): أحمد ماهر البقري: ابن قيم اللغوي، منشأة المعارف، مطبعة الأطلس، د.ط، د.ت، ص: 194.

(4): ابن قيم الجوزية: (شمس الدين محمد بن أبي بكر): إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت، ج1، ص: 225.

(5): ينظر: أبو زهرة (محمد): أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 107.

– و هم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم – فان كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، و إن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه" **(1)**.

لأن الكتاب و السنة واردان بلغة العرب، الذين كانت لهم عادات في الاستعمال بما يتميز صريح الكلام و ظاهره و مجمله، و حقيقته و مجازه، و عامه و خاصه، فوجب على طالب الشريعة أن يكون بلسان العرب في مناحي خطابها و ما تنساق إليه أفهامها في كلامها **(2)**.

فالوصول إلى الدلالة يوجب البحث في هذه القضايا، لأن اللغة لا تنفصل عن السياق الاجتماعي فمن الضروري معرفة عادات العرب و أغراضهم في الأقوال و الأفعال للوقوف على الظروف التي كانت تحف بنصوص القرآن الكريم عند نزوله، و ما كان يستقر في ذلك المجتمع من تقاليد و عادات، و ما كان يسود من تعامل و علاقات في تشق الشؤون لأن معظم الآيات الكريمة كانت تنزل على أساس الوقائع و المناسبات **(3)**، فعن قوله عز و جل: "وَ أَتِمُوا الحَجَ و العُمْرَةَ" **(4)** أمر بالإتمام دون الأمر بأصل الحج، و ذلك لأن العرب قبل الإسلام كانوا يحجون، فغير الإسلام بعض الشعائر و أضاف بعضا، مثل الوقوف بعرفة، لذلك أمرهم بالإتيان جميع الشعائر و إتمامها **(5)** فعادات العرب و أغراضهم تمثل مناسبات عامة تعيق فهم دلالات النص، و يمكن الإشارة كذلك إلى ما هو أخصّ منها و تلك هي مناسبة النص الخاصة و هي مرتبطة به، و معرفتها واجبة لفهمه، و بالتالي يجب العلم بكل ما أحاط بالنصّ مما يمكن أن يوجه دلالة الخطاب، و قد أشار إليه أبو حامد الغزالي فقال: "... و قصد الخطاب يعلم بعلم ضروري يحصل من قرائن أحوال و رموز و إشارات و حركات من المتكلم و تغيرات في وجهه، و أمور معلومة من عاداته و مقاصده و قرائن مختلفة لا يمكن حصرها في جنس و لا ضبطها بوصف" **(6)**

---

(1): الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، ج2، ص: 52.

(2): ينظر: مقدمة المحقق في كتاب الموافقات للشاطبي، ص: 03.

(3): ينظر: محمد فتحي الرديني: المناهج الأصولية، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1997، ص: 341.

(4): سورة البقرة، الآية: 196.

(5): وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1996، ج1، ص: 447.

(6): أبو حامد الغزالي: المستصفى في علوم الأصول، المطبعة الأميرية، بولاق، ج2، ص: 41-42.

و يقصد أبو حامد الغزالي أن القرائن التي لا يمكن حصرها في جنس و لا ضبطها بوصف هي التي تتحكم في دلالة الخطاب و تبين المراد منه، و قد جعلها حسب الأمثلة التي أوردها تتعلق بمناسبة النصوص*.

و قد ذهب أبو حامد الغزالي إلى القول بأن هذه القرائن مستقلة في دلالتها عن اللفظ لأن "حركة المتكلم و أخلاقه و عاداته و أفعاله و تغير لونه و تقطيب وجهه و جبينه، و حركة رأسه و تقليب عينيه (...) أدلة مستقلة يقيد اقتران جملة منعا علوما ضرورية" **(1)**

فأبو حامد الغزالي هنا يجعل سياق المقام أو سياق الحال من أهم العناصر للوصول إلى الدلالة.

و انطلاقا من هذه الآراء يمكن القول بأن الأصوليين اهتموا بالمعنى و شروط تحققه فركزوا على دلالة اللفظ و على العوامل غير اللغوية التي من شأنها أيضا أن تساهم في تحقيق الدلالة.

د - الدلالة عند المفسرين:

يعرف الزركشي التفسير بأنه: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد – صلى الله عليه و سلم – و بيان معانيه، و استخراج أحكامه و حكمه، و استمداد ذلك من علم اللغة و النحو و التصريف و علم البيان و الأصول و الفقه و القراءات، و يحتاج لمعرفة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ" **(2)**

يتضح من خلال هذا التعريف أنه يهتم بالمراد من كلام الله تعالى أي القصد أو الدلالة.

و مما يبين كذلك اهتمام المفسرين بالدلالة و ما يساهم في تحقيقها؛ الشروط التي يجب أن تتوفر في المفسر و العلوم التي يجب أن يكون على دراية بها و التي يجملها أمير عبد العزيز في ثمانية هي: **(3)**

---

*: من بين الأمثلة التي أوردها: قول المتكلم: "السلام عليكم" عرف بها أنه يريد التحية أو الاستهزاء، و قول المتكلم على المائدة:

"هات الماء" فهم أنه يريد الماء العذب البارد دون الحار المالح، المرجع نفسه، ج2، ص: 42.

(1): المرجع نفسه، ج2، ص: 42.

(2): الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ج1، ص: 104-105.

(3): ينظر: أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، الجزائر، ط2، 1988، ص: 155-156.

- **أصول الفقه:** و سبيل العالم المفسر من أجل أن يستنبط الأحكام التفصيلية، و من أجل التعرف على أوجه الاستدلال على الأحكام، و ما يقتضيه هذا العلم من معرفة القضايا الأصولية الأخرى مثل: المجمل و المفسر، الناسخ و المنسوخ، المحكم و المتشابه، العـــام و الخاص، ...*
- **معرفة أسباب النزول:** للتمكن من معرفة ظروف نزول الآية.
- **علم القراءات:** و ذلك من باب الإحاطة لما يترجح من بعض أوجه القراءات على بعض لما قد يؤول إلى اختلاف في المعنى أو الحكم.

فهذه الشروط الخاصة بالمفسر تكشف عن إدراك المفسريـــن لأهمية المعنى و الدلالـــــة و أهمية الظروف المساعدة للوصول إليها و تحديدها بدقة.

و ختاما لهذه الآراء يمكن القول بأن الدراسات العربية القديمة اهتمـــت بالمعنى أو الدلالة و كذا بالشروط التي تحكم تحققها و الوصول إليها.

المبحث الثاني: الدلالة في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة

علم الدلالة علم حيث النشأة، و هو وليد القرن التاسع عشر ميلادي، حين ظهر مصطلح Sémantique في مقال ميشال بريـــال Michel Bréal عام 1883، و لكن الاهتمام بموضوع الدلالة و المعنى، اهتمام قديم قدمَ الدراسة اللسانية **(1)**، و منذ ذلك الوقت أخذ هذا العلم يجري مجرى سائر العلـــوم في التأرجح بين الرأي و الآخر، و الدراســـــة و الأخرى إلى يومنا هذا.

و سنحاول إلى أن نشير إلى بعض الإشارات حول الاهتمام بالدلالة و المعنى بشقيه اللفظي و المقامي.

---

*: المجمل: المجمل من القرآن ما لم تتضح دلالته، و لا يفهم المراد منه على التمام.

- المفسر: ما كانت دلالته واضحة في القرآن الكريم، و هو نقيض المجمل.
- المحكم: أي أن آياته محكمة من جهة موافقتها للحكمة و أن أخباره أعلى درجات الصدق، و أحكامه غاية في الحسن.
- المتشابه: أي أنه متفق في البلاغة و الحسن، و متشابه من جهة تصديق بعضه لبعض.
- العام: تطبيق حكم من الأحكام على العام – العبرة بعموم اللفظ -.
- الخاص: تخصيص الحكم بفئة معينة، و إن كان اللفظ يشمل أكبر من هذه اللغة.

(1): ينظر: منذر عياشي: اللسانيات و الدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 1996، ص: 172.

- **فندريـــس (G/Vendryes):**

تعرض فندريس عن الدلالة و أولاها أهمية كبرى عندما تحدث عن المشترك في اللغـــة، و بيّن أن السياق يمنع تعدد المعاني أو الوظائف لأنه يشكل دائما العامل الحاسم الذي يحدد المعنى المراد من اللفظ المشترك لـــ "أننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد تكون ضحايا الانخداع إلى حد ما؛ إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، و أما المعاني الأخرى فتمحى و تتبدد و لا توجد إطلاقا" **(1)**.

كما يوسع فندريس من أهمية و قيمة تحديد المعنى بدقة و يرى بأن "الذي يعين قيمة الكلمة و في كل الحالات ... إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، و السياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليه، و هو يخلق لها قيمة حضورية" **(2)**

و القيمة الحضورية للكلمة لا تتأتى إلاّ بالشكل الذي يبنى على السمة الخطية للغة، أي في سلسلة كلامية منطوقة.

و يرى فندريس أن السياق الذي يجدد معنى الكلمة هو سياق ذهني؛ أي يتعلق بنظام اللغة حيث يقول: "الكلمة ليست منعزلة، بل مسجلة في الذهن مع كل حالات السياق التي سبق أن أدخلتها فيها، و هي كل الارتباطات التي تصلح للاشتراك فيها" **(3)**.

و ختاما لآراء فندريس يمكن القول بأن آراءه تهتم بالرسالة أو النص، حيث يركز على العلاقات النظمية و المعجمية المتوالية الملفوظة.

---

(1): ج.فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي و زميله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 228.

(2): المرجع نفسه، ص: 231.

(3): المرجع نفسه، ص: 232.

- ميخائيــل باختيــن:

تظهر أهمية الدلالة عند باختين من خلال انتقاده للسانيات كونها لم تتجاوز حدود الجملـــــة **(1)**

و يهتم باختين بجملة من المفاهيم و الآراء كالتركيز على عدم الاهتمام بالصيغ اللسانيــة و تحليلها و مطابقتها للمعيار فقط، لأن "المتكلم لا يعطي للصيغة اللسانية أهمية باعتبارها إشارة قارة متساوية مع نفسها دائما، و لكن أهميتهــا تتبع ... من كونها دليلا مرنا دائم التحول" **(2)**

و هذا يعني أن دلالة الوحدة أو الصيغة اللسانية تتغير بتغير موقعها و سياقها في الرسالة أو النص، و أيضا وفق الظروف التي ترد فيها، و كذا المخاطب الذي يوجه له مجموع الكلام، و هذا اهتمام واضح من ميخائيل باختين بكل الأبعاد الدلالية. و ليبرر هذا الرأي يقول: "القول المنجز كالجزيرة الطافية على محيــط لا حدود له، و ذلك هو الحديث الداخلي، أما أبعـــاد و أشكال هذه الجزيرة فيحددها مقام المقال و سامعوه" **(3).**

و تظهر أهمية الدلالة واضحة في نظرية التلفظ أو التحدث عنده، لأن المقام هو الذي يكسب الكلام معناه، و بالتالي فلا بد لتفكيك الخطاب أو الكلام و معرفة دلالته من العودة أو النظر إلى مقامه، و لا يمكن بأي حال من الأحوال تفكيك الخطاب بالنظر إلى مكوناته اللغوية فحسب و عزله عن سياقه الخارجي؛ فمثلما يحتاج الخطاب – من أجل كشف معانيـــه – إلى محيط لغوي يساعد على فهمـــه، يحتاج في الآن ذاته إلى محيــط غير لغوي يجدد معالمــه و يوضحها.

و يركز باختين على المخاطب كذلك باعتباره أحد أهم العناصر المساهمة في تحديد الدلالة، و كونه متغيرا من خطاب إلى آخر فـ"الكلمة تتوجه إلى مخاطب، و هي لشخص هذا المخاطب: تتنوع حسب حالاته ..." **(4)**

---

(1): ينظر: نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومه، الجزائر، د.ت، ج1، ص: 13.

(2): ميخائيل باختين: الماركسية و فلسفة اللغة، ترجمة: محمد البكري، يمني العيد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص: 131.

(3): المرجع نفسه، ص: 131.

(4): المرجع نفسه، ص: 116.

و بالتالي فلابد لكشف معاني الخطاب من الاهتمام بالمخاطَب، و بالعلاقة التي تربطه بالمتكلم، و علاقته بالخطاب كذلك.

و بهذا يكون باختين قد أشار إلى مجموعة من العوامل و الظروف التي من شأنها كشف معاني الخطاب.

- **جاكبسون (R/Jakobson):**

يمكن ملاحظة جهود رومان جاكبسون الدلالية من خلال مخطط الاتصال الذي وضعه ليبين من خلاله وظائف اللغة. و الوظيفة الأساسية للغة هي التّواصل أي نقل الدلالات و المعاني و الأفكار من المتكلم إلى السامع.

و يفصل رومان جاكبسون في هذه الوظائف فيرى أن للغة وظيفة بإزاء كل عنصر من عناصر الاتصال. و يرى بأن العملية الاتصالية تتمثل في: **(1)**

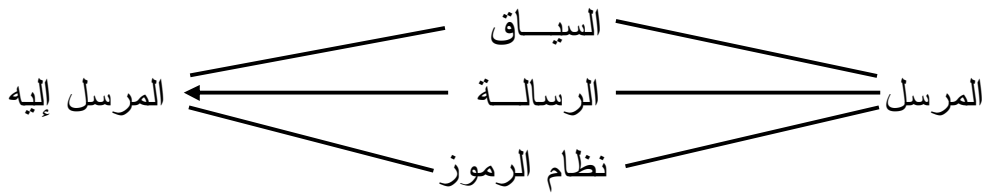

و يختلف اللغويون طبعا في تحديد جوانب الاتصال و إن كانوا يتفقون على أنّ هناك طرفين للاتصال: "المرسل" و "المستقبل". و هما أهم عنصرين من عناصر التواصل حيث تنتقل المعاني من الأول إلى الثاني عن طريق الدلالات التي تحملها اللغة.

و يرى جاكبسون أن لهذه اللغة وظيفة مرجعية تتحدد بالنظر إلى سياق التخاطب، و يكون كل عنصر من عناصر الاتصال في المخطط وظيفة تؤديها اللغة كالوظيفة الشعرية، الوظيفة المرجعية، الوظيفة التعبيرية، الوظيفة الإفهامية، و وظيفة ما وراء اللغة، ...

و هنا يظهر التداخل بين السياق و اللغة؛ حيث يفهم من مخطط جاكبسون أن للغة وظيفة بإزاء أي عنصر من عناصر الاتصال الستة، و بالتالي يكون السياق وظيفة لغوية تؤديها اللغة، و حِين تكون المرجعية التي هي وظيفـــة السياق في المخطط و وظيفـــة اللغة في الوقت نفسه،

---

(1): ينظر: رومان جاكبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، الشرح الوارد في الفصلين 3.2، ص [43-121].

يكون المراد بهذه الوظيفة "الإحالة على الأشياء و الموجودات التي تتحدث عنها و تقوم اللغة بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات و الأحداث المبلغة" **(1)**

و يدخل الموقف أو المقام بعناصره و موجوداته في السياق إذا كانت هذه العناصر تمثل الموضوع بالإضافة إلى محيط التخاطب، و بالتالي تصبح اللغة حينئذ في هذا السياق ذات وظيفة توضيحية – توضيح المعنى و الدلالة -، أي أنها توضح ملامح ذلك السياق فتكون مرجعا له لأنها تحويه، و يكون مرجعا لها لان ما يعتمد عليه من عناصر المقام لا يمكن التلفظ به.

و ختاما يمكن القول بان مخطط جاكبسون يشير إلى جميع العناصر اللغوية و غير اللغوية و يبيّن أهميتها في تحليل الخطاب و بيان دلالاته.

- **تشومسكي:**

يظهر اهتما تشومسكي بالدلالة من خلال كتابه مظاهر الأبنية التركيبية، و فيه جمع كل آرائه النحوية.

و من بين ما أقرّه كتابه المذكور أن الجملة تتكون من مستويين – كما سبق ذكره – المستوى السطحي، و المستوى العميق، فأما المستوى السطحي فمرتبط بالجانب الصوتي الفونولوجي، و أما المستوى العميق فمرتبط بالجانب الدلالي لها.

و تقسيم تشومسكي الجملة إلى هذين المستويين (السطحي و العميق) إشارة إلى أن اللغة نظام يربط الصوت بالمعنى إذا كان متكلم اللغة يملك كفاية لغوية و قدرة على ترجمة هذه الكفاية إلى أداء كلامي. "و تسعى النظرية إلى وضع قواعد اللغة الكلية و قواعد اللغات الخاصة. و تقدم القواعد الكلية الشكل العام الذي تتخذه قواعد اللغات الخاصة و الطريقـــة التي تنتظم بها قواعد كل مستوى من مستويات اللغة" **(2)**

و مستويات اللغة في النظرية التوليدية التحويلية ثلاثة:

- المستوى الفونولوجي أو الصوتي.
- المستوى التركيبي.

---

(1): عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1982، ص: 159.

(2): ميشال زكرياء: مباحث في النظرية الألسنية و تعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص: 126.

- المستوى الدلالي: و هو مستوى تفسيري أكثر منه وصفي، أي أنه يفسر الجمل المتلفظ بها عند المتكلم المألوفة منها و الجديدة، و هذا يعود إلى إحاطته باللغة المستعملة، فمن خلال هذا المكون – المكون الدلالي – يمكننا تصنيف الجمل إلى مقبولة ذات معنى أو العكس. و يوضح هذا مثال تشومسكي الشهير: الأحلام الخضراء عديمة اللون تنام بعنف.
- إذ يلاحظ عليه غياب المعنى و الدلالة على الرغم من صحته و سلامته نحويا، فالكلمة مفردة تحقق المعنى المعجمي و لا تتأتى لها الدلالة إلاّ ضمن السياق الذي وردت فيه مع ما سبقها و ما لحقها من مفردات أخرى و لا يعني هذا إبعاد المعنى المعجمي عن دلالات الجمل بل يستند عليه في تحديدها.

و بهذا ارتبطت الدلالة بالبنية العميقة، إذ من خلالها يمكن للسامع أن يعطي دلالة أي جملة تلقاها، و يتم ذلك عبر مرحلتين:

- الأولى و مجالها المعجم و فيها يعطي السامع كل كلمة معناها المعجمي.
- الثانية و مجالها قواعد الإسقاط و هي الرابط بين الكلمات و قواعد تركيبها، إذ به يتم التوصل إلى الدلالة المرادة لكل جملة. و يمكن توضيـــح ذلك من خلال المخطط التالـــي: **(1)**

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 137.

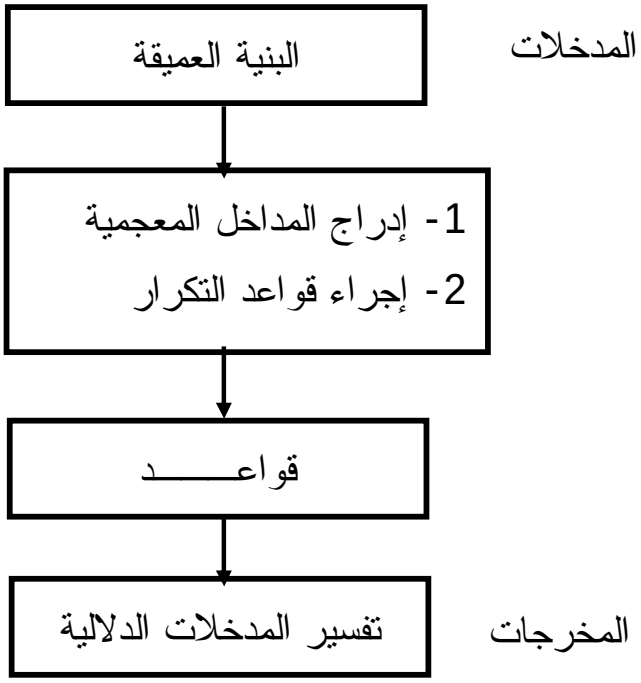

و يقصد بالمدخلات البنى التركيبية للجملة، بينما يقصد بالمخرجات الدلالات و القراءات التي يمكن أن تعطى لهذه الجملة.

و ختاما يمكن القول بأن الدلالة كانت من اهتمامات تشومسكي خاصة في كتابه الثاني مظاهر الأبنية التركيبية.

- **مالينوفسكـــي Brouislan Malinoviski:**

تعتبر جهود مالينوفسكي ذات أهمية كبيرة خاصة فيما يتعلق بالجوانب غير اللغوية المساهمة في الوصول إلى المعنى و تحقيق الدلالة. حيث كان له دور كبير في الاهتمـــام بسياق المقام، و هو عالم أنثروبولوجيا بولندي، درّس الأنثروبولوجيا الوصفية الاقتصادية في مدرسة لندن منذ 1972، و قد نشأ اهتمام مالينوفسكي باللغة من خلال قيامه ببحث ميداني في الثقافة البدائية في جزر التروبيرياند – جنوبي الباسيفيك – ، و قد توصل إلى انه لا يمكن الوصول إلى ترجمات مرضية للنصوص دون ردها إلى سياقها الذي استعملت فيه، و من الأمثلة التي سجلها في هذه الترجمات: "عبارات صاحب زورق طويل خفيف ضيق يقاد بمجداف ما ترجمته: "نحن – نجري – أمام – خشب أنفسنا – نحن نحول نحن – نرى زملاء – ناهو – يجري بنصب – خشب" و زعم مالينوفسكي أن هذا الكلام المنطوق يكون له معنى

فقط لو رأيناه في السياق الذي استخدم فيه" **(1)**. لأن كلمة خشب مثلا تشير إلى مجداف الـــزورق، و حتى الكلمات الأخرى تفهم في سياقها.

و قد أسس مالينوفسكي تصوراته في المقام الأول على ملاحظته للطريقة التي توافق فيها اللغة الناس مع نشاطاتهم و أعمالهم اليومية، و بالتالي كانت جزءا لا يمكن فصله عنه بسهولة.

لكنه لاحظ فيما بعد أن وظيفة الكلام في المجتمع هي خلق و تأكيد الروابط العاطفية بين المتكلمين، فهناك معنى خاص لتعبيرات مثل: كيف حالك؟ و التي تستخدم في إقامة شعور معين بين المتكلمين، و كذلك الحديث عن حالة الطقس أو الأسرة أو غير ذلك "و أطلق مالينوفسكي على هذا الوجه من اللغة "لغة المجاملات" حيث أن الكلمات "لا تنقل معنى"، بل لها وظيفة اجتماعية محضة" **(2)**

و جهود مالينوفسكي أثمرت و استفاد منها الكثير من علماء اللغة في العصر الحديث الذين من أهمهم فيرث، حيث استقى منها فكرة السياق الحال. إلاّ انه تعرض إلى الكثير من الانتقادات التي تتمثل في: **(3)**

- أن نظريته لا توفر الأساس لأي نظرية دلالية علمية.
- أن النظرية لا تقدم الطرق التي يمكن بها تناول دلالة السياق بأسلوب منظم كي يفيد المعنى العام.
- أن مالينوفسكي كان ينظر إلى اللغات البدائية على أنها مختلفة عن اللغات الأخرى الأكثر حضارة، و هو مالا يراه اللغويون مسلما به، و إن اختلفت الحاجات التعبيرية من لغة إلى أخرى بصرف النظر عن رقيها و بدائيتها.

- **فيـــرث (J/Firth):**

لقد اهتم فيرث اهتماما كبيرا بالسياق المقامي و دوره في تحديد الدلالة، حيث ربط اللغة بالمجتمع برباط وثيق حين اعتبر أن الإنسان إنما يتخاطب مع غيره ضمن مواقف اجتماعية مختلفة تحدد شكل الأسلوب الذي عليه أن يعتمـــده، و نوعية الكلمات التي عليه اختيـــــارها،

---

(1): ف.ر.بالمر: علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1995، ص: 74.

(2): المرجع نفسه، ص: 75.

(3): ينظر: المرجع نفسه، ص: 76-77.

و بالتالي فثمة إطار خاص تستعمل اللغة ضمنه فتتأثر بمعطياته و تتكيف مع عناصره.

فلتحديد المعنى، يركز فيرث على العلاقات السياقية و الصوتية و النحويـــــة و المعجمية و الدلالية، و كل واحدة من هذه تحمل معها في سياقها الخاص ما يرتبط بغيرها، و لهذا فكل فروع علم اللغة مرتبطة بالمعنى **(1)**.

و كغيره من اللغويـــن الأمريكيين، فقد اعتمـــــد فيرث على أعمال الأنثروبولوجييـــــن و تفكيرهم، و تأثر تحديدا بالأنثروبولوجي مالينوفسكي الذي سبقت الإشارة إلى جهوده حول السياق غير اللغوي.

و انتقد المناطقة و الفلاسفة الذين يرون بأن الكلمات و العبارات لها معنى في ذاتها منفصل عن الشخصيات في النص لأنه يرى العكس، و تبعا كذلك فإن السياق عنده ينقسم إلى نوعين:

1- **السياق اللغوي**: و يتمثل في العلاقات الصوتية و الفونولوجية و المرفولوجية و النحوية و الدلالية على أن "الوحدات الحقيقية ليست الأصوات، و لا طريقة الكتابة أو المعاني لكنها العلاقات التي تمثلها هذه الأصوات و الأساليب و المعاني (...) إنها العلاقات المتبادلة أو المشتركة داخل السلسلة الكلامية و الصيغ الصرفية و النحوية" **(2)**.

2- **سياق الحال:** و يمثله العالم الخارج عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي، و يتمثل في الظروف الاجتماعية و البيئية و النفسية و الثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام، فإذا كان السياق اللغوي هو مجموع العناصر اللغوية التي تحيط بجزء من الملفوظ فان السياق غير اللغوي أو المقام هو مجموع العوامل غير اللغوية التي تتحدد بمقتضاها رسالة ملفوظ في لحظة معطاة في زمان و مكان ما، و هذه العوامل تتصل بالمخاطِب و ظروف الخطاب المختلفة. **(3)**

و هكذا تبدو وثاقة الارتباط بين عملية التحليل اللغوي و الظروف الخارجية للخطاب عند فيرث من خلال اهتمامه بالفرد و محيطه، كليهما في عملية التحليل اللغوي، فمن جهة يهتم بالمتكلم كعنصر هام من عناصـــر المقام، و اعتبر أن الإنسان حينما تكلم فانه يتكلم كشاعر،

(1): J.Firth : Papers in Linguistics, Oseford University Press New York Toronto, 1957, P: 19.

(2): أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالـــة بين النظر و التطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1993، ص: 90-91.

(3): حلمي خليل: العربية و علم اللغة البنيوي، ص: 135.

و قد أكد الشعراء دائما بان جزءًا كبيرا من جمال الشعر و معناه هو في الصوت و النغمة التي توجد فيه، و هذا المعنى الفونولوجي لا يمكن ترجمته من لغة أخرى. **(1)**

كما يهتم فيرث بالعناصر الأخرى التي ترتبط بالخطاب، و يرى أن سياق الحال يقود إلى الحديث عن العناصر الآتية:

- الأشخاص و الشخصيات التي لها علاقة بالموضوع (أفعال الأشخاص المترجمة بالأقوال، الأفعال غير المترجمة بالأقوال).
- الأشياء التي لها علاقة بالموضوع.
- تأثير الأفعال المصحوبة بالأقوال. **(2)**

و إن أي محاولة للوصول إلى دلالة الكلمة أو الخطاب لابد أن تمر على هذه العناصر المقامية التي تشكل في مجموعها الخلفية الاجتماعية للموقف.

لكن رغم الجهود اللغوية التي قدمها فيرث في سبيل إيضاح المعنى و إبراز الدلالة من خلال المقـــــام أو سياق الموقف، إلاّ أن نظريته الاجتماعية أو السياقية قد واجهت انتقادات منها: **(3)**

- أن فيرث لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، و اكتفى فقط بوضع نظرية لعلم الدلالة مع العلم أن المعنى يعتبر مركبا من العلاقات السياقية و من النحو و الأصوات و المعجم و الدلالة.
- لم يكن فيرث محددا في استخدامه لمصطلح السياق مع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف غامضا غير واضح، أضف إلى ذلك انه بالغ في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق.
- إن هذا المنهج لا يفيد في تحديد دلالة كلمة ما عجز السياق عن إيضاح معناها لشخص معين، فلن يفيده أن نقول له أن هذه الكلمة ترد في السياقات الآتية، لكنه يفيد الباحث الذي يريد أن يتتبع استعمالات الكلمة المختلفة، و استخداماتها العملية أثناء التعابير المختلفة.

---

(1): Firth : Papers in linguistics, P :25.

(2): المرجع نفسه، ص: 30.

(3): بالمر: علم الدلالة إطار جديد، ص: [78-80]

و بعد الحديث عن أراء فيرث تجدر الإشارة إلى أن البحث في موضوع الدلالة قد ضم أسماء آخرين ممن اهتموا بعلم اللغة الاجتماعي و فلسفة اللغة كذلك و سنشير فيما يلي إلى بعض منهم و دورهم في البحث الدلالي.

- ميشـــال هاليـــداي (Michael Haliday):

و يعتبر واحدا من الذين طوّروا أفكار فيرث، و ذلك من خلال النحو النظامي أو النحو الشقي الذي عرف به، و الذي يقوم على فكرة رئيسية هي أن للغة وظائف متعددة، و كل وظيفة منها يتم تحقيقها باستعمال تراكيب معينة، "و تلك التراكيب تقل أو تكثر حسب اللغة المستعملة، و هو ما يجعل لكل لغة إمكانات خاصة بها في التعبير" **(1)**

و هو – النحو النسقي – يقوم على ثلاثة مستويات هي:

- الشكل: أي تنظيم أجزاء اللغة تنظيما له معنى، و يشمل ذلك قواعد النحو و المفردات.
- المادة: و يقصد بها الجانب الصوتي و الكتابة.
- السياق: و يقصد به العلاقات بين الشكل و المواقف. **(2)**

إذن فهاليداي ينظر إلى اللغة على أنها سيميائية اجتماعية يجب دراستها و تفسير ظواهرها على هذا الأساس. و غاية البحث اللساني إنما هي الوصول إلى المبادئ العامة المرتبطة باستعمال اللغة، و تحديدا الوظائف التي تؤديها كل لغة و حصر التراكيب التي تستخدم في أداء كل وظيفة.

و قد كان هاليداي ينظر إلى اللغة بتأثير المدرســـــة الانجليزيـــــة – فيرث – التي درس و ترعرع فيها. فرأى أن للغة وظائف متعددة تبدأ من الانفعالات الشخصية مرورا بالمحافظة على العلاقات الاجتماعية و تنظيم الأحداث و الإخبار عن الحقائق، وصولا إلى التعبير الأدبي كالقصة و الشعر. **(3)**

---

(1): محمد الصالح بن عمر: النص الفكاهي في درس النحو، ص: 27.

(2): ينظر: - سامي عياد حنا و آخرون معجم اللسانيات الحديثة (انجليزي-عربي)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص: 47.

- جيفري سامبسون: المدارس اللسانية التطور و الصراع، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، ص: 238.

(3): ينظر: نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص: 42-43.

و يقدم هاليداي الوقف من خلال طرحه لفكرة أن السياق يتكون من مظاهر ثلاثة هي: المجال، نوع الخطاب، و المشتركون في الخطاب، و هذه المظاهر السياقية عنده تتحكم في مفهوم النص على اعتبار انه يخدم هذه المظاهر و يتطابق معها في مكوناته المعنوية التي يقسمها إلى ثلاثة مكونات هي: **(1)**

- المكون الفكري: و ينقسم إلى مكونين، منطقي و خبري.
- المكون العلائقي: و هو الذي يحدد نوعية العلاقة بين المشاركين في الخطاب، و يتطابق مع نوعية الخطاب.
- المكون النصاني اللغوي: و الشكل العلامي الذي يتخذه الخطاب من اجل أن يخدم غايته الوظيفية و يتطابق مع وسيلة الخطاب.

و بالتالي فتحديد دلالة النص عند هاليداي يحددها نصان: النص الظاهر و هو النص اللغوي، و نص آخر مصاحب للظاهر و هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية.

- هايمـــز (Hymes):

يهتم هايمز كذلك بالدلالة، و يرى أن للسياق دورا أساسيا في دعم التأويلات و القرب من المعاني بفضل ما يمتاز به من خصائص و التي يجمعها شارحوه في: **(2)**

- المرسل: و هو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- المتلقي: و هو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.
- الحضور: و هم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- الموضوع: و هو مدار الحديث الكلامي.
- المقام: و هو زمان و مكان الحديث التواصلي، و كذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات و الإيماءات و تعبيرات الوجه.

---

(1): يوسف نور عوض: علم النص و نظريـــــــة الترجمة، ص: 33-34. نقلا عن ردّة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، ص: 240.

(2): ينظر: - محمد خطابي: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1991، ص: 53.

- ج.براون و ج.يول: الخطاب الأدبي، ترجمة منير التريكـــــي و محمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1997، ص: 46-47.

- القناة: كيف يتم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي – كتابة، إشارة، ... –
- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- شكل الرسالة: المقصود به إن كانت الرسالة دردشة أو جدالا أو عظة أو خرافة أو رسالة غرامية.
- المفتاح: و يتضمن التقويم؛ هل كانت موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف، ...
- الغرض: أي ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي.

و خصائص السياق هذه شبيهة بوظائف اللغة عند جاكبسون – سبق الحديث عنه – إلاّ أنها تبدو أوسع قليلا و أكثر تفصيلا لعناصر سياق الحال المساهمة في تحديد الدلالة. و إن كان يرى أن المرسل و المتلقي و كذلك المشتركون عناصر خارجة عن المقام لأنه حصرها في الزمان و المكان و العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين.

و بالتالي فقد قدم هايمز جملة أركان الحدث التواصلي و علاقته الخارجية من أجل ضبط المعنى ضبطا دقيقا و تحديد الدلالة.

- أوستين(Austten) :

كان الفيلسوف البريطاني أوستين أيضا أحد الذين اهتموا بالدلالة و المعنى و سبل تحقيقها؛ فاهتم هو الآخر بالمقام و دوره في تفسير نص ما تفسيرا شاملا يجمع إلى جانب المكونات اللغوية الداخلية له القرائن الخارجية المصاحبة التي تؤثر تأثيرا واضحا في تحديد دلالته الدقيقة، لكن بشكل مختلف نوعا ما، إذ يعتبر أول من لفت الأنظار إلى الوظائف العديدة التي تؤديها المنطوقات كجزء من عملية التواصل. و أشار بصفة خاصة إلى أن الكثير من المنطوقات لا توصل مجرد معلومات، بل هي تعادل الأفعال أو الأعمال، فعندما يقول شخص ما: اعتذر، أو اعد بـــ، أو أتكفل بـــ، فان هذا النطق يوصل للمخاطب بشكل مباشر واقعا نفسيا أو اجتماعيا، فالاعتذار يتم عندما يتعذر شخص ما و ليس قبل ذلك، و في مثل هذه الحالة فان القول هو الأداء **(1)** لأنه يدل عليه مباشرة.

(1): ينظر: سامي عياد حنا و آخرون: معجم اللسانيات الحديثة، ص: 112.

و بالتالي يظهر اهتمامه بالدلالة من خلال البحث عن معاني الخطابات تداوليا أي من واقع استعمالها.

و الجانب المهم أيضا في أراء أوستين هو أنه اعتبر القول فعلا يتم في إطار من الأعراف و المعايير الاجتماعية التي تلتزم بها الجماعة اللغوية في عملية التواصل، و لا تخرج عنها لأسباب خاصة. و يمكن الاستدلال على ذلك بجملة: "أغلق الباب من فضلك" التي تعتبر قولا مناسبا فقط للمقام إذا كان الباب مفتوحا، إذ يوجد سبب يجعل المتكلم يطلب ذلك من المخاطب و أن المخاطب يكون في حالة تسمح له بأداء الفعل، و إن لم يتوفر أي شرط من هذه الشروط فلابد من افتراض تفسير آخر للفعل الكلامي؛ فربما كان قصد المتكلم المزاح أو التهكم، و بالتالي نجد الأفعال الكلامية غير المباشرة في مقابل أفعال الكلام المباشرة. إذ أن جملة فعل الأمر "أغلق الباب" تعتبر فعلا كلاميا مباشرا، و قد تكون أسلوبا غير لائق يتحول عنه المتكلم إلى بدائل أو أفعال كلامية غير مباشرة مثل: "أيمكنك أن تغلق؟"، "أيضايقك أن تغلق الباب؟"، "كم أكون شاكرا إذا أغلقت الباب"، "إنّي أشعر بالبرد لأن الباب مفتوح" ... فأي بديل من هذه البدائل – في موقف معين – يقوم بوظيفة الطلب و هي إغلاق الباب بالرغم من أن صيغة الأمر غير موجودة. **(1)**

و بالتالي نرى أن أوستين اهتم بدراسة النواحي الدلالية المقامية التي تتضمن التفاعل بين السياق أو المقام الذي تم فيه نطق تعبير ما و قصد المتكلم، و وصف سياق الكلام مما يساعد على تحديد المعنى المراد.

و بالنسبة للدراسات اللسانيات الغربية الحديثة عموما كان الاهتمام بالمستوى الدلالي كبيرا و لا يقتصر على هذه الجهود المبذولة فقط، إنما هناك جهود أخرى كبيرة و معتبرة في هذا المجال لكن المقام لا يتسع لذكرها كلها.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 113

المبحث الثالث: المستوى الدلالي في كتابات أحمد مختار عمر

بعد الحديث عن المستوى الدلالي في الدراسات التراثية العربية، و في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، نحاول التعرف على آراء أحمد مختار عمر في هذا المجال، و كذا موقفه من الدراسات التراثية، و كذا من الدراسات اللسانية الغربية الحديثة لتحديد اتجاهه و لبيان ما قدمه إلى القارئ العربي من خلال آرائه في هذا الميدان.

أولا: أحمد مختار عمر و المباحث الدلالية التراثية

تظهر اهتمامات أحمد مختار عمر بالمباحث الدلالية التراثية من خلال كتابه علم الدلالة حيث يعرض فيه لمجموعة الجهود التي تمثل المسار التاريخي لعلم الدلالة، حيث كان ضمن هذه المسيرة الدراسات اللغويـــة العربية القديمة و قد قسمها على اختلاف اتجاهاتها. يقـــــول: "و تنوعت اهتمامات العرب فغطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية. و من ذلك:

1- اهتمامات اللغويين التي تمثلت فيما يأتي:

أ- محاولة ابن فارس الرائدة – في معجمه المقاييس – ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها (...)

2- اهتمامات الأصوليين و علماء الكلام و الفلاسفة المسلمين التي تمثلت فيما يأتي:

أ- عقد الأصوليين أبوابا للدلالات في كتبهم تناولت موضوعات مثل: دلالة اللفظ، دلالة المنطوق، دلالة المفهوم، تقسيم اللفظ بحسب الظهور و الخفاء (...)

3- اهتمامات البلاغيين التي تمثلت في دراسة الحقيقة و المجاز، و في دراسة كثير من الأساليب كالأمر و النهي و الاستفهام .. و في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني .. و غيرها" **(1)**

و لا يعلق أحمد مختار عر على هذه الدراسات و لا يبدي رأيه فيها لأنه بصدد السرد التاريخي.

لكنه يعود في مواضع مختلفة من الكتاب إلى الحديث عن الجهود العربية الدلالية ، مثل حديثه عن الأضداد في الفصل الثاني.

---

(1): أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1998، ص: 20-21

و يشير في هذا الفصل إلى أن حديثه عن الأضداد يقتصر على الدراسات العربية لأن مفهوم الأضداد الذي قصده هو المفهوم الذي تحدثت عنه الدراسات العربية، و هو مختلف عن مفهومه في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة يقول: "لا نعني بالأضداد ما يعنيه علماء اللغة المحدثــون من وجود لفظين يختلفــان نطقا و يتضادان معنى؛ كالقصيــر في مقابــل الطويل و الجميل في مقابل القبيح و إنما نعني بها مفهومها القديم و هو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين" **(1)**

لكن هذا لا يعني أن الدراسات الغربية الحديثة غائبة في هذا المبحث، إنما يمكن العودة إليها في تعليقه و مناقشته يقول: "و من أجل هذا سيكون حديثنا عن هذه الظاهرة – في جملته – متعلقا برأي القدماء و المعاصرين من العرب و المستشرقين، مع الاستفادة من معطيات علم اللغة الحديث في مناقشة مختلف الآراء و التعليق عليها" **(2)**

يؤرخ أحمد مختار عمر كذلك للكتابة في مجال الأضداد فيجمع هذه المؤلفات و يعلق عليها، و يمكن تلخيص ما ذكره في: **(3)**

أ- من ألّف في الأضداد تأليفا مستقلا.

- ابن الأنباري (328هـ) و قد نشر كتابه أكثر من مرة
- الأصمعي (216هـ)
- أبو حاتم (255هـ)
- ابن السكيت (244هـ)
- الصاغاني (650هـ)
- قطرب (206هـ)
- أبو الطيب (351هـ) و يمتاز هذا الكتاب بأنه:

- قابل ما ورد في الكتب السابقة و أخذ عنها أصح العبارات و أوثق الروايات.
- ضم إليها ما ثبت لديه من هذا الفن.
- أكثر من الشواهد و بالغ في ذلك.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 191.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 192.

(3): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 192-193.

- رتبه على حروف المعجم. و هو أول كتاب في الأضداد يفعل ذلك، لكنه لم يلتزم بذلك التزاما دقيقا.
- ميز ألفاظا قال من سبقه أنها من الأضداد، و يرى هو عكس ذلك.

- ابن الدهان (569هـ)

ب- مؤلفات أخرى في الأضداد لم تصل إلينا منها:

- كتاب الأضداد للتوزي (230هـ).
- ثعلبَ (291هـ) له جزء في الأضداد.
- ابن فارس (ت 395هـ).

كما يشير أحمد مختار عمر إلى أن هذه القضية – قضية التضاد – فيها خلاف كبير فهناك من علماء العربية من يثبتها و هناك من ينكرها يقول: "اختلف العلماء في وجود هذا النوع من المشترك اللفظي، فمنهم من أنكره و منهم من أثبته" **(1)**.

و يفصل أحمد مختار عمر في آراء المثبتين و المنكرين للتضاد مع ذكر الأدلة التي اعتمدها كل فريق.

كما يشير من جهة أخرى إلى أن المثبتين للتضاد فريقين فمنهم من وسع مفهومه و منهم من ضيقه "يتفاوت المثبتون للأضداد في توسيع مفهوم اللفظ و تضييقه، و من الموسعين من بالغ في التوسيع، كما أن من المضيقين من بالغ في التضييق" **(2)**.

ثم ينتقل أحمد مختار عمر إلى مناقشة قضية الأضداد في القرآن الكريم، و يظهر أن الاهتمام في هذه القضية – قضية التضاد – أساسه الاهتمام بألفاظ القرآن الكريم يقول: "يبدو أن جزءا من اهتمام اللغويين بالتأليف في الأضداد يعود إلى ورود بعضها في القرآن الكريم (...) كما يبدو أن التعرض لألفاظ الأضداد القرآنية و تفسيرها كان بدافع الرد على الشعوبيين الذين كانوا يزرون بالعرب و يرمونهم بكل نقيصة، و يرمون لغة العرب بأنها خلت من الحكمة و افتقرت إلى الدقة و البلاغة في إطلاق الألفاظ و تحديد المعاني، و يتهمونها بالعجز عن التعبير بشكل واضح و محدد عما يراد منها" **(3)**

---

(1): أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 194.

(2): المرجع نفسه، ص: 196.

(3): المرجع نفسه، ص: 199-200.

و بالتالي تمتلك هذه القضية أهمية كبرى بالنسبة للدراسات القرآنية، و يرى أحمد مختار عمر أنها مهمة لدرجة جعلته يستغرب غيابها في كتب الوجوه و النظائر يقول: "و من الغريب أن الذين ألفوا في "الوجوه و النظائر" في القرآن لم يعطوا كلمات الأضداد أهمية خاصة، و قل منهم من أشار إلى الضدية في المعنى" **(1)**.

و يشير أحمد مختار عمر إلى أسباب ظهور التضاد في اللغة العربي، و يمكن تلخيصها في: **(2)**

- يرى بعضهم أن أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى وضعها العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين.
- يرى بعضهم أن من كلمات الأضداد ما يمكن تفسير نشأته على أساس اختلاف اللهجة، فاحد المعنيين للهجة من اللهجات العربية، و الآخر للهجة أخرى، ثم سمع بعضهم لغة بعض فاخذ هؤلاء من هؤلاء و من هؤلاء، ... كالجون الأبيض و الأسود.
- و من أسباب نشوء الأضداد اقتراض العرب من بعض الألفاظ من اللغات المجاورة لهم، و لما كان معناها الأصلي قد تختلف إيحاءاته فقد أدى ذلك إلى التضاد في العربية. كلفظ الجلل*.
- و قد ينشا التضاد عن أسباب اجتماعية كالتفاؤل و التشاؤم و التهكم و التأدب ... كإطلاق لفظ المفازة على الصحراء تفاؤلا بمن يجتازها.
- و يرى بعضهم أن اللفظ إذا وقع على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد، ثم تفرع إلى معنيين على جهة الاتساع. مثل الطرب فهو خفة تلحق الإنسان في وقت فرحه و حزنه.
- و قد يكون استخدام بعض الألفاظ مجازا حيث يرى بعضهم أن إطلاق "الناهل" على العطشان و الريّان من قبيل المجاز المرسل، فالمعنى الأول هو الأصل، أما الثاني فمجاز مرسل باعتبار ما يكون. لان الناهل هو العطشان الذاهب إلى الشرب فهو ريان في النهاية.

---

(1): أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 194.

(2): ينظر: المرجع نفسه، ص [204-213]

*: يقول أن أصل هذه الكلمة "جلل" من اللغة العبرية و هو فيها بمعنى دحرج، و إذا كان الجسم المدحرج خفيفا أحيانا و ثقيلا أحيانا أخرى فقد اعتمدت العربية هذين الإيحاءين للكلمة الواحدة.

- و يرى بعضهم من أسباب التضاد الإبهام في المعنى الأصلي و عدم تحدده ثم قد يحدث في تطبيقات الاستعمال ككلمة الصريم التي تطلق على الليل و النهار لانصرام كل منهما عن صاحبه.
- و من أسباب حدوث الأضداد تداعي المعاني المتضادة و تصاحبها في الذهن مثل كلمة "بين" التي تفيد الفراق، كما تفيد الوصال وفقا لحالة الشخص الذي يكون إما مفترقا وحده عن جماعته أو متصلا بجماعة أخرى، و لأن الفراق يستدعي في الذهن معنى الوصال.
- تنشأ بعض ألفاظ الأضداد نتيجة التعبير عن الشيء باسم ضده زيادة في القوة التعبيرية، و إثارة لاهتمام السامع. كلفظ "ابن لكب" في الاستعمالات اليومية دلالة على الإعجاب بالشخص.
- قد ينتج التضاد عن اختلاف الأصل الاشتقاقي لكل من المعنيين المتضادين، و ذلك حين يختلف الأصل الاشتقاقي للكلمة رغم اتحاد شكلها في احد معنييها المتضادين عن الآخر مثل "ضاع" بمعنى اختفى، و بمعنى بدا و ظهر. فضاع يضيع من الضياع، إنما الألف منقلبة عن الياء، و ضاع إذا ظهر الألف فيه منقلبة عن واو، ضاع يضوع.
- الإبدال احد الأسباب أيضا في إيجاد التضاد. و هو نوع من التطور الصوتي يلحق الكلمة خلال عصورها التاريخية مثل كلمة "أسر" التي تأتي بمعنى كتم، فيمكن أن يرد الإظهار إلى الأصل الشيني "اشر" ثم بإبدال الشين سينا تطابقت مع كلمة أسر*.
- و قد ينشا التضاد عن تطور صوتي آخر، و هو "القلب" و يمكن أن يمثل لذلك بكلمة "صار" بمعنى جمع و بمعنى قطع و فرق. لأن الأصل فيه صرى.
- و يرد بعضهم الأضداد إلى أصلين ثنائيين، يطابق أحدهما أحد المعنيين المتضادين، و يطابق الآخر المعنى الآخر. مثل "ذرب"، ذربت معدته بمعنى فسدت، و ذربت معدته بمعنى صلحت، فهو يرد الأولى إلى الأصل الثنائي: ذب بمعنى هزل و جف من العطش، و يرد الثاني إلى الأصل الثنائي: ذر البقل و النبات إذا طلع و انتشر لقوته و صحته.

*: ذكر الزمخشري هذا النوع من الإبدال حين قال: أسر الشيء و أشره و أظهره.

- دلالة الصيغة على السلـــــب و الإيجاب، و تخص بعض صيغ الأفعال مثل: فعل و أفعل و تفعّل التي تستعمل في غالب أمرها للإثبات و الإيجاب نحو: أشكيت زيدا: أزلت له ما يشكو.
- دلالة الصيغة على الفاعلية و المفعولية مثل: فعيل بمعنى فاعل و بمعنى مفعول مثل "الرعيب" بمعنى الشجاع و بمعنى الجبان.
- و قد رد بعضهم وجود كلمات الأضداد إلى العصور القديمة أي أن هذه الألفاظ بقايا من طرائق التفكير عند البدائيين.

لكن أحمد مختار عمر أعاد تصنيف هذه الأسباب و لم يتركها بهذا الشكل المجمل من خلال الشكل الموال و الذي يعتبر إعادة ترتيب لهذه الأسباب **(1)**

(1): أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 214.

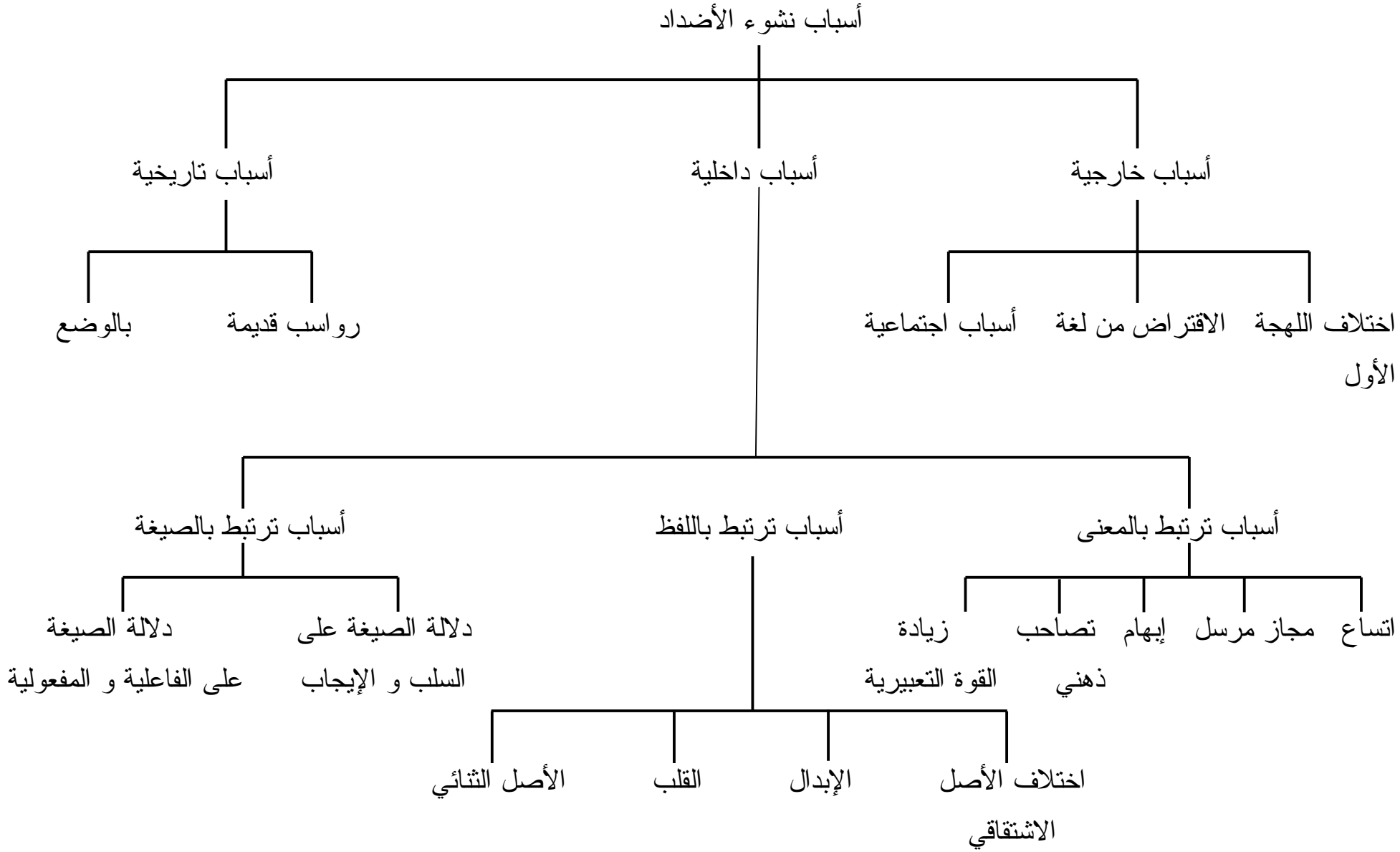
أسباب نشوء الأضداد
أسباب خارجية
أسباب داخلية
أسباب تاريخية
اختلاف اللهجة
الاقتراض من لغة
أسباب اجتماعية
رواسب قديمة
بالوضع
الأول
أسباب ترتبط بالمعنى
أسباب ترتبط باللفظ
أسباب ترتبط بالصيغة
اتساع
مجاز مرسل
إبهام
تصاحب ذهني
زيادة القوة التعبيرية
دلالة الصيغة على السلب و الإيجاب
دلالة الصيغة على الفاعلية و المفعولية
اختلاف الأصل الاشتقاقي
الإبدال
القلب
الأصل الثنائي

و يمكن أن نقول أن هذا إعادة ترتيب و تنسيق من أحمد مختار عمر للجهود العربية القديمة في مجال الدلالة.

و يظهر هذا الترتيب أيضا من خلال إحصائه للألفاظ المنتقاة في القرآن الكريم يقول: "قمت بتتبع سريع للكلمات القرآنية التي قيل بوجود تضاد فيها فوجدتها كثيرة تبلغ بضع عشرات، و هو رقم كبير إذا قيس بأعلى رقم ورد في كتاب الأضداد و هو 357 كلمة جمعها ابن الأنباري في كتابه، و قد رمى إلى أن يكون كتابه جامعا لكتب المتقدمين" **(1)**

و إن كان هذا التصنيف و الترتيب و الإحصاء يعتبر قراءة من احمد مختار عمر و إعادة ترتيب للتراث، فإن بحثه في التضاد و إن كان مؤسسا على هذه الخلفيات يعتبر بحثا دلاليا خاصا به لأنه انتقى من هذه الأنواع – أنواع التضاد – ما رآه مناسبا لبحثه الاشتراك و التضاد في القران الكريم يقول: سبق في كتابنا "علم الدلالة" إن تناولنا قضية التضاد ككل، و عرضنا آراء اللغويين فيها بين منكر و مثبت، و بين مضيق و مبالغ في التضييق و موسع و مبالغ في التوسيع. و سأقصر بحثي هنا على كلمات الأضداد التي وردت في القران الكريم بمعنييها المتضادين سواء على سبيل الاحتمال في آية واحدة، أو على سبيل التوزيع في أكثر من آية، منحيا جانبا من الأمثلة التي استعمل القران اللفظ فيها بأحد معنييه المتضادين فقط دون الآخر. و قد وردت له أمثلة كثيرة في القران الكريم (...) كما لن ندخل في دراستنا ما ورد في بعض كتب الأضداد مما لا يدخل تحت هذه العلاقة، كاعتبارهم "الأحمر" من الأضداد لدلالته على الأحمر و الأبيض. فاللونـــان غير متضادين، إذ لا مضاد للأحمر، و مضاد الأبيض هو الأسود" **(2)**

فمن خلال هذه الدراسة يظهر مبدأ احمد مختار عمر في الاختيار مما ورد في التراث العربي لتوظيفه في دراسته.

و يرى أحمد مختار عمر أنه حتى بعد هذا الانتقاء فإن عملية تحديد الأضداد في القرآن الكريم أمر صعب لأنه يعود في ذلك أيضا إلى ما قيـــل في التراث العربي. و فيه اختلافـــات

---

(1): أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 202.

(2): أحمد مختار عمر: الاشتراك و التضاد في القرآن الكريم، دراسة إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص: 129-130.

كبيرة يمكن جمعها في: **(1)**

- هل يمكن اعتبار كلمة "الشعب" من التضاد استنادا إلى رأي جمهور اللغويين، كالأصمعي، و أبي حاتم السجستاني، و ابن السكيت، و الصغاني في كتبهم عن الأضداد، و الفارابي في معجمه ديوان الأدب، أم نأخذ برأي ابن دريد الذي يقول في الجمهرة ليس من الأضداد إنما هي لغة قوم.
- و هل نعتبر الكلمات التي يمكن أن ترد إلى معنى عام يجمعهما من التضاد مثل كلمة "الصريم" التي اعتبرها جمهور اللغويين من التضاد، و أخرجها أبو علي القالي فالصريم: الصبح، سمي بذلك لأنه انصدم عن الليل، و الصريم: الليل: لأنه انصرم عن النهار، و بالتالي: ليس عنده ضدا؟
- و هل ندخل ما نشا التضاد فيه عن اختلاف معنى الصيغة أولا ندخله؟
- هل نعتبر دلالة الكلمة على المفرد و الجمع مبررا لاحتسابها من كلمات الأضداد مثل: كلمة طفل التي تطلق على الواحد و على الجماعة؟

و رغم كل هذه الصعوبات فإن أحمد مختار عمر، درس هذه الظاهرة اعتمادا على ما رآه مناسبا من هذه الآراء، و وصل إلى بعض النتائج فيما يتعلق بظاهرة الأضداد يقول: "و مهما يكن من شيء فقد اجتهدنا في جمع ألفاظ التضاد في القران الكريم من كتب الأضداد أولا، و من بعض كتب المفردات و التفسير ثانيا و سلكنا مسلكا وسطا بين التضييق و التوسيع، و انتهينا إلى شيوع الظاهرة في القران الكريم، إذ بلغت أمثلتها ثمانيا و خمسين كلمة (...) و هو رقم كبير إذ يزيد على 16% من أعلى قائمة وردت في كتب الأضداد و هي 357 كلمة جمعها ابن الأنباري (328هـ) في كتابه، و قد رمى به أن يكون كتابا جامعا لكتب المتقدمين" **(2).**

لكن إذا تتبعنا القائمة التي وضعها أحمد مختار للأضداد في القران الكريم نجده لا يخرج عما جاء في كتب المتقدمين من علماء العربية. حيث يجعل الحيز الأول من الجدول للجذر – جذر الكلمة - ، أما الثاني فللكلمة القرآنية، ثم الثالث للمعنيين الذين تحملهما الكلمة، أما الحيز الرابع فقد خصص لنص الآية، و الخامس

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 135، 136.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 136.

للسورة و رقم الآيـــــة، أما الحيز الأخير – و هو مـــــدار القول – فقد خصصـــــه للمرجع و الصفحـــة، أي المرجـــــع الذي قـــــال بهذا الـــــرأي من كتب المتقدميـــــن، حيث اعتمد في جدوله على: الصاغاني، السجستاني، القرطبي، مفردات الأصفهاني، ابن السكيت، الأصمعي، البرهان، ... **(1)** من أحمد مختار عمر لتبسيط و تقريب المفاهيم الواردة في التراث من القارئ لأنه بهذا الشكل يجمع الألفاظ المتضادة، و يجمع كذلك آراء القدماء فيها.

أما في تحليلـــــه و دراسته بعد هذا الجـــــدول فإنه يبيّن أسباب التضاد في هذه الألفـــاظ و هي: **(2)**

- اختلاف الأصل اللهجي.
- الاتساع في المعنى.
- دلالة اللفظ على الفاعل و المفعول لاختفاء الحركة الفارقة.
- دلالة الصيغة على الفاعلية و المفعولية.
- القلب و الإبدال.
- تداعي المعاني المتضادة و تصاحبها في الذهن.
- دلالة الصيغة على السلب و الإيجاب.
- دلالة اللفظ على المفرد و الجمع.
- إبهام المعنى الأصل و عدم تحديده.
- المجاز.

و هذه الأسباب كما هو ملاحظ أيضا لا تخرج عن الأسباب السابقة الذكر حول أسباب التضاد الواردة في الدراسات التراثية الدلالية العربية.

و الأمر نفسه بالنسبة لقضية المشترك اللفظي في القران الكريم؛ حيث تناول أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة هذه الظاهرة من الناحية التاريخية، و بيّن أسبابها، و آراء علماء العربية فيها.

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص ص [137-147].

(2): ينظر: أحمد مختار عمر: الاشتراك و التضاد في القرآن الكريم، ص ص [152-161].

أما دراسته حولها فقد كانت أيضا إعادة ترتيب و تصنيف لهذه المادة، قصد انتقاء ما هو مناسب ليوضح للقارئ العربي هذه الظاهرة في القران الكريم و خدمة له أيضا – خدمة للنص القرآني –

أما حديثه عن الترادف في الدراسات العربية التراثية فقد كان سردا تاريخيا لمسيرة هذه الظاهرة – ظاهرة الترادف – و لم يتجاوز الأمر هذا لأنه يريد أن يتناول الترادف من وجهة نظر حديثة يقول: "تعرض كثير من الدارسين لظاهرة الترادف من وجهة نظر القدماء، و لكن قل منهم من تناولها من وجهة النظر اللغوية الحديثة.

و قد رأينا أن نوجز أولا موقف القدماء من هذه الظاهرة، ثم نتعرض بتفصيل اكبر لموقف المحدثين منها" **(1)**

و حتى في دراسته التطبيقية لظاهرة الترادف في القران الكريم يعتمد أحمد مختار عمر على بعض الآراء العربية خاصة فيما يتعلق بإثبات و إنكار الترادف، و يعتمد كذلك على بعض آراء المحدثين حيث يحدد منهجه في تقديمه لهذه الدراسة. و يمكن تلخيص النقاط التي اعتمدها في: **(2)**

- أن بحث قضية الترادف في القرآن لا يمكن أن يتم بمعزل عن بحثها في اللغة العربية ككل، بل في اللغات كظاهرة لفتت نظر القدماء قبل أن تلفت نظر المحدثين.
- أن الخلاف بين العلماء، قدامى و محدثين، حول وقوع الترادف أو عدم وقوعه في اللغات بعامة، و في اللغة العربية بخاصة لا يهم هذا البحث، لأنها قضية أشبعت بحثا.
- لا يمكن إنكار الترادف بالنسبة لبعض الكلمات سواء في المستوى القرآني أو غيره.
- مفهوم الترادف في هذا البحث يتسع ليشمـــــل إلى جانب الترادف التام شبه التـــــرادف، و يضم كذلك ما يعرف بالتكافؤ « Equivalence » الذي يضم كلمات تدل على ذات واحدة و يختص كل منها بمزيد معنى.
- و إن كان الترادف موجود في ألفاظ القران الكريم فإن ما بين أكثرها من ترادف أو

---

(1): احمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 215.

(2): ينظر: أحمد مختار عمر: دراسات لغوية في القرآن الكريم و قراءاته، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2006، ص: 101-102.

- تطابق في المعنى إنما يتحقق فيما يمكن أن يسمى بالمعنى الأساسي، أو الأولي و هو المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في اقل سياق، أو حينما ترد منفردة. و هذا يعني بالضرورة أن الترادف بين الكلمتين القرآنيتين إنما يتحقق حينما تعزلان عن سياقيهما، و يتعامل معهما على أنهما وحدتان معجميتان مستقلتان، و يعني كذلك أنهما باعتبارهما وحدتين مستقلتين قابلتان للاستخدام في العديد من السياقات، مما قد يخلق شعورا وهميا بتطابقهما، مع أن شرط التطابق أو الترادف الكامل هو إمكانية تبادل اللفظين « Interreplaceability » في كل السياقات دون أي فرق في المعنى.
- أن الباحث في مترادفات القران لا يصح أن يغيب عن باله حقيقة أن القرآن نزل باللغة العربي الفصحى المؤسسة غالبا على لهجة قريش، و المحتوية – في الوقت نفسه – على خصائص و مفردات من لهجات كثير من القبائل العربية، و لاشك في أن اختلاف اللهجات يعد عاملا أساسيا من عوامل وجود الترادف.
- أنه لا يصح كذلك إغفال حقيقة أن معظم الكلمات لا تتطابق تطابقا تاما في كل أنواع المعنى، إلى جانب معناها الأساسي. و إدراك الفروق الدقيقة في هذه المعاني هو المحرك الحقيقي لدقة الاستخدام، و إحكام التعبير، و هو الذي يؤدي عادة إلى تفاوت الكتاب و الأدباء في درجة.

و انطلاقا من هذا تظهر المزاوجة بين ما ورد في التراث العربي من قضايا دلالية، و ما ورد في الدراسات الغربية الحديثة؛ حيث يعتمد أحمد مختار عمر الكثير من الآراء الغربية – سيفصل فيها لاحقا – كحديثه عن السياقات التي ترد فيها الكلمة، المعنى المكافئ، ...

كما يمكن أن تضاف إلى جهود أحمد مختار عمر الدلالية بحثه حول "انتفاء الترادف في أسماء الله الحسنى بين الدلالة المعجمية و الدلالة الصرفية"، و هو بحث دلالي بيّن في أن الأسباب التي منعت الترادف في أسماء الله الحسنى و التي تتمثل في: **(1)**

1- الاختلاف في المعنى المعجمي للاسم مثل التفرقة بين الحمد و الشكر في وصف الله تعالى نفسه بهما في قوله: ﴿ **وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ **(2)**

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: انتقاء الترادف في أسماء الله الحسنى بين الدلالة المعجمية و الدلالة الصرفية، مجلة كلية دار العلوم (مقال)، جامعة القاهرة، مصر، ع20، ديسمبر، 1996، ص: 05.

(2): سورة: البقرة، الآية: 267.

﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ **(1)**

﴿ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ **(2)**

و قوله في الشكر:

﴿ وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ **(3)**

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ **(4)**

﴿ وَ اللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ **(5)**

فقد ورد لفظ الشكر و الحمد في أكثر من سياق. و قد فرق أحمد مختار عمر بينهما بناء على تفرقة أبي هلال العسكري بين اللفظين قائلا: "إن الشكر الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم، و لا يصح إلاّ على النعمة، أما الحمد فهو الذكـــر الجميل على جهة التعظيـــــم و يصح على النعمة و غير النعمة. و قد جاز وصف الله الشكر مجازا، و المراد أنه يجازي على الطاعة جزاء الشاكرين على النعمة" **(6)**

و بالتالي يظهر هنا الفرق المعجمي.

2- الاختلاف في المعنى الصرفي حين يتفق الاسمان في الجذر فيظن تكرارهما، و أمثلته كثيرة كما ذكر احمد مختار عمر منها اختلاف الوزن عن طريق اشتقاق الصفة من فعلين يختلفان في التجرد و الزيادة مثل: "فعل" و "أفعل" في "بادئ" و "مبدئ" **(7)**

و الأمثلة كثيرة حول هذه القضية – قضية الترادف – التي نالت حظا وافرا من الدراسة.

و بعد هذا يمكن أن ننتقل إلى وجهة نظر أحمد مختار عمر في المبحث الدلالية في الدراسات الغربية الحديثة. و قد تبيّن لنا جـــزء منها في الترادف حيث حاول أن يجمـــع بين ما

---

(1): سورة: هود، الآية: 73.

(2): سورة: فصلت، الآية: 42.

(3): سورة: البقرة، الآية: 158.

(4): سورة: فاطر، الآية: 34.

(5): سورة: التغابن، الآية: 17.

(6): محمد عبد الرحمن الشايع: الفروق اللغوية و أثرها في تفسير القرآن الكريم، الرياض، 1993، ص: 216-217، نقلا عن: أحمد مختار عمر: انتفاء التضاد في أسماء الله الحسنى بين الدلالة المعجمية و الدلالة الصرفية، ص: 06.

(7): ينظر: أحمد مختار عمر: انتفاء الترادف في أسماء الله الحسنى بين الدلالة المعجمية و الدلالة الصرفية، ص: 7-8.

قدمته الدراسات العربية القديمة، و ما قدمته الدراسات الغربية الدلالية الحديثة ليقدم دراسة تطبيقية حول هذه الظاهرة في القرآن الكريم. هذا مع تأصيله طبعا لهذه القضايا الدلالية في التراث اللغوي العربي من خلال سرد المراحل التاريخية التي مرت بها هذه القضايا الدلالية مع محاولة إعادة ترتيبها و تصنيفها تسهيلا للقارئ العربي و إشارته أيضا إلى الاهتمامات الدلالية في الدراسات اللغوية التراثية على اختلاف اتجاهاتها (لغويين، بلاغيين، علماء الأصول).

ثانيا: أحمد مختار عمر و الدراسات الدلالية الغربية الحديثة

تظهر آراء أحمد مختار عمر و موقفه من الدراسات الدلالية الغربية الحديثة من خلال كتابه "علم الدلالة" الذي يتناول فيه مجموعة من القضايا الدلالية، و التي يرى بأن القارئ العربي بحاجة إليها بسبب قلة هذا النوع من البحوث في الدراسات العربية الحديثة يقول: "فالمكتبة العربية فقيرة أشد الفقر في هذا النوع من الدراسات فمنذ أن صدر كتاب المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس "دلالة الألفاظ" (عام 1958) حتى الآن لم تقدم للقارئ العربي أي دراسة علمية للمعنى بمفهومه اللغوي، تستفيد مما جد من نظريات، و ما قدم من أبحاث، و ما ظهر من نتائج و لا يغني في هذا المقام كتاب الدكتور كمال بشر: "دور الكلمة في اللغة"، و الدكتور مراد كامل "دلالة الألفاظ العربية و تطورها"، (1963)، فأولهما ترجمة لكتاب صدر في فترة مبكرة من تاريخ العلم (1951)، و الثاني يعالج زاوية واحدة من زوايا العلم الكثيرة" **(1)**

و بالتالي فهدف الكتاب العام هو تبسيط و تقريب المفاهيم الحديثة المتعلقة بعلم الدلالـــــة و التي قال بها علم اللغة الغربي.

و طريقة تناوله لمباحث و فصول هذا الكتاب تدعم هذا الكلام؛ حيث جعل الباب الأول مدخلا و تمهيدا للبحث، و تناول في الفصل الأول منه التعريف بعلم الدلالة، أما الثاني فنظرة تاريخية حول مسيرة علم الدلالة قديما و حديثا. و قد اشرنا سابقا إلى انه تناول الدراسات العربية القديمة ضمن هذا الفصل، أما الفصل الثالث فقد خصصه للحديث عن الوحدة الدلاليـــة، الوحدة المعجمية، المورفيم، ... و غيرها من مصطلحات علم الدلالة الحديث – الدراسات اللسانية الغربية – أما الفصل الرابع فقد تحدث فيه عن أنواع المعنى كالمعنى الأساسي، المعنى الإضافي، ... أما آخر فصل في هذا الكتاب فقد تناول فيه قياس المعنى.

---

(1): أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 06.

الباب الثاني من الكتاب خصصه أحمد مختار عمر لمناهج دراسة المعنى، فضم الفصل الأول النظريتان الإشارية و التصورية، أما الفصـــــل الثاني فتناول فيه النظرية السلوكيـــــة، و الفصل الثالث تناول فيه نظرية السياق، أما نظرية الحقول الدلالية فتناولها في الفصل الرابع في حين خصص الفصل الخامس للنظرية التحليلية، و الفصل السادس لمناهج أخرى متنوعة، كذكر المرادف، خصائص الشيء المعرف، ...

أما الباب الثالث فقد خصص لتعدد المعنى و مشكلاته، و تناول في الفصل الأول منه المشترك اللفظي، و في الفصل الثاني التّضاد، و قد خصصا للدراسات العربية القديمة – كما سبق ذكره – أما الفصل الثالث فقد خصص للترادف و بيّن فيه موقف القدماء – الدراسات العربية التراثية – و المحدثين – الدراسات الغربية الحديثة –

أما الباب الرابع فكان بعنوان: من الدرس التاريخي و التقابلي، و تناول في الفصل الأول منه تغير المعنى، و في الفصل الثاني مشكلات الدلالة في الترجمة.

و بالتالي فقد خصص أحمد مختار عمر أغلبية هذه الفصول للتعريف بهذا العلم الحديـــث و التعريف بنظرياته و مناهجه و مصطلحاته قصد تقريبه من القارئ العربي.

و من أمثلة ذلك حديثه عن الوحدة الدلالية. يقول: " يختلف علماء اللغة المحدثون في تعريف الوحدة الدلالية، و في المصطلح العلمي الذي يطلقونه عليها. فمنهم من أطلق عليها مصطلح Semantie Unit،ـ و هو المصطلح الذي اخترنا ترجمته العربية عنوانا لهذا الفصل. و منهم من أطلق عليها مصطلح Sememe، و هو مصطلح دخل علم اللغة أول مرة عام 1908 على يد اللغوي السويدي Adolf Noreen و دخل علم اللغة الأمريكي على يد بلومفيلد عام 1926" **(1)**

و بعد بيانه لاختلاف وجهات النظر في مصطلح الوحدة الدلالية، يشير أيضا إلى اختلاف الآراء في تعريفها، و ينتقي من هذه التعاريف ما يراه مناسبا يقول: "... و إذا كان بعضهم قد اعتبر الوحدة الدلالية هي النص a text فإن ما ذكره ندا Nida من وجود مستويات متعددة لهذه الوحدة هو اختيارنا، و ما سرنا عليه.

و طبقا لما قاله Nidaفإن أي امتداد من الكلام من مستوى المورفيم – بل مما دون هذا المستوى – إلى الكلام المنطـــوق كله يمكن أن يتحدث عنه من جانبين: إما كوحـــدة معجميـــة

(1): المرجع السابق نفسه: ص: 31.

Lexical Unit أو كوحدة دلالية Semantic Unit. فحينما يكون التركيز على صيغة معينة يكون المرء متحدثا عن وحدة معجمية، و لكن حينما يكون التركيز على معنى هذه الصيغة يمكن للمرء أن يستعمل ما يسمى بالوحدة الدلالية. و قد قسم Nida الوحدة الدلالية إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

1- الكلمة المفردة.

2- أكبر من كلمة (تركيب).

3- أصغر من كلمة (مورفيم متصل).

4- أصغر من مورفيم (صوت مفرد)" **(1)**

و من أجل تقريب هذه المعرفة من القارئ العربي يحاول أحمد مختار عمر أن يترجم هذه المعرفة في شكل مخططات كي يسهل إدراكها و من أمثلة ذلك **(2)**

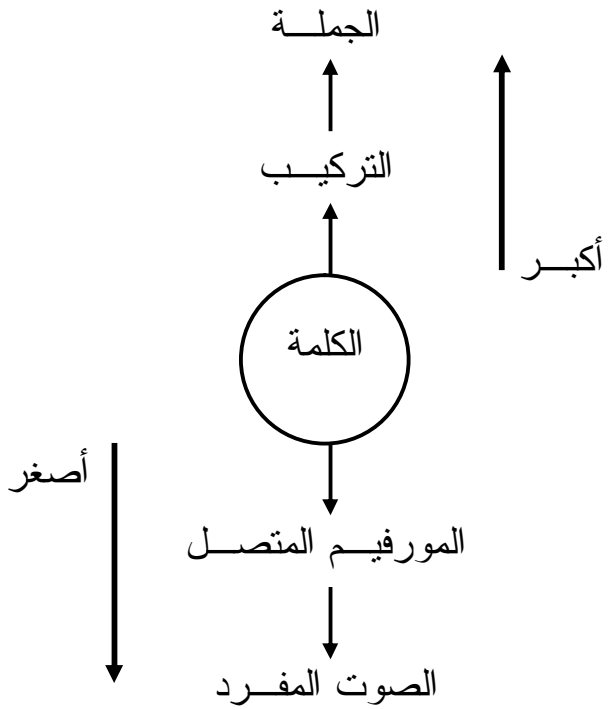

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 31-32.

(2): ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 32.

كما يواصل أحمد مختار عمر شرح ما يتعلق بالوحدة الدلالية و التفصيل فيها من خلال إيراد الأمثلة من اللغات الأجنبية – اللغة الانجليزية - ، و من اللغة العربية كي يسهـــل فهمها و إدراكها، و من أمثلة ذلك قوله:« أما الوحدات الدلالية الأكثر شمولية و هي المتركبة من وحدات على مستوى الكلمة فنعني بها تلك العبارات التي لا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها، و ضم هذه المعاني بعضها إلى بعض. و في هذه الحالة يوصف المعنى بأنه تعبيري Idiomatic

و يدخل تحت هذه الوحدة الأنواع الثلاثة الآتية:

أ- التعبير Idiom.

ب- التركيب الموحد Unitary Complex.

ج- المركب Composite أو التعبير المركب Composite Expression. فمثال النوع الأول كل التعبيرات المكونة من تجمع من الكلمات يملك معاني حرفية و معنى غير حرفي مثل التعبير العربـــي: ضـــرب كفا بكف الذي يحمـــل معنى "تحيّر" و التعبيـــــر الانجليـــزي: Spill the beans التي تعني "يوضح" أو يكشف» **(1)**

أما في حديثه عن الترادف فقد بيّن أحمد مختار عمر أهمية الدراسات الغربية الحديثة و بيّن تفوقها بالنسبة إلى الدراسات العربية التراثية لأنها ناقشت قضية إثبات الترادف بطريقة أكثر نجاعة فتمكنت من توضيحه يقول: "إذا انتقلنا إلى المحدثين نجد بينهم نفس الخلال الذي حدث بين القدماء، و إن كنا نجد هذه المـــــرة محاولات صادقـــة عند من أثبتـــــوا الترادف لتعرفه و تقسيمه و توضيحه توضيحا تاما.

و القضية أكثر تشعبا عند المحدثين، و أشد إثارة للجدل لارتباطها من ناحية بتعريف المعنـــى، و من ناحية أخرى بنوع المعنى المقصود" **(2)**

و ليدلل أحمد مختار عمر على رأيه هذا يشرح التعاريف التي قدمتها الدراسات الغربية للترادف و أشباه الترادف و التي يمكن تلخيصها في: **(3)**

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 33.

(2): المرجع السابق نفسه، ص: 220.

(3): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 220-221-222.

- الترادف الكامل: و ذلك حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة، و لا يشعر أبناء اللغة بأي فرق بينهما، و لذا يبادلون بحرية بينهما في كل السياقات*.
- شبه الترادف: و ذلك حين يتقارب اللفظان تقاربا شديدا لدرجة يصعب معها –بالنسبة لغير المتخصص – التفريق بينهما، و لذا يستعملهما الكثيرون دون تحفظ، مع إغفال هذا الفـــرق. و يمكن التمثيل لهذا النوع في العربيـــة بكلمات مثل: عام، سنة، حـــول، ... و ثلاثتها قد وردت في مستوى واحد من اللغة، و هو القرآن الكريم
- التقارب الدلالي: و يتحقق ذلك حين تتقارب المعاني، لكن يختلف كل لفظ عن الآخر بملمح هام واحد على الأقل، و يمكن التمثيل له من العربية بكلمتي "حلم" و رؤيا.
- الاستلزام: و هو قضية الترتب و يمكن التمثيل له بـــ: إذا قلنا قام محمد من فراشه الساعة العاشرة فإن هذا يستلزم: كان محمد في فراشه قبل العاشرة مباشرة.
- استخدام التعبير المماثل، أو الجمل المترادفة، و ذلك حين تمتلك جملتان نفس المعنى في اللغة الواحدة إما عن طريق التحويل مثل: دخل محمد الحجرة ببطء أو ببطء دخل محمد الحجرة. أو عن طريق التبديل أو العكس مثل: اشتريت من محمد آلة كاتبة أو باع لي محمد آلة كاتبة، أو الترجمة أو التفسير.

و بالتالي تظهر أهمية هذه التعاريف و هذه الفروقات الدقيقة بين هذه المصطلحات في ضبطها لاستخدامات الألفاظ من خلال اهتمامها بالمعنى المقصود.

و هذه الأنواع و الفروقات الدقيقة ما وظفه أحمد مختار عمر ليثبت انتفاء الترادف في أسماء الله الحسنى – كما سبق ذكره –

و بالتالي فقد أخذ أحمد مختار عمر من الدراسات العربية في هذا المجال و من الدراسات الغربية ليقدم دراسة وافية دقيقة حول المعاني في اللغة العربية بعامة و في لغة القرآن بصفة خاصة.

*: يناقش بعد ذلك أحمد مختار عمر قضية الترادف الكامل و يعرض الكثير من الآراء الغربية فيها و التي تكاد تجمع، أو تجمع على أنه لا يوجد ترادف كامل في أي لغة و هي النتيجة التي يراها أحمد مختار عمر.

و عموما بالنسبة للدراسات الغربية يمكن القول بأن جهود أحمد مختار عمر في مجال علم الدلالة هي أولا تبسيط و تقريب لهذه المعرفة من القارئ العربي، و هي في الآن نفسه مجموعة من المفاهيم التي حاول أن يقارن بينها و بين ما ورد في التراث العربي القديم لينتقي الأصلح و الأسلم لتطبيقه في دراسة نصوص العربية.

و كخلاصة لهذا الفصل يمكن القول بأن مجال الدلالة أو المستوى الدلالي نال حظا وافرا من الدراسة في التراث العربي، و إن لم تعرض مباحثه بهذه المصطلحات التي عرفها حديثا، و كذلك نال حظه من الدراسة في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

أما بالنسبة لموقف أحمد مختار عمر من هذه الدراسات الدلالية فيمكن القول بأنه كان قارئا للتراث العربي من خلال اهتمامه بمجموعة من القضايا الدلالية الواردة فيه كالاشتراك اللفظي و التضاد و الترادف.

و من ناحية أخرى قدم للقارئ العربي مفاهيم علم الدلالة الغربي و حاول تقريبها إليه كون هذه المفاهيم تتسم بشيء من الجدة و العلمية و الدقة في معالجة القضايا و مثال ذلك موقفه من ظاهرة الترادف.

و في النهاية قدم احمد مختار عمر بالاعتماد على نتائج الدرسين التراثي العربي القديم و الغربي الحديث دراسات دلالية حول النصوص العربية – خاصة النص القرآني الكريم –

عناصر الفصل الرابـــع

المبحث الأول: المعجم في التراث العربي.

المبحث الثاني: المعجم في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

المبحث الثالث: المعجم في كتابات أحمد مختار عمر.

تمهيـــد:

يشكل المعجم أداة تواصلية هامة بين القارئ و المستجدات الحضارية و العلمية و اللغوية. قديما و حديثا في هذا العصر المتسارع الخطى في تطوره و تعقده و تشابكه. و يختلف منظور العلماء للمعجم و دوره و وظيفته باختلاف منهجهم و مشاربهم؛ فالمعجم يمثل عند بعضهم الهوية اللغوية و الثقافية و الحضارية للأمة، كما يمثل عند آخرين خزانة اللغة و دستورها الأعلى، و فيصل استعمالاتها، و عند بعض آخر هو أداة تربوية و عَقَدية يعكس أفكار الجهة المصدِّرة للمعجم، و مهما اختلف منظور الدارسين و الباحثين للمعجم فإن المتفق عليه هو أن المعجمات بأشكالها المختلفة أصبحت تشكل ضرورة في مختلف جوانب الحياة اللغوية و العلمية و الثقافية، خاصة في هذا العصر الذي إذا يتميز بالتفجر العلمي و الانفتاح العالمي.

و نظرا لأهمية هذا الموضوع – المعجم – فقد نال حظا وافرا من الدراسة في جانبيه النظري و التطبيقي قديما و حديثا.

المبحث الأول: المعجم في التراث العربي

اهتم العرب القدماء كثيرا بألفاظ اللغة و بدراسة معانيها لكن اهتمامات في كل المجالات لم تعرف المصطلحات الجديدة التي جاء بها علم اللغة الغربي، و لم تكن بالمنهجية التي عرفها كذلك، و مع هذا فإن الدراسات العربية القديمة قدمت مجهودات كبيرة في كل المجالات اللغوية لاسيما مجال المعجم من خلال جمعهم لألفاظ اللغة، و قد جرى جمع ألفاظ اللغة على مراحل أو أشكال لأن هذه الأشكال كانت متداخلة و متعاصرة، و ليست متعاقبة تحدها الفواصل الزمنية الثابتة.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة تدوين ألفاظ اللغة و تفسيرها بدون ترتيب **(1)** فقد كانت الغرابة في الألفاظ و دلالتها عاملا من العوامل التي دفعت و شجعت الدراسات الدينية و اللغوية إلى جمع اللغة و تنقيتها. و قد قامت المحاولة الأولى لتفسير غريب القرآن على يد ابن عباس، ثم تتابعت المحاولات أو الدراسات التي تقوم في مجملها على خدمة النص القرآني. و أول من ألف كتابا في غريب القرآن أبو سعيد أبان بن تغلب بن رياح البكري [141هـ]. ثم ألفت بعد ذلك كتب تتناول غريب القرآن تحت مسميـــات مختلفة، مثل: مجاز القرآن، و المشكل في القرآن **(2)**.

أما التأليف في غريب الحديث فأول كتاب في هذا المجال كان "غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم الهروي [224هـ] **(3)**.

كما أخذ بعض الرواة يدونون هذا التراث اللغوي في رسائل متفرقة تمتاز بغناها، كما تمتاز بطابعها الابتدائي العفوي البعيد عن التنسيق و الترتيب، و ظهر ذلك في كتب "النوادر" ككتاب "النوادر في اللغة" لأبي زيد الأنصاري [ت215هـ]، و الأصمعي [ت216هـ]، و ابن السكيت [ت244هـ] **(4)**.

---

(1): ينظر: أمجد الطرابلسي: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، دمشق، 1954، ص: 11-12.

(2): ينظر: أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة، ص: 7-28.

(3): المرجع نفسه، ص: 08.

(4): ينظر: أمجد الطرابلسي: حركة التأليف عند العرب، ص: 12.

و هكذا بدأ العرب نشاطهم اللغوي بتفسير غريب القرآن، و غريب الحديث، و غريب ما ورد في الشعر و نوادره. و عندما شرع العلماء في التأليف المعجمي استمدوا أغلبية التعريفات من هذه الشروح الأولية لغريب القرآن و الشعر و الحديث و الشعر، و المفردات الخاصة.

و هكذا كانت المعاجم العربية المبكرة تسجل و تدرس الكلمات الغريبة التي كانت في مرحلة مبكرة. و ذلك في القرنين الأول و الثاني الهجريين.

و في مرحلة أخرى ظهرت المعاجم أو الرسائل و الوريقات التي جمعت الألفاظ المختصة بموضوع واحد كالحيوان و النبات و الشجر، و غيرها. و أول من ألّف في الخيل و خلق الإنسان أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابي [105هـ] صاحب النوادر، و أحد شيوخ الخليل بن أحمد، و أول من ألف في الحشرات أبو خيرة الأعرابي [157هـ] الذي روى عنه أبو عمرو بن العلاء. و لأبي عمرو الشيباني [206هـ] كتاب النحل و العسل، و للأصمعي [216هـ] رسائل في "الخيل" و "الشاء"، و "الإبل"، و "الوحوش" و "خلق الإنسان"، و "النبـات و الشجر"، و للنظر بن شميل [216هـ] كتاب "خلق الفرس"، و لابن الأعرابي [231هـ] كتاب "الذئاب"، و لأبي نصر بن حاتم [231هـ] "الجراد"، و ما أكثر ما ألف في ذلك. **(1)**

كما ظهر ضمن هذا المنهج تخصيص رسائل خاصة بموضوع معين، كرسائل كتبت في الأصوات و المسائل الصرفية. من ذلك رسائل جمعت فيها الألفاظ لا بحسب المعاني، بل تبعا لأحد أصولها، و هي تحمل عادة اسم الحرف الذي يجمع بين هذه الأصول، و أشهر هذه الكتب كتاب "الهمز" لأبي زيد الأنصاري، و كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني.

و هناك نمط آخر من هذه الرسائل جمعت فيها الألفاظ التي تربط بينها رابطة المعاني أو الحروف. من ذلك مثلا الكتب التي ألفت في الأضداد، و قد جمعت فيها الألفاظ التي يستعمل كل منها للدلالة على الشيء و ضده، و من ذلك أيضا ما ألف في مثلث الكلام رسائل عديدة جمعت فيها الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة، و أشهر ما ألف في هذا الباب مثلثات قطرب [206هـ]، و من ذلك أيضا الرسائل التي جمعت فيها الأفعال ذات الاشتقاق الواحد ككتاب "فعل أفعل" لقطرب، و كتاب "فعلت و أفعلت" للزجاج [311هـ]

---

(1): ينظر: محمد سليمان الأشقر: الفهرسة الهجائية و الترتيب المعجمي، دار البحوث العلمية، بيروت، 1972، ص: 44، 45.

و مجموعة أخرى اهتمت بمسائل صرفية مثل التذكير و التأنيث و غيرها. **(1)**

و عموما فإن أغلبية هذه الرسائل ألفت في ألفاظ الحيوانات و الشجر و غيرها من ملامح بيئة العربي لأنها تعكس هذه البيئة. و لأن العربي أراد أن يحافظ على لغته من خلال هذه المعاجم "إذ أن اللغة بالنسبة لأصحابها نصف الحياة و أداة التعبير، إن جمدت بيئتها جمدت معها الحضارة، و حضارة العرب معارف و فن و أدب، فالرسائل اللغوية تعطي أكبر دلالة على مدى انتماء العربي إلى وطنه، لأنها في أغلب مادتها تعرض للحيوان كالخيل و الإبل" **(2)**

و عموما يمكن حصر الذين صنفوا الرسائل اللغوية من خلال الجداول التالية:

1- أشهر ما صنف في الحيوان: الإنسان – الفرس – الخيل – الإبل. **(3)**

---

(1): ينظر: أمجد الطرابلسي: حركة التأليف عند العرب، ص: 16-17.

(2): حمدان حسين محمد: التفكير اللغوي الدلالي و تحديات الغزو الثقافي الغربي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 2002، ص: 138.

(3): ينظر: المرجع نفسه، ص: 141.

العصر	الشهرة	اسم المؤلف	الوفاة	أشهر مصنفاته
القرن الثاني الهجري	ابن كركرة الأعرابي	أبو مالك عمرو بن كركرة	155هـ	خلق الإنسان – الخيل
	الحرمازي	أبو علي الحسن بن علي	-	خلق الإنسان
	العكلي	أبو ثروان العكلي	-	خلق الإنسان – خلق الفرس
القرن الثالث الهجري	صاحب الكسائي	نصر بن يوسف	200هـ	خلق الإنسان – الإبل
	الكلابي	أبو زياد يزيد بن عبد الله بن الحر	200هـ	خلق الإنسان – الإبل
	النضر بن شميل	أبو الحسن النضر بن شميل	203هـ	خلق الإنسان – الفرس
	الكلبي	أبو منذر هشام بن محمد السائب	304هـ	الخيل
	أبو عمرو الشيباني	إسحاق بن مراد	206هـ	خلق الإنسان – الإبل – الخيل
	قطرب	أبو علي محمد بن المستنير	206هـ	خلق الإنسان – خلق الفرس
	أبو عبيدة	معمر بن المثنى	210هـ	خلق الإنسان – الإبل – الخيل
	أبو زيد الأنصاري	سعيد بن أوس بن ثابت	215هـ	خلق الإنسان – الإبل – الماعز و الغنم
	الأصمعي	أبو سعيد عبد الملك بن قريب	216هـ	خلق الفرس - خلق الإنسان
	الكرنبائي	أبو علي هشام بن إبراهيم الأنصاري	-	الخيل – الإبل – الشاء
	الرياني	أبو الحسن علي بن عبيدة	219هـ	خلق الفرس
	الضرير	أبو عثمان سعدان بن المبارك	220هـ	خلق الفرس

العصر	الشهرة	اسم المؤلف	الوفاة	أشهر مصنفاته
القرن الثالث الهجري	ابن سلام	أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي	224هـ	خلق الإنسان
	ابن زياد الأعرابي	أبو عبد الله محمد بن زياد	230هـ	خلق الإنسان – الخيل
	الباهلي	أبو نصر أحمد بن حاتم	231هـ	الخيل – الإبل
	ابن السكيت	أبو يوسف يعقوب بن إسحاق	244هـ	خلق الإنسان – الإبل
	أبو جعفر	محمد بن حبيب	245هـ	خلق الإنسان
	أبو محلم	محمد بن هشام بن عوف السعدي	245هـ	خلق الإنسان
	ثابت بن أبي ثابت	أبو محمد الكوفي	250هـ	خلق الإنسان
	السجستاني	أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان	255هـ	خلق الإنسان – خلق الفرس – الإبل
	الرياشي	أبو الفضل العباسي بن الفرج	257هـ	الإبل
	ابن قتيبة	أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري	276هـ	خلق الإنسان
	الضبي	أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم	290هـ	خلق الإنسان

أشهر ما صنف في الوحوش – الحشرات – الحيات و العقارب – و ذوات الجناح **(1)**

العصر	الشهرة	اسم المؤلف	الوفاة	أشهر مصنفاته
القرن الثاني الهجري	أبو خيرة	نهشل بن زيد العدوي الأعرابي	157هـ	الحشرات
القرن الثالث الهجري	قطرب	محمد بن المستنير	206هـ	الوحوش
	أبو عبيدة	معمر بن المثنى	210هـ	الحيات و العقارب
	الأصمعي	عبد الملك بن قريب	216هـ	الوحوش – الحشرات و النحلة
	ابن السكيت	يعقوب بن إسحاق	244هـ	الوحوش – الحشرات
	السجستاني	أبو حاتم سهل بن محمد	255هـ	الوحوش – الحشرات – الطير - الجراد

(1): ينظر: حمدان حسين محمد: التفكير اللغوي الدلالي و تحديات الغزو الثقافي الغربي، ص: 143.

أشهر المصنفين في الفَرْق – النبات و الشجر **(1)**

العصر	الشهرة	اسم المؤلف	الوفاة	أشهر مصنفاته
القرن الثالث الهجري	قطرب	محمد بن المستنير	206هـ	الفرق
	أبو عبيدة	معمر بن المثنى	210هـ	الفرق
	أبو زيد الأنصاري	سعيد بن أوس	215هـ	الفرق – النبات و الشجر
	الأصمعي	عبد المملك بن قريب	216هـ	الفرق – النبات و الشجر
	الباهلي	أحمد بن حاتم	231هـ	النبات و الشجر
	ابن السكيت	يعقوب بن إسحاق	244هـ	الفرق – النبات و الشجر
	ثابت بن أبي ثابت	أبو ثابت بن أبي ثابت عبد العزيز اللغوي	250هـ	الفرق
	السجستاني	أبو حاتم سهل بن محمد	255هـ	الفرق – النبات و الشجر
	الدنيوري	أبو حنيفة أحمد بن داوود بن ونند	282هـ	النبات

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 144.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة وضع المعاجم العامة الشاملة المنظمة، و هي مرحلة تمتاز بجمع اللغة كلها في كتاب واحد، أو حرف من الحروف، فهنا سعت المعاجم إلى تدوين اللغة بجميع ما ضمت من مفردات و أصول.

و كانت هذه البداية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي [175هـ] في معجمه "العين"، حيث ارتقت معه الصناعة المعجمية و أثمرت؛ فقد هدفت المعاجم العربية هنا إلى تدوين المفردات الكاملة للغة، و ذلك نتيجة قلق المعجميين من غزارة إنتاج اللغة، ففكر الخليل في طريقة رياضية لحفظها **(1)**. فرتب الألفاظ ترتيبا صوتيا بحسب مخارج الحروف مع مراعاة أوائل الأصول، ثم تتابعت المعاجم و تنوعت في الترتيب؛ فرتبت إما بحسب المعنى، و إما بحسب الألفاظ. فمعاجم المعاني التي بدأت على شكل رسائل مختصة بموضـــوع معين، قد تطـــورت و تضخمت، بحيث جمعت تلك المواد بمختلف مواضيعها و رتبت في مؤلفات خاصة حملت عناوين مختلفة مثل: "الغريب المصنف" في غريب الحديث لأبي عبيد القاســم بن سلام [224هـ] و هو أول من صنف في هذا الفن، و "التلخيص في معرفة أسماء الأشياء" لأبي هلال العسكري [395هـ]، و له أيضا "المعجم في بقية الأشياء"، و هناك المخصص لابن سيده الأندلسي [458هـ] **(2)**

أما معاجم الألفاظ، فقد رتبت بطرق متنوعة منها:

طريقة الترتيب الصوتي؛ حيث سار على نهج الخليل مع بعض الاختلافات الطفيفة مثل: أبو منصور الأزهري [370هـ] في "تهذيب اللغة"، و الصاحب بن عباد [385هـ] في "المحيط"

و الترتيب بحسب الأبنية، مثل "ديوان الأدب" للفارابي [350هـ]

و الترتيب الألفبائي الذي يقسم إلى نوعين: الترتيب بحسب أوائل الكلمات بعد التجريد، مثل "الجيم" لأبي عمرو الشيباني [206هـ]، و "أساس البلاغة" للزمخشري [538هـ]، و "المصباح المنير" للفيومي [770هـ].

و النوع الثاني من الترتيب الألفبائي هو الترتيب بحسب أواخر الكلمات الذي يقسم إلى نوعين هما: الترتيب بحسب أواخر الكلمات بعد التجريد مثل: "الصحاح" للجوهري [393هـ] و "لسان العرب" لابن منظور [711هـ]، و "القاموس المحيط" للفيروز أبادي [817هـ] و هذا النـــوع

---

(1): ينظر: أمجد الطرابلسي: حركة التأليف عند العرب، ص: 02

(2): ينظر: إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط4، 1980، ص: 231.

يشمل المعاجم العربية الكبرى، و النوع الثاني هو الترتيب بحسب أواخر الكلمات من غير تجريد، مثل: "التقفية في اللغة" لأبي بشر اليماني بن اليمان البندنيجي [284هـ] **(1)**

و فيما يلي بعض الجداول التي تبين أشهر اللغويين الذين ساهموا في بناء المعجم العربي الموضوعي **(2)**

1- أشهر المشتركين في بناء المعجم الذي اعتمد على الموضوعات و معاني الكلمات باسم الصفات.

العصر	الشهرة	الاسم بالكامل	الوفاة	المعجم
القرن الثاني الهجري	أبو خيرة	نهشل بن زيد العدوي الأعرابي	157هـ	كتاب الصفات
القرن الثالث الهجري	النضر	أبو الحسن النضر بن شميل المازني	203هـ	كتاب الصفات
	قطرب	أبو علي محمد بن المستنير	206هـ	كتاب الصفات
	أبو زيد	سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري	215هـ	كتاب الصفات
	الأصمعي	أبو سعيد عبد الملك بن قريب	216هـ	كتاب الصفات
	بكلذة	أبو علي الحسن بن عبد الله	-	كتاب الصفات
	الأصفهاني	أبو محمد القاسم بن محمد الديمراتي	-	كتاب الصفات

(1): ينظر: - المرجع السابق نفسه، ص: 229-130-131.

- أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص: 37.

(2): ينظر:حمدان حسين محمد: التفكير اللغوي الدلالي و تحديات الغزو الثقافي الغربي، ص: 168-169-170-171.

2- أشهر المشتركين في بناء المعجم الذي اعتمد على الموضوعات و معاني الكلمات باسم الغريب.

العصر	الشهرة	الاسم بالكامل	الوفاة	المعجم
القرن الثاني الهجري	المسعودي	أبو عبد الله القاسم بن معدن بن عبد الرحمن	157هـ	غريب المصنف
القرن الثالث الهجري	أبو عمرو الشيباني قطرب أبو عبيدة ابن سلام أبو مسحل	- إسحاق بن مرار - أبو علي محمد بن المستنير - معمر بن المثنى - أبو عبيدة بن سلام الهروي - عبد الوهاب بن حريش الأعرابي	206هـ 206هـ 210هـ 224هـ -	غريب المصنف الغريب المصنف في اللغة المصنف الغريب المصنف الغريب
القرن الرابع الهجري	ابن شجرة	أبو بكر أحمد بن كامل	350هـ	التقريب في كشف الغريب

3- أشهر المشتركين في بناء المعجم الذي اعتمد على الموضوعات و معاني الكلمات باسم الألفاظ.

العصر	الشهرة	الاسم بالكامل	الوفاة	المعجم
القرن الثاني الهجري	الضبي	أبو العباس بن محمد بن يعلى بن عامر	168هـ	الألفاظ
القرن الثالث الهجري	الأصمعي	أبو سعيد عبد الملك بن قريب	216هـ	الألفاظ
	العتابي	أبو عمرو كلثوم بن عمرو ابن أيوب التغلبي	220هـ	الألفاظ
	ابن زياد الأعرابي	أبو عبد الله محمد	231هـ	الألفاظ
	ابن السكيت	أبو يوسف يعقوب بن إسحاق	244هـ	الألفاظ
	أبو الوليد	عبد الملك بن قطن المهري القيرواني	256هـ	الألفاظ
القرن الرابع الهجري	الهمذاني	أبو الحسن عبد الرحمن بن عيسى بن حماد	320هـ	الألفاظ الكتابية
	قدامة	أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي	337هـ	جواهر الألفاظ
	ابن فارس	أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي	395هـ	متخير الألفاظ
القرن الخامس الهجري	المرزباني	أبو نصر سهل بن المرزباني	420هـ	الألفاظ

4- أشهر المشتركين في بناء المعجم الذي اعتمد على الموضوعات و معاني الكلمات باسم بأسماء متفرقة.

العصر	الشهرة	الاسم بالكامل	الوفاة	المعجم
القرن الرابع الهجري	ابن أبان	أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد الإشبيلي	382هـ	العالم في اللغة
القرن الخامس الهجري	الاسكافي	أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب	421هـ	مبادئ اللغة
	الثعالبي	أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل	429هـ	فقه اللغة و سر العربية
	ابن سيده	أبو الحسن علي بن أحمد المرسي	458هـ	المخصص
	ابن الأجدابي	أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد	470هـ	كفاية المتحفظ
	الربعي	عيسى بن إبراهيم بن محمد الربعي الوحاظي	480هـ	نظام الغريب

و هكذا مرت المعاجم العربية القديمة بمراحل عدة، عرفت من خلالها أنواعا مختلفة من التنسيق و التبويب. فلم تكن المعاجم العربية مجرد مجموعات من الكلمات أو مقاطع رتبت بطرق اعتباطية، بل إن العرب طوروا المعاجم وفق أنظمة لغوية محكمة.

و سنتطرق إلى قضايا أخرى تفصيلية حول المعجم العربي في مناقشة موقف أحمد مختار عمر من التراث المعجمي العربي.

المبحث الثاني: المعجم في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة

بعد الحديث عن المحاولات المعجمية في التراث العربي، نحاول أن نتعرف على إسهامات الدراسات اللسانية الغربية الحديثة في هذا المجال – مجال المعجم –

تميزت المدارس اللسانية الغربية الحديثة باختلاف اتجاهاتها و مناهجها في البحث و كذا تنوع القضايا التي دار حولها البحث بين الاهتمام بالصوت أو المعنى، أو الجملة، ... و غيرها.

لكن بالنسبة للمعجم فيلاحظ أنه لم ينل ما نالته القضايا اللغوية الأخـرى من الدراسـة و الاهتمام باستثناء بعض المحاولات القليلة التي يمكن أن تمس مجال العمل المعجمي أو المعجم مثل:

- **نظرية الحقول الدلاليـة:** التي تبلورت في العشرينيات و الثلاثينيات من القرن العشرين، و طورها عدد من الباحثين في ألمانيا و أمريكا أهمهم "ترير" " Trier" و "نيدا" "Nida".

و قد قامت هذه النظرية على أساس مجموعة كلمات ترتبط دلالتها، و توضع عادة تحت لفظ عام يجمعها؛ فمبدؤها التقابل، فالكلمة لا تتحدد قيمتها الدلالية في نفسها، و لكنها تتحدد بالنسبة إلى موقعها داخل المجال الدلالي **(1)**

- **المنهج السياقي أو المنهج العملي:** الذي تزعمه فيرث الذي أكد على الوظيفة الاجتماعية للغة؛ فقد وضع فيرث أصول نظريته التي أصبح السياق فيها يمثل حقلا من العلاقات الداخلية و الخارجية، فالمعنى عنده – كما سبق ذكره – كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية. و أهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية ثم الصرفية، ثم النحوية، فالقاموسية، و الوظيفة الدلالية لـ"سياق الحال" التي تتألف من شخصية المتكلم، و شخصية السامع و الظروف المحيطة بهما، و بيان نوع الوظيفة الكلامية، و الأثر الذي يتركه **(2)**

فقد استخدم فيرث مجموعة العناصر اللغوية و العناصر غير اللغوية لتحديد المعاني.

- **النظرية التحليلية:** ظهرت عام 1963 على يد "كاتز Katz" و "فودور Fodor"، و قد عد بعضهم هذه النظرية امتدادا لنظرية الحقول الدلالية؛ إذ يبدأ القيام بهذا التحليل بعد أن ينتهي تحديد الحقول الدلالية، و حشد الكلمات داخل كل حقل، فلكي يتبين معنى كل كلمة

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 79.

(2): ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 31 و ما بعدها.

و علاقة كل منها بالأخرى، يقوم الباحث باستخلاص أهم الملامح التي تجمع كلمات الحقل من ناحية، و تميز بين أفراده من ناحية أخرى. و قد لاحظ أتباع هذه النظرية أن هناك مجموعات من التصنيفات الدلالية العالمية مثل: حي، و غير حي، و حسي، و معنوي، و بشري، و غير بشري، و غير ذلك و منها يمكن أن تأخذ كل لغة تقسيماتها الجزئية الأخرى. فيقوم هذا التصنيف على أساس تقسيم كل معنى من معاني الكلمات إلى سلسلة من العناصر الأولية مرتبة بطريقة تسمح لها بأن تتقدم من العام إلى الخاص، و كل معنى للكلمة يحدد عن طرق تتبع الخط من "المحدد اللغوي" إلى "المحدد الدلالي" إلى "المميز" **(1)**، و كان لهذه النظرية دور في تطوير الدلالة التركيبية.

هذه أهم المدارس اللغوية الحديثة التي تركت آثارا في تطور بعض جوانب الحركة المعجمية، إلاّ أنه يلاحظ أنه على الرغم من التنوع الكبير في المناهج اللسانية، لم تؤثر هذه النظريات و المدارس في الحركة المعجمية إلاّ في نطاق محدود، و يعود ذلك إلى اختلاف مواقف كل من المعجميين و اللغويين تجاه مجال الآخر.

فمن جهة المعجميين، يلاحظ أنه على الرغم من إفادة المعجم من بعض إنجازات علم اللغة، إلا أن المعجميين لا يقتنعون بمكانة النظرية اللغوية في مجالهم، فيعدّون دراسة المعجم من أ'وص الدراسات التي تواجهها اللسانيات التي لم توفــق تماما في وضع أسس نظريـــــة و منهجية توفر له أسباب الانتساب إليها، و إلى مقاربتها و نظرياتها **(2)**، فيزعم المعجميون أن الصناعة المعجمية ليست علما، بل هي فن لا يمكن أ، يتقيد بالطرائق الموضوعية التي يتبعها علم اللغة الحديث **(3)**، "فيعدون المعجم مجرد حرفة و مهارة لا تنتسب إلا قليلا إلى اللسانيات، على ما في مادة المعجم من جدل لغوي، و مقاربات لسانية" **(4)**

أما عن أسباب هذه الفجوة التي خلقها المعجميون تجاه النظريات اللغوية، فيمكن تلخيصها في: **(5)**

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 114-115.

(2): ينظر: محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1986، ص: 169.

(3): ينظر: علي القاسمي: علم اللغة و صناعة المعجم الحديث، جامعة الرياض، 1975، ص: 05.

(4): محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي، ص: 169.

(5): ينظر: - المرجع نفسه، ص: 40.

- علي القاسمي: علم اللغة و صناعة المعجم، ص: 05.

- لم يعن مؤلفو المعاجم قديما بالنظريات بقدر ما عنوا بالتطبيقات.
- أما في العصر الحديث فقد بقيت الحركة المعجمية يقودها الاقتناع و التقليد، و كانت في أغلب الأحيان مشروعات تجارية أكثر منها منجزات أكاديمية، و تتوق أفضل المعاجم التجارية إلى الإجابة عن أسئلة القراء التقليدية، و لم يبذل المعجميون التجاريون جهودا مخلصة للإلمام بالنظريات اللغوية، و تطبيقاتها في معاجمهم لأن ذلك يكلف ثمنا باهضا، و يستغرق وقتا طويلا، إضافة إلى أنهم قد يجازفون بجهودهم، نظرا للتناقض بين طرائق البحث اللغوي و طلبات القراءة التقليدية.

و يشعر المعجميون بوجود هوة عميقة تفصل بين النظريات اللغوية التي تتصل بدراسة المعنى، و التي ظهرت حديثا، و التطبيقات المعجمية التي مازالت حتى الآن تعتمد تقاليد قديمة العهد، و ذلك على رغم إدراكهم أهمية الإطلاع على هذه النظريات الحديثة في علم الدلالة، لمعرفة طبيعة الدلالة اللغوية و وجهاتها المختلفة، إلاّ أنهم في الوقت نفسه يترددون كثيرا في الاعتماد على الأسس غير المؤكدة للدراسات الحديثة التي تدور حول المعنى، لأن هذه الدراسات أوسع بكثير من الحدود التي يعمل فيها المعجميون **(1)**.

أما عن موقف اللغويين من الصناعة المعجمية، فقد أهمل المعجم في دراسات بعضهم نتيجة موقف بعض النظريات اللغوية منها، فالمدرسة البنيوية التي بدأها دي سوسير كان اهتمامها الكبير بالصوتيات مما أدى بها إلى إغفال المعجم **(2)** أما المدرسة التوزيعية التي هيمنت على المسرح اللغوي في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف القرن العشرين، فكانت تنظر إلى المعجم على أنه ملحق للنحو و الصوتيات، و أنه قائمة من الاستثناءات الأساسية **(3)** فاستهانت بقضايا المعجم لأنها وضعت على بساط البحث قضية المعنى العويصة، فالمعنى بحسب رأي البنيوية التوزيعية من خصائص علم النفس و السلوك أو العلوم الوضعية. و لما كانت هذه المدرســة تدعو إلى الوصفية و حســب، فإنها ترى أن مسألة المعاني و المقابــلات

---

(1): ينظر: محمود سليمان ياقوت: معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 1994، ص: 331.

(2): ينظر: محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي في القرن العشرين، مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ج53، 1984، ص: 26.

(3): ينظر: علي القاسمي: علم اللغة و صناعة المعجم، ص: 05.

الدلالية ليست من اهتماماتها و لا من اهتمامات اللسانيات **(1)**

و هكذا مال البنيويون الأمريكيون المتأثرون ببولومفيلد إلى تجاهل دراسة المعجم لأنه – في نظرهم – يعالج مفردات توصف بأنها غير تركيبية، أو يبدو التسيب في تركيبتهـــا على الأقل **(2)**

و كذلك الحال عند التوزيعيين الذين عدّو الوضع أو الحال هو الذي يحدد المعنى و يعرفـــه و من هنا يبدو لنا أنّ علم الدلالة مرفوض من حيث كونه أداة تواصلية لمعرفة بنى اللغة أولا، و طريقة تحليلها ثاني، فيتبين أن المعاني ليست هي المرفوضة هنا، أو المنكرة، بل إمكانية بناء التحليل على أساس معنوي و حسب، لأن المعنى لا يتسرب في عملية التحليل و لا يتدخل إلا بوصفها تقنية تتعرف بها على البيانات المتتالية. **(3)**

إلاّ أن فيرث قال بأن المعنى يشكل قلب الدراسة اللغوية و يعدها نشاطا ذا معنى لكن سطوة المدرسة الشكلية الأمريكية كانت تحول دون ظهور عمق التحليل النحوي و واقعيته من حيث ارتباطه بالمعنى سواء عند فيرث أو عند غيره **(4)**

ثم جاءت المدرسة التوليدية التحويلية فاهتمت أولا بالنحو و قضاياه، ثم خصصت عنايتها بقضية التعريف بالمعجم – مستفيدة في ذلك من بعض أسس المنهج التحليلي – فركزته على ثلاثة عناصر: الصوتيات، و النحو و الدلالة. فرأت أن دراسة هذه البنية تحتاج إلى فهم العلاقات داخلها، لا من حيث هي وظائف و أشكال على المستوى التركيبي، بل علها علاقات تصورية و إدراكية يؤدي العقل الإنساني دورا واضحا فيها، من حيث تقدير محذوفات لا تظهر على البنية السطحية **(5)**

و إلى جانب هذه المواقف المتناقضة من المعجم، هناك أسباب أخرى لهذه الفجوة تتعلق بالحركة اللغوية نفسها. إذ يواجه المعجمي صعوبات إذا أراد التقيد بالمبادئ اللغوية، منها التغير

---

(1): ينظر: محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي في القرن العشرين، ج53، ص: 262.

(2): ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 65.

(3): ينظر: المرجع نفسه، ص: 65-66.

(4): حلمي خليل: العربية و علم اللغة البنيوي، ص: 213.

(5): المرجع نفسه، ص: 180.

السريع في المسرح اللغوي، حيث كانت تظهر في الحقبة نفسها مدارس لغوية عدة، كما أن بعض هذه المداري كانت تتعرض للتعديل و التطور، و قد يستغرق عمل المعجم عشر سنوات و أكثر ليكشف في النهاية أن النظرية التي طبقها أصبحت قديمة و مهملة قبل أن ينشر معجمه إلى جانب اختلاف اللغويين فيما بينهم في المدرسة الفكرية الواحدة على كيفية معالجة المشكلة ذاتها. **(1)**

و دعا بعض اللغويين مؤخرا إلى ضرورة إعانة المعجمي على هضم النظريات اللغوية لإنتاج معاجم أفضل **(2)** و قد أدرك بعض اللغويين المحدثين أن ثمة نظريات لغوية عامة كثيرة ليست جميعها على السواء في صلاحيتها للتطبيق العلمي. كما أدركوا أن هذا سبب رئيسي لأن يحتفظوا في أذهانهم بوجهي علم اللغة، هما: "علم اللغة النظري" و "علم اللغة التطبيقي"، و عدّ علماء اللغة مؤخرا صناعة المعجم "Lexicolography" من فروع علم اللغة التطبيقي، لأنه يهتم بالجانب العلمي للغة، إلى جانب فروع اللسانيات التطبيقية الأخرى مثل: المصطلحية، تعليم اللغات، علم اللغة الاجتماعي، ...

و مع الاتفاق العام على هذا التقسيم لعلم اللغة، لم يكن من السهولة بمكان تحديد معالم أي من الاتجاهين تحديدا دقيقا، لأن ما يعده بعضهم نظريا يراه الآخرون تطبيقا و العكس **(3)**.

و هذا ما نلمسه بين مصطلحات هذا المجال حيث يعبر Lexicology عن الجانب النظري لعلم المعاجم، و Lexicolography الجانب التطبيقي.

فمصطلح "Lexicology" يعرّف عموما بأنه فرع من فروع علم اللغة، يقوم بدراسة مفـــــردات أية لغة و تحليلها بالإضافـــة إلى دراسة معناها و دلالتها المعجميـــة بوجه خاص، و تصنيف هذه الألفاظ استعدادا لعمل المعجم **(4)**

---

(1): علي القاسمي: علم اللغة و صناعة المعجم، ص: 06 و ما يليها.

(2): المرجع نفسه، ص: 29.

(3): توفيق شاهين: علم اللغة العام، دار التضامن، القاهرة، مصر، 1980، ص: 29.

(4): محمود سليمان ياقوت: معاجم الموضوعات: ص: 332.

إلاّ أنه يلاحظ أن مفهوم Lexicology قد تطور مع تطور المناهج اللغوية؛ فسابقا ارتبط هذا المصطلح بالدراسات التاريخية، فعرف بأنه علم يهتم بدراسة المفـــردات من حيث اشتقاقهـــا و تطورها و دلالتها و مرادفاتها و تعدد معانيها **(1)** ثم استقل عن هذا العلم و توسع و أصبح يعرّف بأنه دراسة معاني الكلمات و المصطلحات التركيبية للكلمات، و قد جاء هذا التعريف تأثرا بالدراسات البنيوية الوصفية التي أبرزت خصوصية هذه التراكيب في اللغة. و هناك من رأى أن Lexicology يهدف إلى دراسة المعجم دراسة علمية يقدر ما يتطلب من معرفة نظرية تتعلق بتعريف الوحدات المعجمية أو المداخل، و بالانتساب إلى إحدى النظريات الدلالية، و ما لها من صلة بقضية المدلول العويصة **(2)** فهو إذا علم مجرد ينتسب إلى اللغة، و غايته دراسة جميع مظاهر اللغة، و بالمعجم خاصة دراسة لسانية نظرية **(3)**

إذا فدراسة الألفاظ قد تكون موضوع دراسة الصرف "Morphologie" أو المعنى Semantic و هما دراستان نظريتان، فتسمى الألفاظ "Lexicologie"، و قد يكون موضوع دراسة المعاجم و صناعتها و هي دراسة تطبيقية فتسمى المعاجم Lexigraphy، و في أغلب الحالات تتداخل الدراستان فتكمل إحداهما الأخرى **(4)**

أما مصطلح "Lexicography"، فيعني تأليف المعاجم، و قد تطور مفهومه و تغيّر؛ فسابقا كان ينظر إلى هذا المجال كفن لتأليف المعجم معتمدا في ذلك على أذواق المستهلكين، أما الآن فأصبح يعرف بأنه علم و ليس على أنه فن، معتمدا في ذلك على النظريات اللغوية من اجل تقديم معجم أفضل، فأصبح تقنية تعتمد مناهج مختلفة في جمع مادة اللغة و وضعها و ترتيبها، فأصبح يعرّف بأنه علم المعاجم التطبيقي الذي يختصّ بدراسة صناعة المعجم و الأسس التي يقوم عليها، و أنواع المعاجم، و يشتمل على خطوات أساسية هي: جمع المعلومات و الحقائق، و اختيار المداخل، و ترتيبها طبقا لنظام معين و كتابة المواد و إعداد الشروح، ثم نشر النتاج النهائي **(5)**

---

(1): محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص: 154.

(2): رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي، ص: 170.

(3): محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي في القرن العشرين، ص: 361.

(4): ينظر: توفيق شاهين: علم اللغة العام، ص: 30.

(5): ينظر: علي القاسمي: علم اللغة و صناعة المعجم، ص: 03

و هكذا أصبح المعجم صناعة تتعلق بجمع اللغة و وضعها، و وضع أسس تتصل باللغـــة و بمفرداتها المرتبطة بعلوم شتى منها: علم الدلالة، النحو، الصرف، ...

و عموما فقد ألفت بعض المعاجم التي اعتمدت على طرق مختلفة في الترتيب، و تشير الدراسات إلى بعض المعاجم في اللغة الإنجليزية و التي من بينها: **(1)**

- معاجم الترتيب الألفبائي حسب الأوائل، و هو النوع الشائع قديما و حديثا.
- معاجم الترتيب الألفبائي حسب الأواخر، و قد سميت معاجم القافية Rhyming dictionaries أو المعاجم العكسية Reverse dictionaries، و قد ارتبط هذا النوع باسم John Wolker في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حين اصدر معجما عام 1775 بعنوان: Dictionary of the English Language، و فيه رتب الكلمات بطريقة غير مسبوقة تبعا لنهاياتها في المقطع الأخير، ثم ظهرت منه طبعة ثانية عام 1806 تحت اسم ARhyming Dictionary و ظهرت طبعة معدلة منه عـــام 1865 و 1888، و أخرى معدلة و مزيدة عام 1924 من إعداد L.H.Dancson.

و الفائدة الأساسية لهذا النوع من المعاجم في اللغة الانجليزية إمكانية تحليل اللواحق (بما في ذلك النهايات التصريفية) و معرفة أيها أكثر شيوعا، و التحليل الاشتقاقي للغة مثل الانجليزية ذات الأصول الهجائية المعقدة، كما يمكن من خلاله تحليل الإملاء بالنسبة للكلمات التي تنتهي بصورة واحدة، و تنطق بطرق مختلفة و كذلك تضيف الكلمات ذات النهايات الواحدة، و يمكن الإفادة منه كذلك في اختيار نهايات أبيات الشعر.

- و وجدت المعاجم المرتبة على المعاني أو الموضوعات Subject_field dictionaries، و قد عرفت باسم "الذخيرة" أو "المكنز" منذ اصدر P.M.Rogetعام 1853 معجمه: Thesaurus of English Words and Phrases، و قريب من معاجم المعاني معاجم المترادفات مثل:
  - Longman Synonym Dictionary.
  - Webster’s New Dictionary of Synonyms.

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، ص: 38-39.

و كذلك معاجم الكلمات المتشابهة Dictionaries of Similar Words و التي تميز بين الكلمات المتشابهة أو المتقاربة التي يقع الخلط بينها.

هذا بالنسبة للمعاجم في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، و ستعالج في المبحث الموالي موقف أحمد مختار عمر من هذه الدراسات المعجمية.

المبحث الثالث: المعجم في كتابات أحمد مختار عمر

يعتبر مجال المعجـــم من أكثر المجالات التي اهتم بها أحمد مختار عـــمر تنظيـــرا و تأليفا و تحقيقا؛ حيث بدأ نشاطه المعجمي بتحقيقه لمعجم ديوان الأدب للفارابي، و هو البحث الذي قدمه لينال درجة الماجستير يقول: "... فاخترتهما موضوعا لرسالتي التي كان عنوانها "الفارابي اللغوي و دراسة معجمه ديوان الأدب"، و انتهيت من رسالتي عام 1962 و حصلت بها على درجة الماجستير بتقدير ممتاز" **(1)**

و من خلال هذا يتبين أن اهتمام أحمد مختار عمر بالمعاجم اهتمام قديم يعود إلى بداياته الأولى و جهوده في التأليف و البحث اللغوي عموما.

و ليس هذا هو التحقيق الوحيد إنما حقق أيضا بمعية ضاحي عبد الباقي المنجد في اللغة لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع و هو أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي، و قد نال هذا الكتاب جائزة مجمع اللغة العربية لتحقيق النصوص يقول المحققان: "و قد قررت اللجنة بإجماع الأصوات منح الجائزة لكتابنا "المنجد في اللغة" لأسباب فصلها كل عضو في تقريره" **(2)**

بالإضافة إلى جهود أخرى كثيرة في مجال المعجم تنوعت بين التأليف مثل: معجم اللغة العربية المعاصرة، معجم الصواب اللغوي، .... و التنظير مثل: صناعة المعجم الحديث الذي تناول فيه الطرق الإجرائية لصناعة المعجم، و كذلك حديثه في الفصل الرابع من الباب الثاني في كتابه البحث اللغوي عند العرب عن العمل المعجمي، و غيرها من الاهتمامات المعجمية.

---

(1): الفارابي (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي): ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للنشر، القاهرة، مصر، 1974، ج1، ص: ي (المقدمة).

(2): كراع (أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي): المنجد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2000، ص: 04.

و سنحاول فيما يلي أن نبين موقف أحمد مختار عمر من الدراسات التراثية العربية المعجمية، و كذلك من الدراسات الغربية الحديثة لنبيّن اتجاهات كتاباته المعجمية.

أولا: التراث العربي في كتابات أحمد مختار عمر المعجمية

تعددت و تنوعت طرق التأليف المعجمي عند العرب، فألفت الكثير من المعاجم التي شكلت ثروة هذه اللغة، و هذا ما جعل أحمد مختـــار عمر يشيد بالدراسات المعجمية العربية القديمـــة و يقيمتها حيث "لا تعرف أمة من الأمم في تاريخها القديم أو الحديث قد تفننت في أشكال معاجمها، في طرق تبويبها و ترتيبها كما فعل العرب. و قد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفذ كل الاحتمالات الممكنة. و قد كان العرب منطقيين حينما لاحظوا جانبي الكلمة، و هما اللفظ و المعنى، فرتبوا معاجمهم – إجمالا – إما على اللفظ، و إما على المعنى، و بهذا وجد قسمان رئيسيان هما:

- معاجم الألفاظ
- معاجم المعاني" **(1)**

ثم يبيّن أحمد مختار عمر تفرعات هذه الأنواع بقوله: "و قد كان مجال تنافسهم واضحا بالنسبة للقسم الأول حيث وجدت في داخله طرق متعددة بخلاف القسم الثاني حيث لم يوجد فيه إلا طريقة واحدة. و ما أظنهم كانوا سيكتفون بهذه الطريقة الواحدة لو أمكن – عقلا – الاهتداء إلى طريقة أخرى" **(2)**

فما ورد في الدراسات التراثية العربية من وجهة نظر أحمد مختار عمر أخذ في الحسبان كل الطرق الممكنة في الترتيب.

و قبل تفصيله في هذه الأنواع و دراسته للمعاجم التي ألفت فيها يلخصها أحمد مختار عمر في مخطط ليسهل على القارئ فهمها و حصرها كما يلي: **(3)**

---

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 175.

(2): المرجع نفسه، ص: 175.

(3): ينظر: المرجع نفسه، ص: 177.

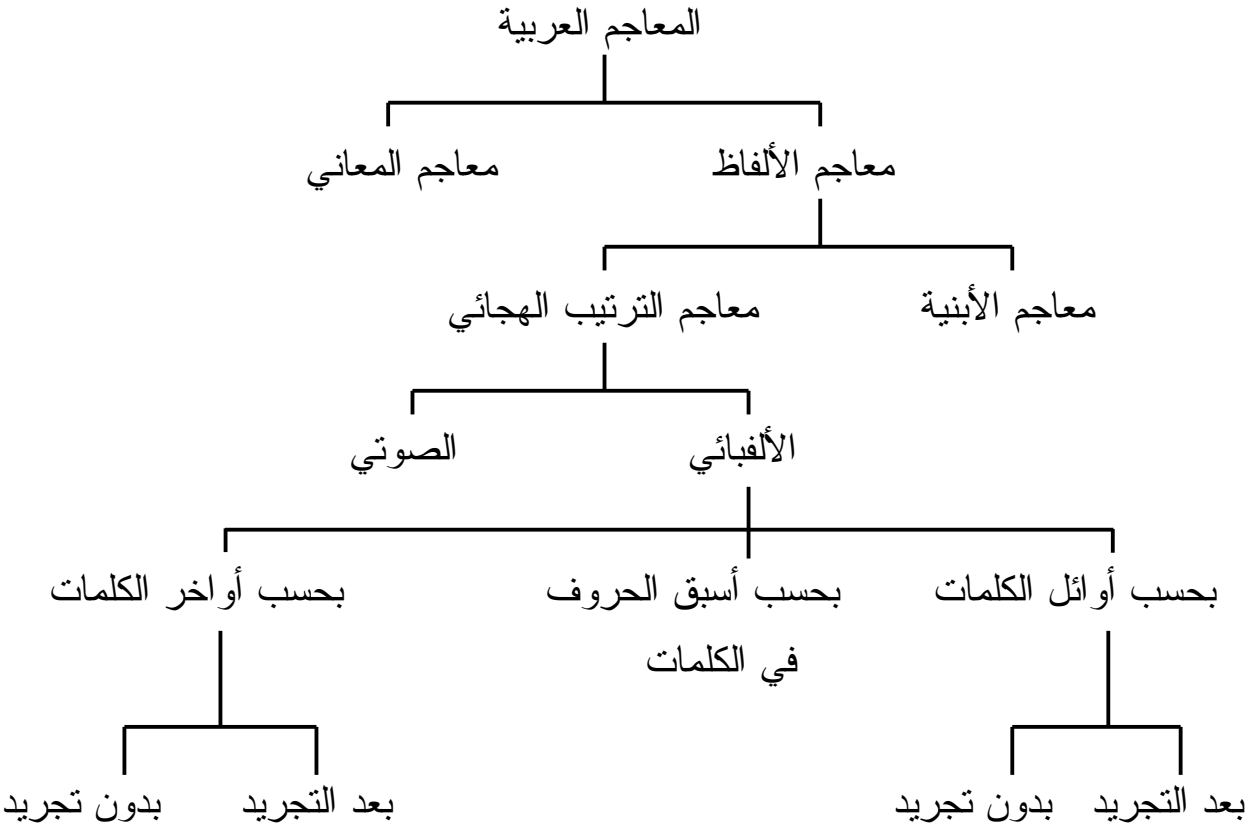

ناقش أحمد مختـــار عمر من خلال هذه الأنـــواع الكثير من المعاجم العربيـــة التراثيـــة و طريقتها في الترتيب، و كذلك المصطلحات التي تستخدمها، و من بين المعاجم التي ناقشها معجم العين للخليل بن أحمد القراهيدي؛ حيث يشرح كيفية حصول الخليل بن أحمد علي مادته بقوله "جمعها بطريقة منطقية رياضية، حيث لاحظ أن الكلمة العربية قد تكون ثنائية و قد تكون ثلاثية، و قد تكون رباعية و قد تكون خماسية. و في كل حالة إذا أمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها (بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه) و أمكن تقليب أماكن هذه الحروف إلى أوجهها الممكنة يكون الحاصل معجما يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية. و لكن لا توجد لغة تستخدم جميع إمكانياتها النظرية، و لهذا كان لابد للخليل بعد الإحصاء النظري أن يميز بين المستعمل من هذه الصور و المهمل" **(1)**

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 179.

و القضية الأهم تعليقه في الهامش على لفظ المستعمل عند الخليل؛ فيرى أن مفهومه مطابق لمفهوم المورفيم في الدراسات الغربية الحديثة يقول: "يكاد يتطابق مفهوم "المستعمل" عند الخليل مع مفهوم "المورفيم" عند المحدثين "المورفيم: أصغر وحدة ذات معنى"، أما مفهوم المهمل فيشمل ما يسمى بالمصطلح الحديث "مورف" و يشمل غيره. و ذلك لأن المهمل إذا كانت قوانين اللغة الصوتية تسمح به و لكن حدث بمحض الصدفة أن أهمل يسمى "مورفا" أما إذا كانت قوانين اللغة الصوتية لا تسمح به و لا يتصور أن يستخدم في وقت ما فلا يسمى "مورفا" و لكنه هو و "المورف" متداخلان في مفهوم الهمل عند الخليل" **(1)**

و من خلال هذا يظهر تعريف أحمد مختار عمر بهذا الجهد المعجمي العربي التراثي كما تظهر مقارنته بين مقولات الدراسات الغربية الحديثة، و مصطلحات الدراسات التراثية العربية.

كما ناقش أحمد مختار عمر تحت الأنـــواع الأخرى الكثير من المعاجم العربية التراثيـــة و تحدث أيضا عن طرق جمع مادتها اللغوية و ترتيبها، و القصد من ذلك هو التعريف بهذه المعاجم التراثية و بهذا التراث، و كذا مساعدة المتعلم على البحث عن معاني الألفاظ لأنه بعد الانتهاء من عرض معاجم كل نوع يقدم أيضا بعض النماذج للبحث عن الكلمات نحو:

البحث عن كلمة ربابة في معجم الجمهرة لابن دريد **(2)**

الجذر: ربب.

القسم: الثنائي.

الباب: الباء.

المادة: ب ر.

التقليبات: ب ر – ر ب

لأن ابن دريد رتب الكلمات تحت كل باب على الترتيب الهجائي العادي، و اتبع نظام التقليبات كالخليل بن أحمد الفراهيدي، و معنى هذا أننا لا نجد الكلمة تحت حرفها الأول، و إنما تحت أسبق حروفها في الترتيب الهجائي مهما كان مكان هذا الحرف.

---

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، هامش ص: 179.

(2): ينظر: المرجع نفسه، ص: 208.

و هذا ما ثبت القيمة الكبيرة للتراث المعجمي العربي بالنسبة لأحمد مختار عمر. لكن بالرغم من القيمة الكبيرة التي تمتلكها المعاجم التراثية العربية إلا أنه يمكن انتقادها في بعض القضايا التي يلخصها أحمد مختار عمر في: **(1)**

- أكبر عقبة تصادف الباحث في معاجمنا اللغوية عدم ترتيب المواد ترتيبا داخليا. ففيها خلط الأسماء بالأفعال، و الثلاثي بالرباعي، و المرد بالمزيد، و خلط المشتقات بعضها ببعض؛ ففي مادة "عرض" ذكر الجوهري المعارضة التي بمعنى المقابلة بعد المعارضة التي بمعنى المجانية بثلاثة و ثلاثين سطرا، و كذلك فعل الفيروز أبادي في مادة حب، فقد أورد في أولها: تحابوا أي أحب بعضهم بعضا، ثم قال بعد ستة و ثلاثين سطـــــرا: و التحاب التواد.

و لذلك كان على من يريد الكشف عن كلمة أن يراجع المادة كلها من أولها إلى آخـــــرها، و لا يتوقف عندها في مكان واحد، فربما تكرر ذكرها.

- كذلك يواجه الباحث في المعاجم العربية بعدم التزامها بالمنهج الذي وضعه المؤلف لنفسه مثل ما جاء في "ديوان الأدب" للفارابي من انه لن يذكر في المعجم المشتقات القياسيـــة، و مع ذلك نجد في المعجم ذكرا لفعال جمع فعل، و لفعّل جمع فاعل مثل نوم و نائـــــم و غيب و غائب.
- و من عيوبها كذلك وقوعها في بعض الأخطاء عند شرح المادة اللغوية. و قد الفت الكتب قديما و حديثا في التنبيه على هذه الأخطاء مثل: تصحيحات لسان العرب لأحمد تيمور، كما نشرت تصحيحات للسان العرب في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بقلم توفيق داود قربان، و تصحيحـــــات أخرى لعبد السلام محمد هارون في مجلـــة المجلة و غيرها. **(2)**

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 295-296، 297.

(2): ينظر: عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي و الحاضر، 1966-1967، ص: 63، 67 نقلا عن أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 296.

و من أمثلتها قول الفارابي "الصيعيرية سمة في عنق البعير. و قال الفيروز أبادي، الصيعيرية سمة في عنق الناقة لا البعير. لأن الصيعيرية صفة للنوق لا للفحول. **(1)**

- و من عيوبها كذلك شرح الكلمات شرحا معيبا و يورد أحمد مختار عمر أمثلة كثيرة على ذلك و يشير إلى بعض العيوب الأخرى، و يمكن تلخيص هذه الشروحات و العيوب في: **(2)**

- غموض العبارة، و تعريف اللفظ الغامض بلفظ غامض كقول الفارابي "الصدع الوعل بين الوعلين"، و هو يريد أنه وسط منها ليس بالعظيم و لا الصغير.
- عدم الدقة في التعبير، كقول الفارابي: الأكلف لون بين السواد و الحمرة، و منه قوله أيضا "القنينة آنية الشراب" و الصواب إناء لأنه القنية مفرد لا جمع.

- و مما يؤخذ على المعاجم العربية كذلك التقليد، فمن يتتبع معاجم المتأخرين يجدها تعتمد إلى حد كبير على معاجم المتقدمين، سواء من ناحية المادة أو النظام، و منها ما يتجاوز مرحلة الاعتماد إلى مرحلة التقليد الأعمى و من أمثلة ذلك:

- إتباع ابن دريد نظام التقليبات تقليدا للخليل بن أحمد مع طرح ابن دريد للترتيب الصوتي في الجمهرة. و نظام التقليبات لا يحقق هدفه إلاّ مقترنا بالترتيب الصوتي الذي يكشف عن خصائص النسج الصوتي للكلمات العربية، و يميز التجمعات المسموحة و الأخرى الممنوعة.
- استخدام ابن فارس نظام الدائرة في ترتيب ثواني الكلمات و ثوالثها أي بدؤه الثاني مما يلي الأول و الثالث مما يلي الثاني. و هذه نقطة حاكى فيها معاجم التقليبات دون أن يتنبه إلى الحكمة منها، فمعاجم التقليبات تبدأ الثاني مما يلي الأول، لأن ما قبل الأول قد سبق في مكانه. و لكن بعد أن طرح ابن فارس نظام التقليبات لم تعد هناك حكمة في بدء الثاني مما يلي الأول لأن ما قبل الأول لم يسبق ذكره.

---

(1): ينظر: - الفارابي: ديوان الأدب، ج2، ص: 45.

- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ضبط و توثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008، مادة (صعر).

(2): ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 298، 299، 300.

أما الاعتماد من ناحية المادة فظاهرة متفشية في جميع المعاجم العربية.

- و يرتبط بهذا المأخذ مأخذ آخر و هو وقوف المعاجم عند فترة زمنية لم تتجاوزها و هي القرن الثاني بالنسبة لعرب الحواضر و الرابع بالنسبة لعرب البوادي، مما أصاب اللغة بالجمود و عاقها عن التطور.
- خرجت معظم المعاجم العربية عن وظيفتها و بعدت عن حقل اختصاصها حين خلط أصحابها بين المعاجم و الموسوعات و دوائر المعارف و حشوا معاجمهم بمواد غريبة عنها.

و يرى أحمد مختار عمر أن حصر المادة اللغوية للمعجم في العصور السابقة الذكر. – القرن الثاني بالنسبة لعرب الحواضر، و القرن الرابع بالنسبة لعرب البوادي – يوقف نشاط اللغة فأصبح دور المعاجم في هذا الحالة سلبيا. و هو يرى أن الأصلح في فتح مجال السلامة اللغوية يقول: "و خيرا فعل واضعوا المعجم الوسيط حين لم يعترفوا بانقطاع سلامة اللغة العربية عند عصر معين و لا مكان معين و أثبتوا في متن المعجم ما دعت الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثة أو المعربة أو الدخيلة التي أقرها المجمع و ارتضاها الأدباء فتحركت بها ألسنتهم (...) و قد استهدوا في ذلك بقرارات المجمع اللغوي" **(1)**

و قرارات المجمع التي يقصدها أحمد مختار عمر تفتح المجال لسلامة اللغة من خلال توسيع دائرة الفصيح. و يمكن تلخيص هذه القرارات في: **(2)**

- فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق و تجوز و ارتجال.
- إطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل و ما لم يقس.
- تحرير السماع من قيود الزمان و المكان.
- الاعتداد بالألفاظ المولدة و تسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء.

و بالتالي فبالرغم من إشـــادة أحمد مختار عمر بالتراث المعجمي العربي لكثرته و وفرته و تعدد طرق ترتيب مادته. إلاّ أنه ينتقد بعض الأساليب و الطرق المنهجية المعتمدة فيه خاصة فيما يتعلق بالتكرار و التقليد و تحديد فترة السلامة اللغوية، و هذا يقودنا إلى حديث أحمد مختار

---

(1): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص: 300.

(2): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 300.

عمر عن الأعمال المعجمية الغربية الحديثة، لأنه من خلال محاولته التنظير لمنهجية العمل المعجمي يشير إلى الكثير من الطرق الحديثة، كما يعتمد في المعاجم التي كانت من تأليفه على بعض هذه الإشارات الحديثة.

ثانيا: الدراسات الغربية الحديثة في كتابات أحمد مختار عمر المعجمية

أبدى أحمد مختار عمر اهتمامه و إعجابه بالطرق الغربية الحديثة في الاهتمام بالعمل المعجمي، و يظهر ذلك من خلال كتابه صناعة المعجم الحديث الذي نظّر فيه للعمل المعجمي من خلال مجموعة من الآراء الغربية بالإضافـــــة إلى بعض طرق الترتيب العربية القديمـــة، و رأى بأنه من الضروري الرقي بالمعجم العربي الحديث لأنه يعتبر في حالة تخلف، و بالتالي لابد من إعادة النظر في بعض القضايا المعجمية التي تركها القدماء.

كما يظهر رأيه هذا في أكثر من موقف أو كتاب يقول: "تطورت صناعة المعجم عالميا من حيث الترتيب و اختيار المداخل، و كيفية عرض المادة، و صارت له تقنيات و أسس محددة من حيث الشكل و الموضوع. و مع ذلك فمازال معجمنا العربي مشدودا إلى الماضي و ما زال معجميونا حين يريدون وضع معجم حديث تشدهم تجربة العرب الموغلة في القدم، مما يبعدهم عن الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجم" **(1)**

و بالتالي فصناعة المعجم العربي الحديث بالنسبة لأحمد مختار عمر تتطلب الإحاطة بالطرق الحديثة في صناعة المعجم، و التي تحدث عنها في كتابه صناعة المعجم الحديث؛ حيث خصص الفصل الأول لأبحاث تمهيدية منها: مدخل مصطلحي، نظرة تاريخية حول صناعة المعجم القديم ثم الاهتمام بالعمل المعجمي في العصر الحديث، و المعجمية و علم اللغة، أما الفصل الثاني فخصصه لأنواع المعاجم، و تحدث عن طرق الترتيب المعجمي و أنواع الترتيب في اللغة العربية و في اللغة الإنجليزية و أنواع المعجم.

أما الفصل الثالث فخصصه للخطوات الإجرائية و التنفيذية لعمل معجم أما الفصل الرابع فتحدث فيه عن وظائف المعجم، أما الفصل الخامس فهو لمستقبل المعجم العربي.

فعن الاهتمـــام بالمعجم في العصر الحديـــث يتحدث أحمد مختار عمر عن زيادة الأعمال

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 303.

المعجمية تنظير و تأسيس في القرن العشرين، و يذكر أهم هذه الجهود التي يمكن تلخيصها فـــي: **(1)**

- الاعتماد على المادة الحية، و مجموعات الاقتباس مما أضاف إلى مادة المعاجم التقليدية - التي تنتقل من معجم إلى معجم – مادة أخرى شقت طريقها إلى الحياة خارج المعجم.
- ظهور معاجم المعاجم، أو الموسوعات المعجمية التي تقدم قوائم بيبليوجرافية للأعمال المعجمية مثل القائمة البيبليوجرافية التي قدمها Zgusta عام 1988 تحت عنوان Lexicography Today، و تعطي عددا من اللغات الأوروبية.
- بناء قواعد بيانات معجمية سواء عن طريق الجمع اليدوي، أو باستخدام الحواسيب. و قد أعطت هذه القواعد إمكانيات ضخمة للعمل المعجمي، و اعتبرت نقلة كبيرة و ثورة علمية دفعت العمل المعجمي إلى آفاق بعيدة لم تكن متاحة له من قبل.
- ظهور دوريات تهتم بالمعاجم و المعجمية مثل:
  - Dictionaries، التي تصدرها الجمعية المعجمية لأمريكا الشمالية و قد بدأت في الظهور عام 1979.
  - The Bulletin of European Association for Lexicography، التي بدأت في الظهور عام 1984.
  - The International Journal of Lexicography ، التي بدأت في الظهور عام 1988.
  - مجلة المعجمية التي تصدر في الصين.
- تأسيس مراكز بحثية معجمية في جامعات إكستر و برمنجهام و غيرها، و إظهار الجامعات اهتماما أكبر بالمعجم و بحوثه و نظرياته، و تقديمها مقررات للطلاب عن المعاجم، و كذا تأسيس العديد من الجمعيات اللغوية و المعجمية مثل: الجمعية اللغويـــــة الكندية 1954، و جمعية للمعجم في أمريكا الشماليـــة، و جمعية المعجمية في الهند، و جمعية المعجمية الصينية، و الاتحاد الأوروبي للمعجمية.

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، ص: 28-29-30.

– تنافس دور النشر الأمريكية الكبرى منذ الستينات في إصدار أعداد كبيرة من المعاجـــم، و من أهم هذه الدور Funk & Wagnalls و Merrian Webster و Random House، و انتقال هذه الجهود خلال السبعينات إلى بريطانيا. و كانت النقلة الكبرى للمعاجم البريطانية ظهور الطبعة الأولى من معجم: The Longman Dictonary of Comtemporary English عام 1978. و في الثمانينات ظهرت الطبعة الثانية من المعجم السابق 1987، و في التسعينات ظهرت الطبعة الثالثة 1995.

– عقد المؤتمرات و الندوات و حلقات البحث في أمريكا و دول أوروبا بدءا من أوائل الستينيات لمناقشة المشكلات المختلفة المتعلقة بصناعة المعاجم.

و بالتالي ساهمت هذه الجهود في تطوير الصناعة المعجمية، و في الرقي بالمعجم.

أما عن علم اللغة الحديث فيرى أحمد مختار عمر أنه لم يساهم بشكل كبير في تطوير المعجم فقد "اعتبر علماء اللغة المعجم مؤخرا – نظرا لأنه لا يختص بمعالجة الجانب العملي للغة – فرعا من فروع علم اللغة التطبيقي (...) و لان علم اللغة التطبيقي اسبق في الوجود من علم اللغة النظري فقد اعتبـــــــر اللغويون صناعة المعجم أسبق في الوجود من وضع نظرية له، و عدوها المحركة لتفكير العلماء في وضع مواصفات قياسية له" **(1)**

فكانت مساهمتهم في مجال المعجم قليلة مقارنة بالمجالات الأخرى كالأصوات، و التركيب و الدلالة.

أما عن الخطوات الإجرائية و التنفيذية التي تسبق ظهور المعجم فيجمعها أحمد مختار عمر في: **(2)**

- نظرا لارتفاع التكلفة المادية لتأليف معجم و إخراجه للجمهور، و بخاصة إذا كان يعتمد على فريق عمل، و على مادة محوسبة ضخمة فإن مؤسسات النشر الآن تحتاج إلى أربع عمليات إجرائية لابد أن تسبق بدء العمل، و هي:
  - وضع تصور مبدئي لشكل المعجم و مواصفاته طبقا لنوع المستعمل.
  - حساب التكلفة و دراسة الجدوى.

---

(1): المرجع السابق، ص: 31.

(2): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 65.

- التخطيط للعمل و جدولة المواعيد.
- إعادة فريق العمل بالمواصفات المطلوبة.

- و بعد هذا تبدأ الخطوة الثانية في إعداد المعجم و هي المتعلقة بجمع المادة، و تحديد المصادر التي سيعتمد عليها.
- ثم تأتي الخطوة الثالثة الخاصة باختيار الوحدات المعجمية أو وضع قوائم بالكلمات الرئيسية التي ستشكل مداخل المعجم.
- و تأتي بعد هذا الخطوة الرابعة، و هي تأليف المداخل، أو معالجة المادة من نواحيها المختلفة.
- و أخيرا لا يبقى على المعجمي إلا أن يرتب مداخله بطريقة من طرق الترتيب المعجمي.
- و هناك اتجاه عام في المعاجم الحديثة الآن هو أن تزيد فصلين منفصلين عن مادة المعجم، يقع أولهما في صدر المعجم و يشكل ما يسمى بالتمهيد أو المقدمة، و الآخر في نهاية المعجم و يشكل الملاحق و الإضافات التي يشعر المعجمي بأهميتها لمستعمل المعجم.

و قد اعتمد أحمد مختار عمر في تحديده لهذه الخطوات على التجارب الغربية الحديثة في هذا المجال فعن إعداد فريق العمل مثلا يتحدث عن برامج تخريج المعجميين المطلوبين في الجامعات الغربية و التي يجمعها في: **(1)**

- بدأ الأمر في شكل مقررات وقتية تقدم من حين لآخر بواسطة خبراء المعاجم – و هم قلة في شتى أنحاء العالم –
- ثم أعدت برامج تعليمية للمبتدئين تتضمـــن تدريبا أكاديميا في المهارات و الأســـــس، و نظريات العمل المعجمي، و الأهداف التي يقوم عليها.
- و تطور الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية، فوجد عام 1980 تخصص في المعاجم ضمن برامج الماجستير الانجليزية قدمته جامعة إنديانا، و يقدم في هذا البرنامج مقررات في الأعمال المعجمية، و أصول الكلمات و تطورها، ... ، و أنشئ عام 1984 مركـــز

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، ص: 70-71.

- للدراسات المعجمية في جامعة إكستر، و أصبح متاحا للباحث منذ عام 1991 أن يحصل على دراسات عليا معجمية مكونة من ثلاثة فصول دراسية للحصول على الدبلومات الأوروبية في المعجمية. و يدرس الطالب في الفصل الأول أسس المعجم و تطبيقاتـــــه، و في الفصل الثاني يلتحق الطالب بمشـــروع معجمي معين. و يقدم الفصـــــل الثالث اختيارات أمام الدارس (معجم ثنائي، معجم المتعلم الأجنبي، ...) و بعد الدبلوما يمكـــن أن يحصل على درجة الماجستير في المعجمية عن طريق كتابة رسالة عن مشروع بحثي معجمي..
- و قدمت الجامعات الألمانية – من خلال معهد اللغة الألمانية، و معهد علم اللغة التطبيقي – برامج لمنح الماجستير أو الدبلوما في علم المعاجم. و مما تدرسه: علم المعجم التاريخـــي، النظرية المعجميـــــة، نقد المعاجم الفرنسيـــة و الإسبانية، و الإيطاليـــــة، و الألمانية، ... سواء أكانت أحادية أو ثنائية، علم المعجم الحاسوبي.

و يرى أحمد مختار عمر كذلك أن فريق العمل يجب أن يتضمن أفرادا متنوعي المسؤولية، متعددي الاختصاص بما يتوافق و سير العمل و ما تقتضيه خطوات العمل المعجمي، و حسب طريقة تجهيز المعجم يدويا و آليا و يعود في ذلك أيضا إلى الدراسات الغربية يقول: "و بتتبع الأعمال المعجمية الكبيرة التي تمت في الولايات المتحدة و دول أوروبا، بالإضافة إلى اقتراحات المتخصصين يمكننا أن نلخص أهم الاختصاصات المطلوبة فيما يأتي:

1- إدارة العمل و متابعته (و يتولى ذلك مدير التحرير).
2- التخطيط للعمل و وضع جدول زمني.
3- جمع المادة لقاعدة البيانات.
4- إعداد التعريفات.
5- تحرير المادة و توثيقها (مع إعداد خاص لكل عملية على حدا: نطق، هجاء، تصريف، تأصيل اشتقاقي ...) و تحتها مستويات متعددة منها: رئيس تحرير، مدير تحرير، محرر، مساعد محرر.
6- تحليل الجمل و النصوص.

7- اختيار الأمثلة و الشواهد.

8- إعداد البرامج الأساسية.

9- إدخال البيانات.

10- التصميم الفني.

11- إعداد المادة الموسوعية و مراجعتها.

12- مراجعة الطباعة" **(1)**

و لكل اختصاص من هذه الاختصاصات مواصفات معينة و أعباء محددة، يجمعها أحمد مختار عمر فيما يلي: **(2)**

- لا بد للمعرف الجيد أن يملك المؤهلات الآتية:
  - القدرة على الكتابة و التعبير بسلامة و طلاقة.
  - المعرفة الجيدة بلغته.
  - الحساسية اللغوية الفائقة.
  - العقل التحليلي الذي يمكنه من القيام بالعمليات التصنيفية و التنظيمية.
  - امتلاك قـــدر من المعلومات المتنوعـــة عن معظم الأشياء: معلومـــات موسعـــة و ليست معمقة.
- رئيس التحرير يتحمل المسؤولية النهائية في إنتاج المعجم في الوقت المحدد، و بالميزانية المتفق عليها. و هو الذي يختار مستشاري السياسات، و يأخذ دورا رئيسيا في المناقشات لبلورة الاتجاهات. و هو مسؤول كذلك عن مستوى العمل، و عن مراجعة قدر من المواد بقدر ما يسمح له الوقت. و يمتد عمله ليشمل المتابعة الخارجية و الداخلية معا.
- أما مدير التحرير فعادة ما يقوم بتوزيع الأدوار، و مراقبة الجودة، و تدريب المعرفين الجدد، و عمل الإحصاءات المطلوبة. و إذا كان العمل محوسبا تكون له اليد الأساسية في إعداد برامج معالجة المادة. و هو كذلك مسؤول عن المتابعة اليوميـــــة الداخلية للعاملين، و عن متابعة التطبيق الموحد من البداية إلى النهاية.

---

(1): المرجع السابق نفسه، ص: 72.

(2): ينظر: أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، ص: 72-73-74.

- أما المحرر فيتولى الصياغة الأولى للمادة، و يقوم بعدها المحرر الرئيسي بالتدقيق و إعادة الصياغة مستخدما ما يراه مناسبا من التعريف الأولي، و يشترط في المحرر قدرته على تحليل معاني الكلمات، و استنباط الدلالات غير الموجودة في المعجم و التعرف على المعنى الأساسي و الملامح الدلالية الأساسية.
- و أما المدير الفني فيتولى – بمساعدة الخبراء الاستشاريين الخارجيين – تصميم أو تجهيز صفحة أو صفحات كعينة للتصميم، و يدخل في اختصاصه كذلك تصميم الغلاف و اختيار الرسوم التوضيحية و ورق الطباعة، و نوع التجليد، ...
- و أما محرر الإيتيمولوجيا فكثير من دور النشر تشترط فيه الحصول على الماجستير، مع التدريب الأكاديمي، و مع معرفة جيدة بعلم اللغة التاريخي و المقارن، و باللغات الكلاسيكية و لغات العالم، و بمصادر التأصيل الاشتقاقي المتاحة.
- و أما المخطط للمعجم فيملك سلطة اتخاذ القرار، و ينبغي أن يكون معدا إعدادا معجميا خاصا. و يجب أن يكون على علم بالمشكلات التي يعالجها، و ما هي الاختيارات المتاحة له، و كيف يزنها؟، و يجب أن تكون خلفيته المعجمية متميزة سواء في جانب التطبيق، أو النظرية، أو المنهج.

هذا بالنسبة إلى نظرة أحمد مختار عمر إلى الصناعة المعجمية الحديثة التي تطورت في الغرب، و يظهر تأثره واضحا بها في خلال المعاجم التي قام بإصدارها مع فريق عمل أو تأليف بالاشتراك، و التي حاول أن يتقيد فيها بهذه المواصفات، و بالتالي تميزت بالجدة و الدقة مما أعطاها بعدها الحضاري في صناعة المعجم العربي الحديث و مثال ذلك المعجم العربي الأساسي الذي شارك في تأليفه باحثون من المشرق العربي و مغربه مثل: أحمد مختار عمر، تمام حسان، أحمد العايد، حسين نصار، عبد السلام هارون، ... و غيرهم تقول صافية زفنكي: "و قد ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين المعجمات المؤسساتية و الجماعية، بعد أن كانت المعجمات من جهود فردية. و أول هذه المعجمات "المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1960، كما صدر عن هذا المجمع "المعجم الكبير" صدر الجزء الأول منه عام 1970، و الجزء الثاني عام 1980 (...) و صدر عن المنظمة العربية للتربية

و الثقافة و العلوم "المعجم العربي الأساسي عام 1989 ..." **(1)**

و من بين المعاجم التي ألفها أحمد مختار عمر وفق هذه المنهجية الحديثة معجم اللغة العربية المعاصرة الذي يقع في أربعة مجلدات و بمساعدة فريق عمل، و قد طبع هذا المعجم عام 2008 بعد وفاته، و قد تتبع بنفسه انجازه قبل وفاته فـ "ولد هذا المعجم بعد وفاة صاحبه، كما أراد له و خطط و منهج و تابع تنفيذ أكثره؛ ليكون واحدا من أهم المعاجم اللغوية المعاصرة التي تفتقدها المكتبة العربية، ملبيا حاجة الناطقين بالعربية إلى معجم يستقصي جميع الكلمات الجديدة، و الدلالات المستحدثة، و الاستعمالات الحية، معتمدا على معطيات العصر الحديث و تكنولوجيا المعلومات في جمع المادة و تصنيفها و تخريجها و تدقيقها، كما لا تنحصر قيمة هذا المعجم في حداثته فقط، و لكن تمتد لتشمل منهجيّته و إجراءات العمل فيه و آليات تنفيذه و إخراجه، و إتباعه أحدث المواصفات العالمية في صناعة المعاجم و إخراجها" **(2)**

و بالتالي فالمعجم جاء تطبيقا للمبادئ الحديثة في صناعة المعجم "و قد جاء معجم اللغة العربية المعاصرة – بالإضافة إلى معاجمه الأخرى – تطبيقا لأحد الآراء النظرية التي كان ينادي بها العالم الراحل، و هو إصدار المعاجم الجماعية بالاعتماد على فكرة فريق العمل ذي الكوادر المدربة، و تلافي الفردية كعيب أساسي في إنتاج المعاجم العربية؛ ففي ظل المنافسة المستمرة و زيادة الاهتمام بإصدار المعاجم مع مجيء القرن العشرين، و تحولها إلى صناعة، و مع تضخم حجم المادة التي يتعامل معها نتيجة التوليد المستمر للألفاظ اللغوية و التطور المستمر للدلالات، و ضرورة اعتماد المعجم الحديث على لغة العلوم و الآداب و المعارف المختلفة؛ فإنه لا يمكن الآن تصور إنجاز معجم ما – بالكفاءة المطلوبة – بجهد فردي، و لا يمكن لباحث واحد أو مجموعة من الباحثين متّحدي الثقافة الاضطلاع بهذا الأمر" **(3)**

و قد كان الهدف الأساسي من هذا المعجم هو إنشاء معجم عصري يقف على الكلمات المستعملة في العصر الحديث، و الاستعمالات المستحدثة التي لم تفقد الصحة اللغوية كما يغطي أغلبية الاستعمالات الخاصة بجميع أقطار الدول العربية متفاديا أوجه القصور التي شابت

---

(1): صافية زفنكي: التطورات المعجمية و المعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2007، ص: 68.

(2): أحمد مختار عمر و فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008، م1، ص: 07.

(3): المرجع نفسه، م1، ص: 07.

المعاجم التي سبقته و التي تتلخص في: **(1)**

1- الخلط بين المهجور و المستعمل، و غياب كثير من المستحدث.

2- الاعتماد على بعضها البعض، دون تمحيص أو تدقيق.

3- القصور في تناول المعلومات الصرفية و الدلالية لمداخلها.

4- عدم إثبات معظم المصاحبات اللفظية التي يكثر استخدامها، و كذلك التعبيرات السياقية التي اكتسبت معاني جديدة زائدة على معاني مفرداتها.

و قد اعتمد في جمع مادته – خلافا لمن سبقه كذلك – على المزاوجة بين القديم و الحديث "فلم يعتمد اعتمادا كليا على معاجم السابقين، إنما ضم إليها مادة غنية بالكلمات الشائعة و المستعملة، باستخدام تقنية حاسوبية متقدمة تتم بمقتضاها إجراء مسح لغوي مكثف لمادة مكتوبة و مسموعة تمثل اللغة العربية المعاصرة أصدق تمثيل، فقد تميزت بالمعاصرة و السياقات المستعملة، بالإضافة إلى الاستعمالات الجديدة التي ترد في سياق مألوف لدى المستخدم، و تتجاوز في حجمها مائة مليون كلمة و مثال. و قد أعطانا هذا الحجم الضخم للمادة المسحية صلاحية الحكم على كلمة ما بالشيوع؛ و ثمَّ إدخالها في المعجم "و يصدق هذا على معاني الكلمات". كما أمدتنا هذه المادة المسحية بكل المصاحبات اللفظية لأي كلمة و بخاصة حروف الجر، فيمكننا معرفة أكثر الاستعمالات شهرة و كذلك تتبع أنماطها الأكثر استعمالا، و كذلك المتعلقات، و بخاصة حروف الجر. كما أمدتنا بمعدل تكرار كل كلمة" **(2)**

و قد غطت المادة المسحية مجموعة من المجالات يمكن حصرها في: **(3)**

1- الصحف و المجلات العربية الواسعة الانتشار خلال السنوات العشرين الأخيرة، مثل: الأهـــرام القاهرية، و الشرق الأوسط السعودية، و الحياة اللبنانية، و السياســـة الدولية، و سطور، و الفيصل السعودية، و الدوحة القطرية، ... و غيرها.

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، م1، ص: 09.

(2): أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص: 10.

(3): ينظر: المرجع نفسه، ص: 10-11.

2- المادة المسموعة التي تقدم بالفصحى مثل نشرات الأخبار، و مواجز الأنباء، و التعليق على الأخبار، و أقوال الصحف، و الأحاديث الدينية؛ فأجهزة الإعلام تتميز بإيقاعها السريع و استجابتها الفورية لاحتياجات الجماهير التعبيرية، و هي بهذا تسبق مجامع اللغة و تقود عملية الإبداع و صنع اللغة.

3- قصص الأطفال و الناشئة.

4- كتابات كبار الأدباء و الكتاب، و أصحاب الفكر من فلاسفة، و علماء نفس، و رجال دين، و مؤرخين، و علماء متأدبين، و رجال قانون و اقتصاد ...

5- المادة التراثية المألوفة بحكم ترددهـــا في لغة العصر الحديث، مثل القرآن الكريـــــم، و الأحاديث القدسية و النبوية، و الحكم و الأمثال و غيرها.

6- أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، و يدخل فيها:

أ- عينة منتقاة من مصطلحات العلوم و الفنون.

ب- مسح لقرارات المجمع من ألفاظ و عبارات و أساليب و أصول.

7- مادة رافدة لعملية المسح اللغوي مثل كتب التعبيرات السياقية، و كتب التصحيح اللغوي، و كتب الرصيد الوظيفي، و المعاجم المسحية كالسبيل و الأساسي و اللغة العربية المعاصرة.

8- كما غطت المادة المسحية كافة مجالات المـــعرفة المختلفـــــة، كالسياسة و الاقتصـــاد و الأدب و الفـــــن و الديانـــــات و الحضـــارة و الرياضة و المـــــرأة و الطفـــــل و الأســـــرة و النشرة الجوية و البيئة و العلوم و التكنولوجيا و التعليم و المجتمع ... إلخ مما ساهم في احتواء المعجم على كلمات جديدة تتردد في لغة الإعلام اليوم، و لم ترد في المعاجم بعد، مثل العلمانية و كبسولة، و الخصخصة، و الاستنساخ، و الحمى القلاعية، و غسيل الأموال، و تعويم العملة ...

9- هذا بالإضافة إلى التوسع في جملة الأقيسة.

10- و قد تمت الاستفادة من القدرات الحاسوبية في التخزين و سرعة الاسترجاع، و في معالجة النظائر و توحيد تناولها و كذلك الإحالات و أنواعها، مع إمكانية البحث عن كلمة أو عبارة في نص أو مجموعة نصوص، و إخراج النتيجة بصورة سريعة و دقيقة في الإحصاء و عرض العبارات التي وردت فيها الكلمة.

و قد ظهر هذا المعجم في شكلين: احدهما ورقي، و الآخر إلكتروني، و تتميز النسخة الورقية بوجود أربعة فهارس، كما تتميز النسخة الإلكترونية بالإمكانات الهائلة في استدعاء المعلومة المطلوبة بسرعة، و بأنظمة بحث متطورة في كافة جزئيات المعجم.

أما عن مداخل المعجم فقد صنفت إلى خمسة أنواع كالتالي:

1- الفعل، و لا ينص على ذكر النوع أمامه، و يكتفي بان المعلومات الصرفية الخاصة به تكشف عنه، كالفعل المضارع الذي يلي المدخل الفعلي مباشرة.

2- الاسم المفرد، و ينص بعده على النوع هكذا: [مفرد].

3- الاسم المثنى، و ينص بعده على النوع هكذا: [مثنى].

4- الاسم الجمع، و ينص بعده على النوع هكذا: [جمع].

5- الكلمات الوظيفية: و هي كلمات اكتسبت دلالة جديدة بعيدة عن الدلالة اللغوية لألفاظها، و تشمل حروف الهجاء و جميع حروف الجر و أدوات الاستفهام، و الأسماء الموصولة، و أسماء الإشارة، و أدوات الشرط، و الظروف، و أسماء الأفعال، كما اشتملت على بعض الأفعال الجامدة، مثل: عسى، ...

و يقدم معجم اللغة العربية المعاصرة على مداخله عدة معلومات تتنوع بين المعلومات الصرفية و المعلومات الدلالية.

أما عن قواعد الترتيب الخاصة بهذا المعجم فيمكن تلخيصها في: **(1)**

- ترتيب مواد المعجم ترتيبا ألفبائيا حسب الجذور، و تحت كل جذر رتبت مداخل الأفعال، ثم مداخل الأسماء و الكلمات الوظيفية.
- اعتبار الحرف المشدد بحرفين، و ذكر الكلمة الأقل حروفا، أو الخالية من الضبط أولا.
- ترتيب الحركات كالتالي: سكون، فتحة، ضمة، كسرة، مع ترتيب الحركات بالنسبة للكلمات المتشابهة في الحروف.
- ترتيب المعلومات التي يمكن أن تتعدد في المدخل الواحد، و الأصل في ترتيب معظم المعلومات التي تتعدد في المعجم أن ترتب ألفبائيا.

---

(1): ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 23.

و بالتالي تظهر المنهجية الحديثة في التعامل مع مادة هذا المعجم، و كذا في طريقة العمل الجماعية و الاعتماد على الألفاظ الحديثة إلى جانب الألفاظ التراثية التي مازالت مستعملة.

و ليس هذا هو المعجم الوحيد إنما يمكن الحديث عن نوع آخر من المعاجم عند احمد مختار عمر و هو معجم الصواب اللغوي، و هو يختلف عن الأول كونه خاصا بتصحيح الأخطاء الشائعة في الأوساط اللغوية. و قد اتبع فيه أحمد مختار عمر جملة من الأسس يمكن تلخيصها في: **(1)**

- ترتيب مداخل المعجم ترتيبا ألفبائيا حسب شكل الكلمة، لأنه أخذ في اعتباره المستخدم العادي الذي قد يصعب عليه الوصل إلى الجذر، أو ربط الجذر بمشتقاته. و ما على من يريد أن يجمع مشتقات الجذر الواحد إلا العودة إلى فهرس الجذور.
- احتساب "الـــ" التعريف في الترتيب.
- اعتبار الحرف المشدد بحرفين.
- ترتيب الحركات كالتالي: سكون – فتحة – ضمة – كسرة.
- قسم المعجم إلى قسمين: قسم للكلمات و الأساليب، و قسم للقضايا الكلية أو أصول اللغة، و قد فصل بين القسمين لاختلاف طريقة المعالجة في كل منهما. و يعد هذا الضيع مما يتميز به هذا المعجم عن غيره من المعاجم.
- مراعاة كون عناوين المداخل محايدة، أو دالة على الشكل المرفوض أو المطروح للنقاش.
- التزم بأن تمثل الكلمة أو العبارة الأولى بعد عنوان المدخل الرأي المطروح في الساحة اللغوية، أو المثال الذي دار الخلاف حول صحته دون أن يمثل الرأي الشخصي للمؤلف،

و عادة ما تتبع هذه الكلمة أو العبارة بإحدى الصفات الآتية: مرفوضة، مرفوضة عند الأكثرين، مرفوضة عند بعضهم، ضعيفة، ضعيفة عند بعضهم، و عادة ما يلي ذكر الرتبة بيان السبب من وجهة نظر الرافضين أو المضعفيـــن. أما الأمثلة و الأحكـــام التي تأتي بعد الـــرأي و الرتبة فهي تمثل الصورة الصحيحة، و توصف عادة بإحدى الصفات التي تدل على درجة من درجات الصواب و هي: فصيحة، صحيحة، مقبولة، فصيحة مهملة، مع ملاحظـــة القضايا

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر: معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008، م1، ص: ه، و، ز ح (المقدمة).

المتعلقة بالرسم الإملائي بأنها صحيحة، لأن الشكل الكتابي خارج عن مفهوم الفصاحة.

و حينما توصف العبارة بأنها مرفوضة فإنها لا يصح أن ترد مرة ثانية ضمن الصور الصحيحة. و لكن ترد فقط البدائل التي يقدمها المعجم لها. أما حين توصف بأي وصف من الأوصاف الأربعة الباقية (مرفوضة عند الأكثرين – مرفوضة عند بعضهم – ضعيفة – ضعيفة عند بعضهم) فإنها ترد مرة ثانية بعد الرأي و الرتبة.

- التزم في بعض الحالات ببيان معنى الكلمة محل النقاش مراعيا بيان معنى السياق الذي وردت فيه الكلمة، و كذلك الموقع الإعرابي.
- الجمع بين المعاجم التراثية و المعاجم الحديثة.
- تقسيم الصواب إلى درجات هي الفصيح، الصحيح، المقبول، الفصيح المهمل.
- جمع أكبر عدد ممكن من الأمثلة تحت العنوان الواحد في قسم القضايا حتى يتمكن القارئ من تكوين فكرة كلية تغنيه عن تتبع الأمثلة المتفرقة في قسم الكلمات.

و على الرغم من كون هذا المعجم خاصا إذا ما قورن بالمعجم السابق فإن أحمد مختار عمر اعتمد فيه على المنهجية الحديثة في التعامل مع المادة اللغوية، و كذا في طريقة العمل الجماعية.

و كخلاصة لهذا الفصل يمكن القول بأن الدراسات التراثية العربية اهتمت بالمعجم و خلفت تراثا معجميا تميز بالتنوع و طرق الترتيب المختلفة، و بالنسبة للدراسات الغربية الحديثة فقد طورت الصناعة المعجمية أيضا بشكل واسع واكب التطورات في المجالات الأخرى و إن لم تكن من صلب الدراسات اللغوية كالحاسوب.

أما بالنسبة لأحمد مختار عمر و موقفه من هذه الدراسات فيمكن القول بأنه كان مؤصلا للتراث العربي من خلال تحقيقه لمجموعة من الكتب التراثيـــة، و كذلك من خلال اهتمامـــــه بالدراسات المعجمية العربية التراثية و التعريف و الإشادة بها، بالرغم مما قدمه من تعقيبات حول تكرار المادة اللغوية، و بعض الطرق المنهجية في التعامل مع المادة اللغوية.

أما بالنسبة للدراسات المعجمية الغربية الحديثة فقد تأثر أحمد مختار عمر بها و بطرقها في التعامل مع المادة اللغوية، و قدم مادة نظرية من خلالها للنهوض بالصناعة المعجمية، و قد تمثلت و ظهرت كذلك في مجموعة المعاجم التي قدمها للقارئ العربي فكان مؤسســـا لصناعة

المعجم و الجمع بين الذخيرة التراثيـــــة الهائلة و الوسائل التقنية الحديثة، و ما ينبغي التزامـــه و اجتنابه من عمليات إجرائية أثناء إعداد المعاجم.

تنوعت و تعددت اتجاهات البحث اللساني العربي الحديـــث بتنوع و تعدد منطلقاتهـــا و مناهجها و غاياتها؛ فاتسمت بمجموعة من السمات النظرية و المنهجية التي تكشف عن اختلاف و تفاوت واضحين بين اللسانيين العرب كل على حسب اتجاهه و طريقته في التعامل مع المعطيات اللسانية الغربية الحديثة، و مع التراث اللغوي العربي، و كذا طبيعة اللغة العربية في حد ذاتها، و هذه الاختلافات هي التي حكمت عجز و نجاح هذه الاتجاهات في تحقيق أهدافها و السمو بالدرس اللســاني العربي الحديث و توجيهه وجهة صحيحـــة تتسم بالدقــة و الضبط.

و أحمد مختار عمر و هو أحد اللسانيين العرب المحدثين عالج مجموعة من القضايا اللغوية التي كانت له فيها مجموعة من الآراء المختلفة أيضا باختلافها، فتطرق إلى قضايا التراث العربي، كما تطرق إلى قضايا اللسانيات الغربية الحديثة ليقدم مجموعة من الآراء التي تساهم في خدمة اللسانيات العربية الحديثة.

و من بين القضايا التي عرض لها أحمد مختار القضايا الصوتية أو المستوى الصوتي الذي نال حظا وافرا من الدراسة عند علماء التراث العربي على اختلاف مشاربهم، و نال حظه أيضا من الدراسة في اللسانيات الغربية الحديثة.

و أحمد مختار عمر في تناوله لهذه القضايا الصوتية عاد إلى الاثنين معا – التراث العربي و اللسانيات الغربية الحديثة -. فبالنسبة للتراث العربي يشيد أحمد مختار بالدراسات الصوتية العربية التراثية خاصة ما تطابق منها مع الدرس الصوتي الغربي الحديث، و يشير إلى أن هذا الأخير – الدرس الصوتي الغربي – اعتمد على وسائل جد متطورة ليصل إلى نتائج وصل إليها الدرس الصوتي العربي التراثي من دون هذه الأجهزة و الآلات. و في المقابل إن وجد في الدرس الصوتي العربي التراثي ما يخالف هذه الدراسات الحديثة أو ما لم يذكر فيها. فإنه يعقب على هذه الأمور مثل عدم حديثهم عن النبر و المقطع. كما يشير إلى عدم توحيد المصطلحات في المؤلفات العربية التراثية.

أما بالنسبة للدراسات الصوتية الغربية الحديثة فأحمد مختـــار عمر يحاول أن يبسطهـــا و يقربها من القارئ العربي لأن – كما يرى – المكتبة العربية فقيرة جدا في هذا النوع من البحوث، فيستخدم طريقة تعليمية تشرح و تفصل كل هذه المفاهيم للقارئ العربي.

كما أنه درس أصوات اللغة العربية وفق ما جاءت به هذه الدراسات الصوتية الغربية الحديثـــة و اعتمادا على مصطلحاتها.

كما نلاحظ بالنسبة للمستوى الصوتي أنه يقدم النقد أو يعلق على الدراسات العربية القديمة في حين يكتفي بالشرح و التوضيح بالنسبة للدراسات الصوتية الغربية الحديثة، و هذا في رأيه يعود إلى طبيعة هذه الدراسات التي تتسم بالعلمية.

أما بالنسبة للمستويين الصرفي و النحوي التركيبي فقد نالا حظهما أيضا من الدراسة في التراث العربي، و في الدراسات الغربية الحديثة كل من وجهة نظره الخاصة، و حسب ما فرضته و أملته عليه عوامل نشأة هذه الدراسة.

أما أحمد مختار عمر فقد كان مؤصلا للتراث في هذه المباحث، حيث سرد تاريخ هذه الدراسات مشيرا إلى عوامل ظهورها و مشيدا بها و بأهميتها وقيمتها أيضا.

لكن هذا لم يمنعه من تقديم بعض التعليقات حول منهجيتها مثل اعتمادها العامل الجغرافي أساسا في تقسيم المدارس النحوية، و كذلك كثرة التأويلات في بعض الأحيان، و مشيرا إلى أن ما اعتمدته المدارس الغربية الحديثة في تقسيم مدارسها أقرب إلى الصواب لأنها تعتمد الأساس الفكري.

أما بالنسبة لهذه الأخيرة – الدراسات الغربية الحديثة – فتقتصر جهود أحمد مختار عمر على الترجمة من اجل تقريب القارئ العربي من جو الدراسات الغربية، و تقريب هذه المعرفة منه.

و بالنسبة للمستوى الدلالي الذي كان من اهتمـــــام العلماء على اختلاف اتجاهاتهم قديمـــا و حديثا، فقد تطرق له أحمد مختار عمر أيضا من الجانبين التراثي و الحداثي.

فبالنسبة للتراث العربي كان أحمد مختار عمر قارئا له من خلال اهتمامه بمجموعة من القضايا الدلالية الواردة فيه كالاشتراك اللفظي و التضاد و الترادف.

و من ناحية أخرى قدم للقارئ العربي مفاهيم علم الدلالة الغربي و حاول تقريبها إليه كون هذه المفاهيم تتسم بشيء من الجدة و الدقة و العلمية في معالجة القضايا، و مثال ذلك موقفه من ظاهرة الترادف.

و في النهاية قدم أحمد مختار عمر بالاعتماد على نتائج الدرسين التراثـــي العربي القديـــم و اللساني الغربي الحديث دراسات دلالية حول النصوص العربية – خاصة فيما يتعلق بالنص القرآني الكريم -

أما عن المعاجم فقد اهتمت الدراسات العربية التراثية بها و خلفت تراثا معجميا تميز بالتنوع، و طرق الترتيب المختلفة، و بالنسبة إلى الدراسات الغربية الحديثة فقد طورت الصناعة المعجمية أيضا بشكل واسع واكب التطورات في المجالات الأخرى و إن لم يكن من صلب الدراسات اللغوية.

أما عن أحمد مختار عمر و موقفه من هذه الدراسات فيمكن القول بأنه كان مؤصلا للتراث العربي من خلال تحقيقه لمجموعة من الكتب التراثية، و كذلك من خلال اهتمامه بالدراسات المعجمية العربية التراثية و التعريف و الإشادة بها بالرغم مما قدمه من تعقيبات حول تكرار المادة اللغوية في هذه المعاجم، و بعض الطرق المنهجية في التعامل معها.

أما بالنسبة للدراسات المعجمية الغربية الحديثة، فقد تأثـــــر أحمد مختار عمر بمبادئهـــــا و بطرقها في التعامل مع المادة اللغوية، و قدم من خلالها مادة نظرية للنهوض بالصناعة المعجمية، و قد تمثلت و ظهرت أيضا في مجموعة المعاجم التي قدمها للقارئ العربي، فكان مؤسسا لصناعة المعجم و الجمع بين الذخيرة التراثية الهائلة و وسائل التقنية الحديثة، و ما ينبغي التزامه و اجتنابه من عمليات إجرائية أثناء تنفيذ المعاجم، كما قرأ المعاجم المعاصـــــرة و القديمة عربيا و دوليا. و جهوده التطبيقية في إعداد المعاجم اللغوية و الثقافية تجعله من أبرز المعجميين العرب المحدثين.

الملخص:

يتناول هذا البحث قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة و المعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، و ذلك من خلال محاولة التعريف باللسانيات العربية الحديثة و صور النشاط اللساني العربي الحديث المتمثلة في الكتابات التمهيدية، الكتابات التراثية، و تطبيق المناهج على النصوص العربية لخلق الجديد من خلال الاعتماد على التراث أو على الدراسات الغربية الحديثة. ثم محاولة تصنيف و إدراج أحمد مختار عمر في مكانها من هذه الأصناف و تحديد الاتجاه الأنسب لكل دراسة من دراساته التي تصب في مجال اللسانيات.

و قد تبين أن أحمد مختار عمر تطرق إلى التراث العربي كما تطرق إلى قضايا اللسانيات الغربية الحديثة فبالنسبة للقضايا الصوتية، عاد أحمد مختار عمر إلى التراث العربي ليشيد بالدراسات الصوتية العربية التراثية خاصة ما تطابق منها مع ما جاء في الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، و يعقب عليها في بعض الأمور مثل اختلاف المصطلحات في المؤلفات العربية التراثية، و عدم حديثهم عن النبر و التنغيم. أما بالنسبة إلى الدراسات الصوتية الغربية الحديثة فأحمد مختار عمر يحاول أن يبسطها و يقربها من القارئ العربي لأن المكتبة العربية في رأيه فقيرة جدا في هذا النوع من البحوث.

أما بالنسبة للقضايا الصرفية و النحوية فقد كان أحمد مختار عمر مؤصلا للتراث العربي حيث سرد تاريخ هذه الدراسات مشيرا إلى عوامل ظهورها و مشيدا بها و بأهميتها و قيمتها، أما بالنسبة للدراسات اللسانية الغربية الحديثة فتقتصر جهوده على الترجمة من أجل تقريب القارئ العربي من جو الدراسات الغربية الحديثة، و تقريب هذه المعرفة منه.

و كان أحمد مختار عمر قارئا للتراث العربي من خلال اهتمامه بمجموعة من القضايا الدلالية الواردة فيه كالاشتراك اللفظي، و التضاد و الترادف، و من ناحية أخرى قدم للقارئ العربي مفاهيم علم الدلالة الغربي و حاول تقريبها إليه، و قدم في النهاية بالاعتماد على الاثنين دراسات دلالية حول النصوص العربية – النص القرآني –

أما عن المعاجم فيمكن القول بأن أحمد مختار عمر كان مؤصلا أيضا للتراث العربي من خلال تحقيقه لمجموعة من الكتب التراثيـة، و كذلك من خلال اهتمامــه بالدراسات المعجمية العربيــة و التعريف و الإشادة بها بالرغم مما قدمه من تعقيبات حول تكرار المادة اللغوية في هذه المعاجم، و بعض الطرق المنهجية في التعامل معها.

أما بالنسبة للدراسات المعجمية الغربية الحديثــة فقد تأثر أحمد مختار عمر بها و بمبادئهــا، و بطرقها في التعامل مع المادة اللغوية، و قدم من خلالها مادة نظرية للنهوض بالصناعة المعجمية، كما قدم مجموعة من المعاجم للقارئ العربي.

Summary:

This research chows the matters of the modern Arabic linghkstics between the tradition and the contempromess by using the writings the contemporation and the application of methods on the arabic test to create the newby focus on the mode reserzrch classfing and add the urritages oh ahmed mokhtar omar in its place in ordrer to know the night direction to each study –which talk about the domain of linguistic .

It become evident that ahmed mokhtar omar talks about the Arabic traditions and also the modern xestern linguistic .about the sound's matters ahmed mokhar omar used the Arabic tradition to paure by the traditilnl arabic sounds mainly those which conform with what was memtoned in the modern westen sounds studies.

About the morphological and the grammatical matters Ahmed Mokhtar Omar was the founder of the arabic tradition by narrating the history of this studies making a sign to its founding factors and praising to it and its importance. About the modern western linguistic studies it deals with interpretation to approximate the arabic reader to the modern westarn studies.

Ahmed Mokhtar Omar was also the reader of the arabic heritage by his devotion to a group of its semantic matters like the pronounciation similarities., the contradiction, he also gave to tha arabic reader a defenition to the western semantic science and attempted to approximate it to him, and at the end by the focus on buth the gaves a semantic study on the arabic text "the Quran".

About the dictionaries it can be said that Ahmed Mokhtar Omar was the founder of the arabic heritage by his work on group of traditional books, and also by his devotion to the arabic dictionary studies and gave it a definition.

Ahmed Mokhtar Omar influenced by the modern western dictionaries study and by its principles and ways in dealing with language, he gave from it a theoritical work to develop the dictionaries words and he also gave a group of dictionaries to the arabic reader.

1- فهـــرس المصـــادر و المراجـــع.

2- فهـــرس الموضوعـــات.

1- فهرس المصادر و المرجع:

الكتب:

أولا: المصادر و المراجع باللغة العربية (تحريرا و ترجمة)*

- **إبراهيم أنيس:**

1- دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط4، 1980.

2- من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

- **ابن الأثير:**

3- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، مصر، 1959.

- **أحمد خليل:**

4- المدخل على دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1968.

- **أحمد سليمان ياقوت:**

5- أبحاث في اللغة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1994.

- **أحمد فراج حسين:**

6- أصول الفقه الإسلامي، الدار الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1991.

- **أحمد ماهر البقري:**

7- ابن قيم اللغوي، منشأة المعارف، مطبعة الأطلس، د.ط، د.ت.

- **أحمد المتوكل:**

8- الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ط، 1980.

9- دراسات في نحو العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ط، 1986.

10- من البنية الحملية إلى البنية المكونية، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ط، 1986.

11- من قضايا الرابط في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، د.ط، 1987.

12- الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1988.

13- قضايا معجمية، منشورات عكاظ، الرباط، د.ط، 1988.

14- اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، د.ط، 1989.

*: لم يعتد أثناء الترتيب بـــ: الـــ، أبو، ابن.

15- آفاق جديدة في النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب، الرباط، د.ط، 1993.
16- الوظيفة و البنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، د.ط، 1993.
17- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، د.ط، 1995.

- أحمد مختار عمر:

18- البحث اللغوي عند العرب، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2003.
19- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات و أشهر القراء، دار عالم الكتب، مصر، ط3، 1997 (بمعية عبد العال سالم مكرم).
20- علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998.
21- الاشتراك و التضاد في القرآن الكريم، دراسة إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
22- دراسات لغوية في القرآن الكريم و قراءاته، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2006.
23- صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
24- دراسة الصوت اللغوي، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ط، 1991.
25- النحو الأساسي، دار السلاسل، الكويت، ط1، 1984 (تأليف بالاشتراك)
26- العربي الصحيحة، عالم الكتب، مصر، ط2، 1998.
27- أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب و الإذاعيين، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1991.
28- التدريبات اللغوية و القواعد النحوية، منشورات جامعة الكويت، الكويت، ط2، 1999.
29- أنا و اللغة و المجمع، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط1، 2002.
30- معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
31- معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
32- اللغة و اللون، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
33- اللغة و اختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

34- تاريخ اللغة العربية في مصر و المغرب الأدنى، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

- **أحمد نعيم الكراعين:**

35- علم الدلالة بين النظر و التطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1993.

- **أحمد ياسوف:**

36- جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، جادة ابن سينا، حلبوني، دمشق، سوريا.

- **الأزهري (ابن منظور بن محمد بن أحمد الأزهري):**

37- تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة علي البخاري، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، د.ط، د.ت.

- **أمجد الطرابلسي:**

38- نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، دمشق، سوريا، 1954.

- **الآمدي:**

39- الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983.

- **أمير عبد العزيز:**

40- دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، الجزائر، ط2، 1988.

- **الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد):**

41- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د.ط، 1987.

- **أنيس فريحة:**

42- في اللغة العربية و بعض مشكلاتها، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 1966.

- **الباقلاني:**

43- إعجاز القران، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

- **البدراوي زهران:**

44- في قضية الرمزية الصوتية، دار المعارف، مصر، ط3، 1993.

- **برجيستراسر:**

45- التطور النحوي للغة العربية، تعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1982.

- **تمام حسان:**

46- الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب – النحو – فقه اللغة – البلاغة، عالم الكتب، د.ط، 2000.

47- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1986.

48- اللغة العربية معناها و مبناها، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1998.

- **التواتي بن تواتي:**

49- المدارس اللسانيـــة في العصر الحديث و مناهجهـــــا في البحث، دار الوعي للنشـــر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2008.

- **توفيق شاهين:**

50- علم اللغة العام، دار التضامن، القاهرة، مصر، 1980.

- **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ):**

51- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.

52- البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1992.

53- الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، 1992.

- **ج.براون، ج.يول:**

54- الخطاب الأدبي، ترجمة: منير التريكي و محمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1997.

- **الجرجاني (عبد القاهر):**

55- الرسالة الشافية – ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز -، تحقيق: محمد زغلول سلام، و محمد خلف الله، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، د.ت.

56- دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح: محمد عبده و محمد محمود التركزي، تعليق: محمد رشيد رضا، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

- **جعفر دك الباب:**

57- الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، ط1، 1980.

- **ج.فندريس:**

58- اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي و زميله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **جميل عبد المجيد:**

59- البلاغة و الاتصال، دار غريب للنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 2000.

- **ابن جني (أبو الفتح عثمان):**

60- الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت.

61- سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا و آخرون، د.ط، 1954.

- **جيفري سامبسون:**

62- المدارس اللسانية التطور و الصراع، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1.

- **حافظ إسماعيل علوي – امحمد الملاخ:**

63- قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2009.

- **أبو حامد الغزالي:**

64- المستصفى في علوم الأصول، المطبعة الأميرية، بولاق.

- **الحبيب اللويزي:**

65- خصائص لغة الإنسان حسب تشومسكي. ضمن كتاب اللسانيات من خلال النصوص، لعبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، ط1، د.ت.

- **حسام البهنساوي:**

66- أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 1994.

-67

- **حلمي خليل:**

68- الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1998.

69- العربية و علم اللغة البنيوي. دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1996.

- **حمدان حسين محمد:**

70- التفكير اللغوي الدلالي و تحديات الغزو الثقافي الغربي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 2002.

- **خليفة بوجادي:**

71- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.

- **ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي:**

72- دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004.

- **رشاد الحمزاوي:**

73- من قضايا المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1986.

- **رومان جاكبسون:**

74- الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.

- **ريمون طحان:**

75- الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1972.

- **الزركشي:**

76- البرهان في علوم القران، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي، إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة الجامعية، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

- **أبو زهرة محمد:**

77- تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، القاهرة، ط2، 1973.

- **زكي نجيب محمود:**

78- أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **سامي عياد حنا و آخرون:**

79- معجم اللسانيات الحديثة (إنجليزي – عربي)، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

- **سعد مصلوح:**

80- في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات و مثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ط، 2004.

- **ابن سنان الخفاجي:**

81- سر الفصاحة، تعليق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، ط1، 1953.

- **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر):**

82- الكتاب، تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988.

- **السيد أحمد عبد الغفار:**

83- التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

- **السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر):**

84- المزهر في علوم اللغة و أنواعها، مكتبة السعادة، مصر.

- **الشافعي:**

85- الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1979.

- **الشاطبي (أبو إسحاق):**

86- الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: الشيخ عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

- **شوقي ضيف:**

87- المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

- **صافية زفنكي:**

88- التطورات المعجمية و المعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2007.

- **صالح بلعيد:**

89- التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 1994.

- **صلاح فضل:**

90- نظرية البنائية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 1992.

- **طلال علامة:**

91- تطور النحو العربي بين مدرستي البصرة و الكوفة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

- **عبد الحميد هنداوي:**

92- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2004.

- **عبد القادر حسين:**

93- أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1998.

- **عبد القادر الفاسي الفهري:**

94- اللسانيات و اللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1985، 1986.

- **عبد الرحمن أيوب:**

95- دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1957.

96- العربية و لهجاتها، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، د.ط، 1986.

- **عبد الرحمن حاج صالح:**

97- بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، د.ط، 2007.

- **عبد السلام المسدي:**

98- مراجع اللسانيات، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1989.

99- التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ط1، 1981.

100- الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1982.

- **عبد العزيز عتيق:**

101- تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

- **عبده الراجحي:**

102- فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، بيروت، لبنان، د.ط، 1998.

103- التطبيق الصرفي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، د.ت.

104- دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1988.

- **علي القاسمي:**

105- علم اللغة و صناعة المعجم الحديث، جامعة الرياض، 1975.

- **علي النجدي ناصف:**

106- سيبويه إمام النحاة، 1953.

- **الفارابي (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي):**

107- ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للنشر، القاهرة، مصر، 1974.

- **فاطمة الهاشمي بكوش:**

108- نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيتراك للنشر، مصر، ط1، 2004.

- **فايز الداية:**

109- علم الدلالة العربي، النظرية و التطبيق، دراسة تأريخية تأصيلية نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1973.

- **ف.ر.بالمر:**

110- علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1995.

- **الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب):**

111- محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي و مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د.ط، 1986.

- **فردناند دي سوسير:**

112- القاموس المحيط، ضبط و توثيق: يوسف الشيخ، محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008.

- **ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر):**

113- إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

- **كراع (أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي):**

114- المنجد في اللغة، تحقيق: احمد مختار عمر، ضاحي باقي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2000.

- **كمال بشر:**

115- الأصوات، دار المعارف للنشر، مصر، ط1، 1970.

- **ماريوپاي:**

116- أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط8، 1998.

- **مازن الوعر:**

117- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988.

- **محمد الصالح بن عمر:**

118- النص الفكاهي في درس النحو [المركبات النحوية]، الشركة التونسية، تونس، ط1، 1995.

- **محمد الصغير بناني:**

119- النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1994.

- **محمد خطابي:**

120- لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1991.

- **محمد سليمان الأشقر:**

121- الفهرسة الهجائية و الترتيب المعجمي، دار البحوث العلمية، بيروت، لبنان، 1972.

- **محمد سليمان ياقوت:**

122- علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 1955.

- **محمد عبد الرحمن الشايع:**

123- الفروق اللغوية و أثرها في تفسير القران الكريم، الرياض، 1993.

- **محمد عبد اللطيف حماسة:**

124- النحو و الدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط2، د.ت.

- **محمد عبد المطلب:**

125- البلاغة و الأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط1، 1993.

- **محمد علي الخولي:**

126- معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1982.

- **محمد العمري:**

127- البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، إفريقيا الشرق للنشر، المغرب، بيروت، لبنان، د.ط، 1999.

- **محمد فتحي الرديني:**

128- المناهج الأصولية، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1997.

- **محمد محمود غالي:**

129- أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

- **محمود السعران:**

130- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997.

- **محمود سليمان ياقوت:**

131- معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 1994.

- **مصطفى غلفان:**

132- اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، سلسلة رسائل و أطروحات رقم (4)، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، د.ط، 1998.

- **منذر عياشي:**

133- اللسانيات و الدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 1996.

- **ميخائيل باختين:**

134- الماركسية و فلسفة اللغة، ترجمة: محمد البكري، يمني العيد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.

- **ميشال زكرياء:**

135- مباحث في النظرية الألسنية و تعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1985.

- **نايف خرما:**

136- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978.

137- اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978.

- **نور الدين السد:**

138- الأسلوبية و تحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومه، الجزائر، د.ط، د.ت.

- **أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل):**

139- الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989.

- **وهبه الزحيلي: أصول الفقه**

140- أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1996.

- **يول ديورانت:**

141- يول ديورانت: قصة الفلسفة، ترجمة فتح السيد محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط5، 1985.

ثانيا: المصادر و المراجع باللغات الأجنبية:

- **Anatre Martinet :**

142- Elément de linguistique, générale, Armand, colin, Paris, 1970.

- **Christian Baylon et Pant fabre :**

143- La Sémantique avec des travaux pratiques d'application et leurs corrigés, Université Nathan, Information, formation, Edition Fermand Nathan, Paris.

- **Crystal, David :**

144- The combridge Enegelopedia of Language, combridge, 1988.

- **Ferdinand De Saussure:**

145- Cours de Linguistique générale Edition Talantikit.

- **Georges Mounin :**

146- Celfs pour la linguistique, Anbin Imprimeur, Paris, France, 1991.

- **J.Firth :**

147- Papers in linguistics, clxford University Press, New York, Toronto, 1957.

- **Mary – Noêlle Gary – Prieur:**

148- Les terms clés de la linguistique, Paris, France, Edition de seuil, 1999.

- **N.Chomsky :**

149- Aspects de la théorie syntaxique.

ثالثا: الرسائل و المجلات و الندوات:

- **أحمد المتوكل:**

150- نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني، مجلة لكلية الآداب، الرباط، ع1، 1977.

- **أحمد مختار عمر:**

151- انتقاء الترادف في أسماء الله الحسنى بين الدلالة المعجمية و الدلالة الصرفية، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ع20، ديسمبر، 1996.

152- المصطلحات الألسنية في اللغة العربية، ندوة اللسانيات و اللغة العربية، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، سلسلة اللسانيات 4، ديسمبر، 1978.

153- المصطلح الألسني العربي و ضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، ديسمبر، 1989.

- **جون سورل:**

154- تشومسكي و الثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، عدد 8-9 يناير، مارس، 1979.

- **حافظ إسماعيل علوي:**

155- اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، نحو مقاربة إبستمولوجية. مجلة اللسانيـــــات و اللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات و اللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، ع2، 2006.

- **خويلد محمد أمين:**

156- ماهية الدلالة الصوتية، الملتقى الوطني الثاني. الصوتيات ما بين التراث و الحداثة، جامعة سعد دحلب – البليدة – الجزائر، أفريل، 2002.

- **رشاد الحمزاوي:**

157- المعجم العربي في القرن العشرين، مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ج53، 1984.

- **صالح بلعيد:**

158- التراكيب النحوية و دلالاتها في السياقات الكلامية و الأحوال التي ترتبط بها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، جامعة الجزائر، معهد الأدب و اللغة (ماجستير)، 1987.

- **صالح الكشو:**

159- الوضع الإبستمولوجي للسانيات، مجلة المعرفة، ع286.

- **عبد الرحمن حاج صالح:**

160- الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب و العلوم الإنسانية، الجزائر، ع2.

- **عبد السلام المسدي:**

161- الفكر العربي و الألسنية، أشغال ندوة اللسانيات و اللغة العربية، مركز الدراســـات و الأبحاث الاقتصادية، و الاجتماعية، تونس، سلسلة اللسانيات 4، 1978.

- **مازن الوعر:**

162- النظريات النحوية و الدلالية في اللسانيات التحويلية و التوليدية، مجلة اللسانيات، ع6، 1982.

- **ياسر سليمان:**

163- التراث اللغوي العربي و الدراسات اللغوية الحديثة، مجلة اللسان العربي، المغرب، ع2.

2- فهرس الموضوعات:

مقدمـــة .....أ – ب- ج

مدخل: اللسانيات العربية الحديثة .....

المبحث الأول: حدود الدرس اللساني العربي الحديث .....

- اللسانيات العربية الحديثة تحديد أولي .....
- اللسانيات العربية الحديثة إشكالا ثقافيا .....
- الحدود التاريخية و مكانة اللسانيات العربية .....

المبحث الثاني: النشاط اللساني العربي الحديث و صوره .....

- الكتابات التمهيدية .....
- الكتابات التراثية .....
- تطبيق المناهج الغربية على النصوص العربية .....

الفصل الأول: الأبعاد التراثية و الحداثية في كتابات أحمد مختار عمر من خلال المستوى الصوتي .....

المبحث الأول: الأصوات في التراث العربي .....

المبحث الثاني: الأصوات في الدراسات الغربية الحديثة .....

المبحث الثالث: الأصوات في كتابات أحمد مختار عمر .....

أولا: أحمد مختار عمر و التراث الصوتي العربي .....

ثانيا: أحمد مختار عمر و الدراسات الصوتية الغربية الحديثة .....

الفصل الثاني: الأبعاد التراثية و الحداثية في كتابات أحمد مختار عمر من خلال المستويين الصرفي و النحوي التركيبي .....

المبحث الأول: الصرف و النحو في التراث العربي .....

المبحث الثاني: الصرف و النحو في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة .....

المبحث الثالث: الصرف و النحو في كتابات أحمد مختار عمر .....

أولا: أحمد مختار عمر و الدراسات التراثية الصرفية و النحوية .....

ثانيا: أحمد مختار عمر و الدراسات الصرفية و النحوية الغربية الحديثة .....

الفصل الثالث: الأبعاد التراثية و الحداثيـــة في كتابات أحمد مختار عمر من خلال المستوى الدلالي .....
المبحث الأول: الدلالة في التراث العربي .....
المبحث الثاني: الدلالة في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة .....
المبحث الثالث: الدلالة في كتابات أحمد مختار عمر .....
أولا: أحمد مختار عمر و المباحث الدلالية العربية التراثية .....
ثانيا: أحمد مختار عمر و الدراسات الدلالية الغربية الحديثة .....
الفصل الرابع: الأبعـــاد التراثيـــة و الحداثيـــة في كتابـــات أحمد مختار عمر من خـــلال المعجم .....
المبحث الأول: المعجم في التراث العربي .....
المبحث الثاني: المعجم في الدراسات الغربية الحديثة .....
المبحث الثالث: المعجم في كتابات أحمد مختار عمر .....
أولا: التراث العربي في كتابات أحمد مختار عمر المعجمية .....
ثانيا: الدراسات الغربية الحديثة في كتابات أحمد مختار عمر المعجمية .....
خاتمة .....
الملاحق: .....
- ملحق خاص بحياة أحمد مختار عمر و مسيرته العلمية .....
الفهارس: .....
- فهرس المصادر و المراجع .....
- فهرس الموضوعات .....